



مجلة جامعة جازان

للعلوم الإنسانية

جامعة جازان

دورية علمية محكمة

مجلد ١٢ العدد ١ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ سبتمبر ٢٠٢٣ م

ردمد : ١٦٥٨-٦٩٢١

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة جازان

مجلة

جامعة جازان

للعلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ١٢ العدد ١ (ربيع الأول ١٤٤٥ هـ سبتمبر ٢٠٢٣ م)

ردمد : ١٦٥٨-٦٩٢١

مجلة جامعة جازان

للغو

دورية علمية محكمة

المشرف العام

أ.د. مرجعى بن حسين الفحطانى

نائب المشرف العام

أ.د. محمد بن حسن أبو راسين

مدير إدارة المجلة

أ. عبدالرحمن بن حسن حوباني

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن يحيى أحمد صفهي

هيئة التحرير

أ.د. أحمد بن موسى محمد حنتول أ.د. علي بن محمد حاوي مدبش

أ.د. عائشة بنت طاهر أحمد مدخلي د. مريم بنت قاسم علي شماخي

المراجعة والتدقيق اللغوى

د. ياسر السيد أحمد عمارة

الإداري

أ. بندى بن علي واصلى

أ. علي بن محمد قبي

أ. أحمد بن محمد الحازمي

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس هيئة التحرير مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية جازان - المدينة الجامعية - البرج الإداري - ص ب ١١٤ - الرمز البريدي ٤٥١٤
المملكة العربية السعودية أو على البريد الإلكتروني jju@jazanu.edu.sa

(١٤٤٥) جامعة جازان

جميع حقوق الطبع محفوظة . لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بأى شكل وبأى وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابة من رئيس تحرير المجلة .



مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية

التعريف بالجامعة:

مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية هي مجلة علمية نصف سنوية مُحكمة باللغتين العربية والإنجليزية تهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين من داخل المملكة وخارجها؛ لنشر أبحاثهم العلمية الأصلية المتخصصة في العلوم الإنسانية، التي لم يسبق نشرها، وتم الالتزام فيها بأخلاقيات البحث العلمي والمنهجية العلمية المتعارف عليها.

رؤية الجامعة:

الريادة في نشر الأبحاث العلمية المُحكمة في العلوم الإنسانية.

رسالة الجامعة:

نشر الأبحاث العلمية المُحكمة في العلوم الإنسانية وفق المعايير المهنية المحلية والعربية والعالمية.

أهداف الجامعة:

- ١- أن تكون ذات ريادة، وتصنيف مميز، ومعامل تأثير عالي محلياً وعربياً وعالمياً.
- ٢- أن تكون مرجعاً علمياً للباحثين في العلوم الإنسانية.
- ٣- أن تلبي حاجة الباحثين محلياً وعربياً وعالمياً لنشر البحث في مجالات العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية.
- ٤- أن تطور وتتفقّد المجتمع من خلال نشر البحث في مجالات العلوم الإنسانية.

الشروط العامة، والقواعد الفنية، والحقوق، والإجراءات الخاصة بالنشر في الجهة:

أولاً: الشروط العامة:

- ١- أن يكون موضوع البحث في أحد مجالات العلوم الإنسانية باللغتين العربية أو الإنجليزية.
- ٢- أن يتسم البحث بالجدة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي، خالياً من المخالفات العقدية والفكريّة، والأخطاء اللغوية والنحوية.
- ٣- أن يلتزم الباحث في بحثه بأخلاقيات البحث العلمي، وحقوق الملكية الفكرية، وبالشروط والقواعد الخاصة بالنشر في الجهة.
- ٤- لا يكون البحث قد سبق نشره، وفي حال ثبت أن البحث قد نُشر سابقاً في مجلة أخرى، فإن للمجلة الحق في اتخاذ الإجراءات القانونية.
- ٥- لا تتجاوز نسبة الاستلال في البحث عن (٢٠%).
- ٦- لا تتم كتابة اسم الباحث/الباحثين في متن البحث صراحةً، أو بأي إشارة تكشف عن هويتهما، ويمكن استخدام كلمة الباحث أو الباحثين بدلاً من ذلك.
- ٧- الآراء الواردة في البحث المنشورة تُعبر عن وجهة نظر الباحث/الباحثين فقط، ولا تُعبر بالضرورة عن رأي الجهة.
- ٨- لا تستقبل الجهة البحث خلال الإجازات الرسمية المشار إليها في التقويم الأكاديمي لجامعة جازان (يتم التحديث والإعلان عن ذلك في الموقع الإلكتروني للمجلة).

ثانياً: القواعد الفنية:

يجب أن يكون تنسيق البحث تبعاً للآتي:

١. صفحة العنوان وتتضمن (عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، اسم الباحث/الباحثين وتفاصيل كلّ منهم، والدرجة العلمية، والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها كلّ باحث منهم، والبريد الإلكتروني، ورقم الجوال).
٢. لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٤٠) أربعين صفحة، متضمنة ملخص البحث والمراجع.
٣. أن يتضمن البحث ملخصين: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، بشرط أن لا يزيد أيّ منها عن (٢٥٠) مائتين وخمسين كلمة، وأن يكتب كلّ منها في صفحة مستقلة، متبوعاً بكلمات مفتاحية لا تزيد عن خمس كلمات تُعبر عن محاور البحث.
٤. تكون أبعاد جميع هامش الصفحة (٢,٥) سم، ما عدا الهامش الأيمن (٣,٥) سم، والمسافة بين الأسطر والفقرات "مفرد"
٥. يكون نوع الخط المستخدم في الكتابة في متن البحث باللغة العربية (Traditional Arabic) بحجم (١٦)، وباللغة الإنجليزية للملخص (Times New Roman) بحجم (١٢)، وتكون العناوين الرئيسية في اللغتين بولد (Bold).

٦. يكون نوع الخط المستخدم في المداول والأشكال والخواشي باللغة العربية (Traditional Arabic) بحجم (١٢)، وباللغة الإنجليزية (Times New Roman) بحجم (١٠)، وتكون العناوين الرئيسية في اللفتين بولد (Bold).
٧. يلتزم الباحث / الباحثون في البحوث المكتوبة باللغة العربية باستخدام الأرقام العربية (...، ١، ٢، ٣) في جميع شايا البحث.
٨. يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسطل الصفحة بالأرقام العربية فقط، ابتداءً من صفحة الملخص العربي ثم الملخص الإنجليزي وحتى آخر صفحة من صفحات البحث ومراجعه.
٩. يُنضم البحث وفق الآتي:

- أ) **البحوث التطبيقية:** يورد الباحث أو الباحثون مقدمة تبدأ بعرض طبيعة البحث، ومدى الحاجة إليه، ومسوغاته، ومتغيراته، متضمنة الدراسات السابقة بشكل مدمج دون تحصيص عنوان فرعيا لها. ويلي ذلك استعراض مشكلة البحث، ثم تحديد تساؤلاته أو فرضه، وأهدافه، وأهميته، ومصطلحاته، وحدوده. ثم تُعرض منهجية البحث؛ مشتملة على: منهج البحث، مجمع البحث، وعيته، وأدواته، وإجراءاته، متضمنة كيفية تحليل بياناته. ثم تُعرض نتائج البحث ومناقشتها وتفسيرها، والتوصيات المنشقة عنها، وأخيراً مراجع البحث. ويكون أسلوب التوثيق في بحوث العلوم التربوية والعلوم الإدارية كما يلي:
- التوثيق في متن البحث وقائمة المراجع وفق نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) الإصدار الأخير.
 - يلتزم الباحث بترجمة أو رومنة (Romanization / Transliteration) توثيق المقالات المنشورة في الدوريات العربية الواردة في قائمة المراجع العربية (مع الإبقاء عليها في قائمة المراجع العربية، وإضافة المراجع المترجمة إلى قائمة المراجع الأجنبية حسب ترتيبها هجائيا).

- ب) **البحوث النظرية:** يورد الباحث أو الباحثون مقدمة يُمهد فيها للفكرة الرئيسية التي ينافقها البحث، مبينا فيها: أدبيات البحث، وأهميته، وإضافته العلمية إلى مجاله، متضمنة الدراسات السابقة بشكل مدمج دون تحصيص عنوان فرعيا لها. ثم يعرض منهجية البحث، ومن ثم يُقسم البحث إلى مباحث أو فصول على درجة من التراطط فيما بينها. ثم يختتم البحث بخلاصة شاملة متضمنة أهم النتائج التي خلص إليها البحث، ثم مراجع البحث.
- ويكون أسلوب التوثيق في بحوث العلوم الشرعية واللغوية كما يلي:
- وضع هوامش كل صفحة في أسفلها، وأرقام الخواشي تكون بين قوسين.
 - كتابة الآيات القرآية بالرسم العثماني وفق مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، وتحمّل من خلال الرابط <https://nashr.qurancomplex.gov.sa/site/>
 - يجب توثيق المراجع في آخر البحث كاملاً وغير مختصرة، ويلتزم في كتابتها بأسلوب جمعية اللغات الحديثة (MLA).

١٠. توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، يليها مباشرة قائمة المراجع الأجنبية، وذلك وفقاً لأسلوب التوثيق المتبعة في المجلة.
- ثالثاً: إجراءات النشر:**

١. إرسال أربعة نسخ من البحث بصيغة (word) وبصيغة (pdf) إلكترونياً على بريد المجلة الإلكتروني (jju@jazanu.edu.sa) طبقاً للشروط والقواعد والتعليمات الخاصة بالجامعة والمنذورة أعلاه، ويرفق مع البحث السيرة الذاتية للباحث / الباحثين، وفق ما يلي:
 - أ- نسخة البحث مضمنة بيانات الباحث / الباحثين كاملة بصيغة (word).
 - ب- نسخة البحث مضمنة بيانات الباحث / الباحثين كاملة بصيغة (pdf).
 - ت- نسخة البحث خالية مما يدل على الباحث / الباحثين كاملة بصيغة (word).
 - ث- نسخة البحث خالية مما يدل على الباحث / الباحثين كاملة بصيغة (pdf).
٢. يرفق الباحث ما يثبت أن ملخص البحث باللغة الإنجليزية مراجعة من مركز معتمد للترجمة.
٣. يرفق الباحث فوذج التعميد الخاص بالجامعة موقعاً منه، ومن جميع الباحثين المشاركون (إن وجدوا) والذي يتضمن أن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة أو رفضه.
٤. في البحوث التطبيقية، يجب إرسال خطاب أخلاقيات البحث العلمي على تطبيق أدوات البحث ونسخة من الأدوات.
٥. إشعار الباحث عبر البريد الإلكتروني باستلام بحثه خلال أسبوع من تاريخ إرساله للمجلة.
٦. إشعار الباحث بإرسال البحث للتحكيم في حال اجتياز البحث الفحص الأولي من قبل هيئة التحرير في المجلة أو إعادةه للباحث في حال رفضه مع إبداء الأسباب.

٧. إرسال البحث المقدم للنشر إلى مُحَكّمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية تامة، وذلك لبيان مدى أصالته وجدته وقيمة نتائجه وسلامة طريقة عرضه، ومن ثم مدى صلاحيته للنشر وفق نموذج التحكيم المعتمد في المجلة.
٨. عند وصول تقارير المحكمين للبحث، ثراجع من قبل هيئة التحرير، ثم ترسل التقارير للباحث/ الباحثين لإجراء التعديلات الواردة فيها إن وجدت.
٩. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وموافقة الآخر، يرسل البحث إلى مُحَكّم ثالث مُرجح؛ للفصل في البحث.
١٠. يمنع الباحث أسبوعين لعمل التعديلات، وبعد إرسال النسخة الأصلية للبحث والنسخة المعدلة مع إرفاق نموذج التعديلات المعتمد في المجلة.
١١. في حالة قبول البحث للنشر، يُرسل للباحث خطاب قبول النشر موقعاً من رئيس هيئة التحرير عبر البريد الإلكتروني للمجلة.
- رابعاً: حقوق الجلة وحقوق الباحث أو الباحثين:**
١. تقوم هيئة تحرير الجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقدير أهلية للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله حتى تتطبق عليه شروط النشر، أو رفضه مع ذكر الأسباب.
 ٢. لا يحق للباحث التقدم بطلب لسحب البحث بعد اجتيازه الفحص الأولي.
 ٣. تنتقل حقوق نشر البحث إلى المجلة عند إشعار الباحث بقبول بحثه للنشر، ولا يجوز نشره في أي منفذ آخر ورقائياً أو إلكترونياً، دون الحصول على إذن كتابي من رئيس التحرير.
 ٤. لهيئة التحرير الحق في ترتيب البحوث المقدمة عند النشر.
 ٥. يبلغ الباحث بعدم قبول البحث بناءً على تقارير المحكمين مع ذكر أسباب.
 ٦. عند صدور العدد المتضمن بحث الباحث ونشره على موقع المجلة الإلكتروني للمجلة، يتم إشعار الباحث بذلك، وتُرسل له نسخة إلكترونية من العدد، ونسخة إلكترونية أيضاً لمستلة البحث.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الاستئثار الأجنبي في البلاد الإسلامية - دراسة فقهية
٤٠-١	منيرة سعيد عبدالله أبو حمامة
	أشكال حضور الرواية والمرواي له في: (حكاية حب) لغازي التصيبي
٦٩-٤١	نجلاء علي مطيري
	أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التذكير التصميمي وتطبيقات الويب
	النشاركة في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية
١٠٠-٧٠	محمد جابر أحمد حمدي و حامد علي مبارك الشهرياني
	أثر الفلسفة على المعتزلة في معنة خلق القرآن
١٣٢- ١٠١	فاطمة بنت عبد العزيز العبلاني
	المنهج الذهني في الأحكام البلاغية عند السعد التفتازاني في كتابه المطول
١٦٥- ١٣٣	حمد بن عبدالله سعد العوفي
	الشكلاط المحسية لدى فئات ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر أولياء الأمور والمحظين
٢٠٢-١٦٦	آمنة إبراهيم علي عسيري و أحمد حسن محمد خضرى
	مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها
٢٣٧-٢٠٣	حنان بنت منير المطيري

الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية - دراسة فقهية -

د. منيرة سعيد عبدالله أبو حامدة

أستاذ الفقه المشارك، بكلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد

الملخص

يهدف البحث إلى بيان موقف الفقه الإسلامي من استثمار غير المسلمين في البلاد الإسلامية؛ لأن مصدر بعض هذه الاستثمارات دول أجنبية، أو مؤسسات أجنبية، ويقتضي دخول غير المسلمين إلى بلاد المسلمين، والإقامة فيها؛ لتشغيل هذا الاستثمار ومزاولته، وقد اعتمدت الدراسة في البحث على المنهج الاستقرائي بعرض أقوال الفقهاء وأدلتهم، ومناقشتها مع الترجيح، وخلصت إلى عدة نتائج من أهمها: جواز الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية، قياساً على جواز مشاركة غير المسلم في التجارة والمزارعة وغيرها؛ لأن الأصل في العاملات الإباحة، بشرط أن يكون في استثمار الأجنبي منفعة ومصلحة تعود على بلاد الإسلام وعلى المسلمين، ويسير وفق أحكام الشريعة الإسلامية وضوابطها الحقيقة للمصلحة، وبدون أن تؤدي هذه الاستثمارات إلى أي مخالفة عقدية أو شرعية.

الكلمات المفتاحية: استثمار، أجنبي، بلاد، إسلامية.

Foreign Investment in Muslim Countries: A Doctrinal Study

Dr. Monerah Saeed Abuhamamah

Associate Professor of Jurisprudence College of Shariah and Fundamentals of Religion
King Khalid University

Abstract

This study aims at clarifying the stance of Islamic jurisprudence regarding the investment of non-Muslims entities in Muslim-countries as the source of some of these investments comes from foreign countries or foreign institutions, which require the existence and residence of non-Muslims in Muslim countries to operate and practice this investment. The study used the inductive-analytical approach by indicating Scholar's views, discussing and outweighing them. The study concluded that the foreign investment is allowed in Muslim-countries, judging by the permissibility for a non-Muslim to practice trade, sharecropping, etc. permissibility is the origin in transactions, provided that there are benefits returning back to the Muslim-countries and Muslims. Also, the investment should take into consideration to the tenets and rules of Islamic Sharia, without violating the Islamic creed or legality.

Keywords: investment, foreign, countries, Muslim.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد

فقد اهتم الإسلام بالمعاملات المالية بين الناس اهتماماً كبيراً حيث وضع لها الأسس والقواعد العامة المنظمة لها، وضبطها بأحكام وقيود محددة، وفي الوقت نفسه حث الإسلام على الالكتساب، والعمل، واستثمار الأموال؛ لأن المال هو عصب الحياة وقوام الدين، وسبيل ارتقاء المجتمعات وقوتها، خاصة إذا استخدم واستثمر الاستثمار الأفضل؛ إذ يعد الاستثمار أحد أهم وسائل التنمية الاقتصادية على مستوى الأفراد والشعوب والحكومات، وحيث إن الاستثمار الأجنبي واقع في بلاد المسلمين؛ لا سيما أن هذه الاستثمارات تأثيرات كثيرة من جميع الجوانب على المجتمعات الإسلامية؛ لذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع لأهميته، ولبيان الحكم الشرعي فيه.

أهمية الموضوع:

- أهمية معرفة موقف الفقه الإسلامي من الاستثمار الأجنبي؛ لأن مصدر بعض هذه الاستثمارات دول أجنبية أو مؤسسات دولية أجنبية، ويقتضي دخول غير مسلمين إلى بلاد المسلمين، والإقامة فيها؛ لتشغيل هذا الاستثمار ومواولته.
 - شح الموارد المالية لدى عدد من الدول الإسلامية، وقصورها عن القيام بعملية التنمية منفردة في اقتصadiات بعض الدول؛ مما يجعلها في حاجة للاستثمار الأجنبي لتحسين اقتصادها.
 - كون الاستثمار الأجنبي، لا سيما الاستثمار المشترك، يقتضي المشاركة مع رأس المال المحلي في الدول الإسلامية.

أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم الاستثمار الأجنبي الاصطلاحي الفقهي والمعاصر.
 - ٢- بيان مشروعية الاستثمار وأهميته.
 - ٣- إبراز الحكم الشرعي لأنواع الاستثمار الأجنبي داخل البلاد الإسلامية.
 - ٤- توضيح ضوابط استثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية.

منهج البحث: سيكون منهج البحث بإذن الله كالتالي:

- ١-يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من خلال الاستقراء -بحسب الإمكان- لأمهات المراجع المعتمدة عن فقهاء المذاهب الأربعة؛ لمعرفة مواطن الاتفاق والاختلاف في الأحكام، مع عرض الأدلة ومناقشة ما يحتاج إلى مناقشة، والترجيح بينها.
 - ٢-الاقتصر غالباً- على نقل الرأي المعتمد في كل مذهب.
 - ٣-ذكر المصادر مرتبة ترتيباً زمنياً حسب المذاهب الفقهية في هوماش أسفل كل صفحة.

٤- عزو الآيات إلى سورها، والأحاديث إلى مخرجها، والحكم على الحديث إذا لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

٥- شرح بعض المفردات إن احتاج الأمر إلى ذلك باختصار.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات التي تناولت موضوع الاستثمار بشكل عام والاستثمار الأجنبي بشكل خاص، حيث ذُرِس من عدة جوانب، فبعض الدراسات تناولت موضوع الاستثمار من نواحٍ اقتصادية وبعضها من نواحٍ شرعية، وهذه أبرز الدراسات التي تناولت الموضوع من ناحية شرعية:

- تشجيع الاستثمار في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة مع القانون الأردني، محمد علي سعيران، مجلة دراسات علوم الشريعة، ١٩٢٠ م

- ضوابط الاستثمار في الشريعة الإسلامية، جيهان الطاهر محمد عبدالحليم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٨٣، ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨ م

- الاستثمار: أحکامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، قطب مصطفى سانو، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ٢٠١٦ م

- ضوابط الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي، عبد الحفيظ ساسي، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية التابعة لجامعة قاصدي مریاح ورقلة، ٢٠١٦ م

- الاستثمار الأجنبي المباشر من منظور إسلامي، (المفهوم والمنهج والأهداف)، واثق عباس عبد الرحمن محمد، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، العدد ٥٣، ٢٠١٦ م

- الاستثمار وضوابطه في الفقه الإسلامي، حسان محمد عرار، رسالة ماجستير، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م

- الضوابط الشرعية لتشجيع الاستثمار في الفقه الإسلامي، خالد علي بنى أحمد، المجلة الأردنية، في الدراسات الإسلامية، ٢٠١١ م

- ضمانات الاستثمار في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها، د/ عمر مصطفى جبر إسماعيل، رسالة دكتوراه، دار النفائس، ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠ م

- الاستثمار الأجنبي المباشر من منظور إسلامي، للدكتور: عمر بن فيحان المرزوقي، أستاذ مساعد، بقسم الدراسات الإسلامية، في جامعة الملك سعود، جامع الكتب الإسلامية، المجلد ١، ٢٠١٠ م

- ضوابط الاستثمار في الفكر الإسلامي، بولعيد بعلوج، مجلة العلوم الإنسانية، قسم العلوم الاقتصادية جامعة منتوري قسنطينة، عام ٢٠٠٠ م

-ضوابط و أساليب الاستثمار في الإسلام قاسم عطا محمد القيسي - رسالة ماجستير - معهد الدراسات الإسلامية - القاهرة، ١٩٩١.

الفرق بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة:

الدراسات السابقة ركزت -في المجمل- على ضوابط الاستثمار وأساليبه، وضماناته ، ولا شك في أنها دراسات جيدة وثرة، ولكل دراسة من الدراسات السابقة ميزاتها وخصائصها، إلا أن بعضها توسيع في بعض الأحكام والعناصر واختصرت في بعضها، ولا شك في أنني استفدت من بعض هذه الدراسات في بعض الجرئيات العامة والتمهيدات المطلوبة للبحث، إلا أن هناك اختلافاً في دراستي عن الدراسات السابقة حيث إن الدراسة الحالية مخصصة في جانب واحد محدد وهو بيان الحكم الفقهي في حكم استثمار الأجنبي غير المسلم في البلاد الإسلامية، وما يتعلق بالتعامل مع المستثمر الأجنبي من أحكام.

حدود البحث: البحث يتناول فقط بيان موقف الفقه الإسلامي من استثمار غير المسلمين في البلاد الإسلامية، والأحكام المتعلقة بتعامل المسلم مع غير المسلم في المعاملات الاستثمارية المختلفة.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة وخمسة مباحث، وخاتمة:

المقدمة، وتناولت فيها: " أهمية الموضوع، وأهدف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث".

المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث باختصار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاستثمار في اللغة والاصطلاح الفقهي

المطلب الثاني: مفهوم الاستثمار الأجنبي في الاصطلاح المعاصر

المبحث الثاني: مشروعية الاستثمار وأهميته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مشروعية الاستثمار

المطلب الثاني: أهمية الاستثمار

المبحث الثالث: أنواع الاستثمار في الفقه الإسلامي وفي الوقت المعاصر.

المبحث الرابع: حكم استثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية

المبحث الخامس: ضوابط استثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول**تحديد مصطلحات البحث****المطلب الأول: تعريف الاستثمار في اللغة والاصطلاح الفقهي والمعاصر**

أ-الاستثمار في اللغة: الاستثمار مصدر للفعل استثمر بمعنى الطلب، مشتق من الشمر، أي حمل الشجر وأنواع المال، يقال: ثُمر الرجل ماله: تَمَاه، وأثمر الرجل: كثُر ماله^(١)

ب-الاستثمار في الاصطلاح الفقهي:

لم يتطرق الفقهاء قديماً لتعريف لفظ الاستثمار، ولم يرد هذا اللفظ في كتبهم بمعناه اللغوي: تنمية المال وتكتيره، ولكن ورد في كتبهم بعض المفردات التي تفيد معنى تكتير المال وتنميته واستثماره والمحافظة عليه، مثل: لفظ التشمير^(٢)، ولفظ التنمية^(٣)، ولفظ الاستئماء^(٤). ومنها على سبيل المثال:

-قال الإمام الكاساني عند تعريفه عقد المضاربة "...عقد المضاربة هو استئماء المال ..."^(٥): وفي لفظ التشمير جاء في المداية ما نصه: "وقال زفر والشافعي رحمهما الله: لا تجوز-شركة الصنائع-لأن هذه شركة لا تفيد مقصودها وهو التشمير لأنه لابد من رأس المال"^(٦)، وقال محمد بن الحسن في الحجة: "... وإن أبي كان المعارض شريكاً بحصته من الثمن في النماء..."^(٧)

-وقال الفقيه الدردير-في باب القراض- حيث قال: "القراض جائز؛ لأن الضرورة دعت إليه، حاجة الناس إلى التصرف في أموالهم، وليس كل أحد يقدر على التنمية بنفسه"^(٨).

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزيدى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، طبعة الكويت، مادة ثُمر.

(٢) التشمير: من ثُمر الشجر أي ظهر ثُمره، يقول الفقهاء: ثُمر الرجل ماله أي أحسن القيام عليه ونماده. (معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، د. نزيه حماد، ص ٥٥)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٣) التنمية: اسم مصدر للفعل (تَمَاه) نهى المال ينميه على وزن فعل يفعّل، أي قام بعملية النماء، والتنمية: هي عملية النماء التي يقوم بها الفرد أو الجماعة من أجل الحصول على نماء المال وزيادته.. (انظر: معجم المعاني الجامع، مادة تنمية)

(٤) النماء: يراد به التبيحة التي يحصل عليها الفرد أو الجماعة من عمليتي الاستئماء والتنمية (قطب سانو، الاستثمار أحکامه وضوابطه، دار الفائق للنشر، الأردن، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ص ١٨-٢٢).

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، أبو بكر بن مسعود، دار الكتاب العربي، لبنان، ط ٢، ١٤٠٢ هـ، ٦/٨٨.

(٦) المداية في شرح بداية المبتديء، المرغيني، علي بن أبي بكر، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ١١/٣.

(٧) الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ، ٣/٣٢.

(٨) الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، الدردير، أحمد بن محمد بن أحمد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،

١٣٧٢ هـ ٩٥٢ م، ١٨١/٥.

-وقال الإمام النووي: "الأثمان في المقارضة لا يتوصل إلى نمائها المقصود إلا بالعمل، فجاز المعاملة عليها بعض النماء الخارج منها"^(١)، وقال الإمام الشيرازي: "التجارة يطلب بها نماء المال"^(٢)، وقال الإمام الرافعي: "...والحول إنما اعتبر ليتمكن من تنمية المال وتشميره،..."^(٣)

-وقال الشيخ البهوي: (والحكمة تقتضيه؛ لأن الناس حاجة إليها فإن النقادين لا تُنْتَجُ إلا بالتجارة)^(٤)

ج- الاستثمار في الاصطلاح المعاصر:

عرف الباحثون الاقتصاديون الاستثمار بعدة تعريفات منها على سبيل المثال:

- ١- الاستثمار هو: "توظيف المال بهدف تحقيق العائد أو الدخل أو الربح"^(٥).
- ٢- وعرف بأنه: "ارتباط مالي يهدف إلى تحقيق منافع يتوقع الحصول عليها على مدى فترة من الزمن".^(٦)
- ٣- وعرفه بعضهم بأن الاستثمار هو: تشغيل المال لزيادة المال والاستزادة من نعم الله؛ وذلك لتحقيق أهداف مالية واقتصادية واجتماعية^(٧).
- ٤- وعرفه آخرون بأنه: "تكوين رأس المال العيني الجديد الذي يمثل الطاقة الإنتاجية".^(٨)

وما سبق من التعريفات يظهر أن مفهوم الاستثمار الاصطلاحي عند الباحثين المعاصرین في الاقتصاد يختلف عن مفهوم استثمار الأموال في نظر الشريعة الإسلامية؛ لأن كل باحث يركز على الجانب الاقتصادي في الاستثمار من حيث تحقيق أكبر دخل وربح ممكن، وبحدها حالية من الضوابط التي تحدد كيفية الاستثمار؛ ولذا فإنها أقرب للمفهوم اللغوي للاستثمار الذي يدور حول تشغيل المال واستغلاله وتكثيره ونمائه.

(١) المجموع شرح المذهب، النووي، يحيى بن شرف، الناشر زكريا يوسف، مطبعة الإمام، ١٨٩/١٤

(٢) المذهب في فقه الإمام الشافعي، الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤/٥١، ١٤١٥.

(٣) فتح العزيز بشرح الوجيز، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، بيروت، دار الفكر، (بدون رقم طبعة أو تاريخ)، ٦/٩٢

(٤) كشف النقاع، البهوي، منصور بن يونس بن إدريس، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣/٥١٣٠٤، ٣/٥٠٧.

(٥) تدابير تشجيع رؤوس الأموال العربية في المشاريع الصناعية، المالكي، عبدالله عبد المجيد، ص ٦، بدعم من مجلس البحث العلمي الأردني، الأردن، ١٩٧٤.

(٦) الاستثمار الإسلامي والتمويل طويل الأجل، المواري، سيد المواري، ص ٤، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٥

(٧) معايير استثمار الأموال في الإسلام، عفيفي، أحمد مصطفى، ص ٤، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دي الإسلامي، ١٩٩٥

(٨) الحاج، طارق، علم الاقتصاد ونظرياته، ص ١٢٣، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨

أما تعريف علماء الاقتصاد الإسلامي للاستثمار فيحدد فيه الجانب الشرعي، ويقيده بقيود الشرع، ومنها تعريف سانو للاستثمار بأنه: "مطلق طلب تحصيل نماء المال المملوك شرعاً، وذلك بالطرق الشرعية المعتبرة من مضاربة ومرابحة وشراكة وغيرها"^(١)

ومنها تعريف الساهي للاستثمار بأنه: "استعمال الأموال في الحصول على الأرباح بالطرق المشروعة التي فيها الخير للمجتمع"^(٢)

ويمكن تحديد تعريف اصطلاحي مختصر للاستثمار بأنه: تشغيل الأموال بقصد استثمارها وتنميتها وفق قواعد وضوابط الشريعة الإسلامية"

المطلب الثاني: مفهوم الاستثمار الأجنبي في الاصطلاح المعاصر

أ-معنى الاستثمار: سبق بيان معنى الاستثمار

ب-معنى الأجنبي: الأجنبي لغة: الكلمة تطلق على البعيد، وجمعه أجانب^(٣)

واصطلاحاً: كل من ليس بينك وبينه نسب ولا رحم^(٤).

وعرفه النظام السعودي بقوله: (المستثمر الأجنبي هو: الشخص الطبيعي الذي لا يتمتع بالجنسية العربية السعودية، أو الشخص الاعتباري الذي لا يتمتع جميع الشركاء بالجنسية العربية السعودية وقدموها للملكة بغرض الاستثمار)^(٥)

وفي تعريف النظام يتضح أن المستثمر الأجنبي يشمل كل مستثمر لا يتمتع بالجنسية السعودية، سواء كان مسلماً أو غير مسلماً.

أما المقصود بالمستثمر الأجنبي في هذا البحث: هو المستثمر غير المسلم؛ لأن المستثمر المسلم تطبق عليه في الشريعة كل أحكام المسلمين، ولو اختلفت جنسياتهم.

(١) الاستثمار أحکامه وضوابطه في الفقه الإسلامي، سانو، قطب سانو، ص ٢٠، عمان، دار النفائس.

(٢) المال وطرق استثماره في الإسلام، الساهي، شوقي عبده، ص ١٨٣ ، ط ٢، الناشر شوقي عبده، القاهرة، ١٩٨٤ م، توزيع مكتبة الحجا
المصرية.

(٣) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سوريا)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م (١١٨٣/٢).

(٤) انظر: عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، العيني، محمود بن أحمد بن موسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة أو تاريخ، ٢٤٧/٢٣

(٥) المادة الأولى، الفقرة (١) من اللائحة التنفيذية لنظام الاستثمار الأجنبي، الصادرة بقرار مجلس الإدارة رقم (١/٢٠) وتاريخ ١٣ / ٤ / ١٤٢٣ هـ بعد التعديل، موقع وزارة الاستثمار

ولم يستخدم الفقهاء لفظ أجنبي لغير المسلمين، بل أطلقوا عليهم لفظ الحربيين أو المعاهدين^(١)، فكل حربي أو معاهد دخل دار الإسلام بإذن من إمام المسلمين بمقتضى عقد الأمان يعدّ أجنبياً.

ج- الاستثمار الأجنبي في الاصطلاح المعاصر:

ذهب بعض الكتاب إلى تعريف الاستثمار الأجنبي بأنه "تكوين منشأة أعمال جديدة، أو توسيع منشأة قائمة، وذلك عن طريق مقيمي دولة معينة ضمن حدود دولة أخرى"^(٢). أو بأنه نشاط استثماري طويل الأجل يقوم به مستثمر غير مقيم في بلد مضيف، بقصد المشاركة الفعلية أو الاستقلال بالإدارة والقرار"^(٣).

وانتهى كتاب آخر إلى تعريفه بأنه "الحصة الثابتة للمستثمر المقيم في اقتصاد ما في مشروع مقام في اقتصاد آخر"^(٤).

وعرفه النظام السعودي بأنه: (توظيف رأس المال الأجنبي في نشاط مرخص له بموجب النظام وهذه اللائحة)^(٥).

وبشكل عام فإن تلك التعريفات كلها تفييد بأن الاستثمار الأجنبي هو: المال الوارد إلى دولة غير دولته، بقصد الحصول على الربح، ويخرج من هذه التعريفات مواطنو الدولة من غير المسلمين حيث لا يطلق عليهم لفظ أجنبي؛ لأن الوطني هو من يتمتع بجنسية الدولة التي ينتهي إليها دون النظر إلى معتقداته الديني وعرفه ولونه ولغته، كما نص على ذلك النظام السعودي في الصفحة السابقة، ومعظم قوانين الدول العربية^(٦).

(١) ذكر الفقهاء أن الكفار ثلاثة وهم : -الحربي وهو: الكافر الذي بين المسلمين وبين دولته حالة حرب، فلا ذمة له ولا عهد، قال الشوكاني: الحربي هو: الذي لا ذمة له ولا عهد (السيل الجرار ٤٤١/٤)، -المعاهد وهو: الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهد مهادنة.(جامع الأصول، لابن الأثير ٤٦٦/٧) قال ابن بطال: المعاهد الذي بينه وبين الإمام عهد وهدنة.(نظم المستعبد ١٥٦، ١٥٧/١)، -المستأنم وهو: الحربي الكافر الذي دخل بلاد المسلمين بأمان لغرض معين وليس لغرض الاستيطان ويأخذ من ولی أمر المسلمين، أو أراد أثناء الحرب أن يدخل موضعًا بإذن من المسلمين، وأذنوا له بالدخول. قال النووي: المستأنم هو الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان (تحرير ألفاظ التنبية ص ٣٢٥)، وللمزيد (انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم ٤٧٥٩/٢)

(٢) العلاقات الاقتصادية الدولية، جون هدسون، مارك هرندر، تعریف طه منصور، دار المريخ الرياض ص ٦٩٩.

(٣) الاستثمار الأجنبي المباشر بالدول العربية، بحث مقدم لندوة المحافز الممنوحة للاستثمار الأجنبي المباشر في الدول العربية ١٩٩٧، المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، ص ١٧٧.

(٤) تقرير التمويل الدولي في جمهورية مصر، إعداد د. منير هندي وآخرون، ١٩٩٩ جامعة القاهرة، ، ص ٣٧.

(٥) المادة الأولى، الفقرة (٢) من اللائحة التنفيذية لنظام الاستثمار الأجنبي، الصادرة بقرار مجلس الإدارة رقم (٢٠) /١٣ /٤ /٤٢٣ هـ بعد التعديل، موقع وزارة الاستثمار.

(٦) انظر: المركز القانوني للأجانب https://qawaneen.blogspot.com/2010/06/blog-post_5431.html

وانظر: على سبيل المثال لا الحصر: قانون الإقامة وشؤون الأجانب الأردني رقم (٢٤)، المادة الثانية والتي حددت تعريف الأجنبي: بأنه (كل من لا يتمتع بالجنسية الأردنية) ، وعرفه نحوه القانون السوري (انظر المادة الأولى، من القانون ٢ دخول وخروج وإقامة

وعليه فإنه يمكن تعريف الاستثمار الأجنبي بأنه (قيام شخص غير مسلم بتشغيل ماله وتنميته في دولة إسلامية غير دولته من خلال أكثر من طريقة ووسيلة).

المبحث الثاني

مشروعية الاستثمار وأهميته

المطلب الأول: مشروعية الاستثمار:

حث الإسلام على استثمار المال وتنميته، وجاءت نصوص القرآن والسنّة النبوية تدل على ذلك، ومن هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَمَا بِالْبَطْلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً

عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]

٢- قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الْأَصْلَوَةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

أَعْلَمُكُمْ فُلُجُورَ﴾ [الجمعة: ١٠]

٣- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْسِطُوا فِي مَنَاكِهَا وَكُوْنُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التَّشْوُرُ﴾ [الملك: ١٥]

٤- قوله سبحانه حاثاً على الزراعة: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَرَزْعٍ وَخَيْلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ

صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدِّ وَنَفَاصٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْلَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ﴾ [الرعد: ٤]

٥- قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعْفِرُوهُ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيْ قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]

٦- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((خُيُورُ الْكَسْبِ كَسْبُ
يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ))^(١)

الأجانب في سوريا)، ومثله المشرع المصري في قانون رقم ٨٨ لسنة ٢٠٠٥ في المادة (١) منه المعدل لقانون ١٩٦٠ لسنة ١٩٦٠ المنظم لدخول وإقامة الأجانب في مصر، والمشرع التونسي في قانون رقم ٧ لسنة ١٩٦٨، والمشرع اللبناني في قانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٢ الذي نصت = عليه المادة (١)، والقانون العراقي، والجزائري، وغيرهم، وإلى نفس المعنى في تعريف الأجنبي ذهبت باقي التشريعات العربية. (للمرزيد انظر: د. سعيد يوسف البستاني المركز القانوني للأجانب والعرب في الدول العربية دراسة مقارنة – الطبعة الأولى منشورات الحلبي الحقيقة – بيروت – لبنان ٢٠٠٤ ص ٣٦ وما بعدها).

(١) أحمد في المسند ٢/٣٣٤، البيهقي في شعب الإيمان ١/١٠٧، قال العراقي في إتحاف المتلقين ٥/٤١٥: سنده حسن

٧- عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سُئلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَطْيَبِ الْكَسْبِ، فَقَالَ: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مُبَرُّورٌ) ^(١) جاءَ فِي حَاشِيَةِ الشَّرْقاوِيِّ (قَوْلُهُ: وَكُلُّ بَيْعٍ مُبَرُّورٌ) إِشَارَةً إِلَى التِّجَارَةِ وَتَأْخِيرِهَا عَنِ الصِّنَاعَةِ يَسْتَفَادُ مِنْهُ فَضْلَهَا عَلَيْهَا^(٢).

٧- عن هشام بن عمرو عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل، فيجيء بهزمه حطبا على ظهره، فيبيعها ويستغني بثمنها - خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)) ^(٣)

كل هذه النصوص وغيرها دلت دلالة قاطعة على مشروعية تنمية المال واستثماره في الإسلام بالحدث على التجارة والانطلاق في الأرض بشرط أن يكون هذا الاستثمار وفق منهج الإسلام وشريعته، وحسب ما وضعته الشريعة الإسلامية من ضوابط يسير على وفقها المسلم في جميع طرق كسبه.

المطلب الثاني: أهمية الاستثمار

الاستثمار له دور كبير وأهمية كبيرة في تنمية الأموال وتشغيلها وعدم تعطيلها، وتأتي هذه الأهمية من أهمية العمل والإنتاج الذي هو أهم طرق الاستثمار والتنمية وإعمار الأرض والذي هو واجب شرعاً لقول الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِلُكُمْ فِيهَا فَأَسْتَغْفِرُهُ لَمَّا تُؤْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَ قَرِيبٌ مُّحِيطٌ﴾ [هود: ٦١] ، حيث جاء في تفسير الآية: (أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار، وقيل المعنى للممكِّم عمارتها من الحرش والغرس وحفر الأنهر وغيرها، الثالثة: قال ابن عربي، قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمار والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب) ^(٤)

ويؤيد هذه أيضاً ما جاء في الشرع الإسلامي من تشريع إحياء الموات ونزع الملكية لمن حجز أرضاً وعطلها ولم يستثمرها، قال صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" ^(٥)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "ليس لختجر حق بعد ثلاثة سنين" ^(٦)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع لبلال بن

(١) أخرجه أحمد ١٤١٤، والطبراني في الكبير ٤٢٧٦، ورواه الحاكم ٢١٠ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب، الشرقاوي، عبدالله بن حجازي بن إبراهيم، طبعة مصطفى الباجي الحلي، ٢/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله، وأخرجه ابن ماجة، في كتاب الزكاة، برقم حديث (١٨٦٣)

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤هـ/١٣٨٤م، ٩/٥٦

(٥) أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٩٨٨

(٦) رواه أبو يوسف في كتاب الخراج عن الحسن بن عمارة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (انظر: الخراج لأبي يوسف ص ٦٥)، وقال

الزيلاعي: الحسن بن عمارة ضعيف، وسعيد عن عمر فيه كلام. (نصب الرأية ٤/٢٩٠)

الحارث العقيق أجمع^(١)، فلما كان عمر رضي الله عنه قال لبلال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، لم يقطعك إلا ليعمل، قال: فأقطع عمر بن الخطاب العقيق^(٢).

والاستثمار كما يعمل على تشغيل الأموال، يعمل على زيادة الطاقات الإنتاجية في المجتمع، ويساعد على وفرة السلع والخدمات بما يلي احتياجات الناس، وي العمل على فتح أسواق جديدة ومتعددة، كما أن الاستثمار يساعد في خلق فرص وظيفية متعددة للأيدي العاملة؛ ما يقلل من البطالة، وتكون الطاقات لنفع الأجيال اللاحقة كما يقول الماوردي: (ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأول حتى يصير به مستغنياً لافتقر أهل كل عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرش، وفي ذلك من الإعجاز وتعذر الإمكان ما لا خفاء به، فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع المال إلا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن....)^(٣)

المبحث الثالث

أنواع الاستثمار في الفقه الإسلامي وفي الوقت المعاصر

المطلب الأول: أنواع الاستثمار المالي في الفقه الإسلامي

إن المتأمل في الفقه الإسلامي يجد أنه أوجد أنواعاً من الاستثمار المالي كثيرة ومتنوعة، وهذه الأنواع ترتكز على أربعة أركان رئيسية^(٤):

الركن الأول التجارة: وهي في الأصل تدل على المهنة التي يجترفها الإنسان، ويعرف الفقهاء التجارة بأنها تقليل المال، بالمعاوضة لغرض الحصول على الربح^(٥)، فهي عملية مبادلة بين المتابعين والتي تنتهي بتمليك العين أو السلعة، مثل: بيع الأجل، وبيع المراححة، وبيع السلع، وبيع الاستصناع، وغيرها من أنواع البيوع.

(١) أصل الحديث في سنن أبي داود، أخرجه كتاب الخراج والإماء والفيء، باب في إقطاع الأرضين، برقم (٣٠٦١)، وأخرجه مالك في موطأه، كتاب الزكاة، باب الزكاة في المعادن، برقم (٨) /٢٤٩-٢٤٨، وهو مرسلاً عندهما وقد وصله البزار كما ذكر ذلك الزرقاني في شرحه على الموطأ (انظر الشرح ١٤٧/٢، باب زكاة في المعادن رقم الحديث ٥٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الزكاة، /١، ٥٦١، برقم (١٤٦٧) وصححه، ووافقه الذهبي مع أن فيه الحارث بن بلال بن الحارث وهو في عداد الجهميين، والبيهقي في سنته الكبيرى، باب من أقطع قطعة أو حجر أرضًا، برقم (١١٠٦٨)، والطبراني في الكبير، باب بلال بن الحارث المزنى، برقم (١١٣٠)، وابن حارود في المستنقى، باب أول كتاب الزكاة، برقم (٣٥٨).

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، دار مكتبة الحياة، بدون رقم طبعه، ١٩٨٦م، ص ١٨٢ (ذكرها في القاعدة السادسة من قواعد ما يصلح به حال الإنسان في الدنيا)

(٤) انظر: أدوات الاستثمار في الفقه الإسلامي، مسعود صبرى، مقال منشور. <https://islamonline.net/>

(٥) انظر: مغنى المحتاج، للشريبي، ٣٩٧/١، مصر، مطبعة مصطفى الباجي الحلى، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، حماد، نزهه كمال، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ونشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص

الركن الثاني الشركة^(١): هي عقد بين المشاركين في الأصل والربح^(٢)، وتنقسم الشركة في الجملة إلى قسمين: شركة أملأك^(٣)، وشركة عقود^(٤)، وتتنوع شركة العقود إلى: شركة مفاوضة^(٥)، وشركة عنان^(٦)، وشركة وجوه^(٧)، وغيرها، وأصل الشركة التساوي في رؤوس الأموال، والأعمال، والوضعية (أي الخسارة)، والربح، فإن اختلفت رؤوس أموال الشريكين كان الربح والوضعية على قدر رأس مال كل واحد منهم^(٨).

الركن الثالث الإجارة^(٩): وهي عقد على منفعة مباحة معلومة، مدةً معلومةً، من عين معينة أو موصوفة ، أو عمل معلوم بعوض معلوم^(١٠). أي يتم فيها تبادل الانتفاع واستغلال الأعيان لمدة محددة معلومة، دون أن تنتقل ملكية الأعيان لغيرها، بل تبقى لأصحابها، مع السماح بالانتفاع بها، مقابل أجرة، والإجارة نوعان^(١١): النوع الأول: إجارة على المنافع كالأرض والدور ووسائل النقل، والثاني: إجارة على الأعمال، كالخدم والعمال وأصحاب الحرف والمهن .

(١) اختلفت عبارات تعريفات الفقهاء في تعريف الشركة، بحسب اختلاف أنواعها لديهم، فعرفها المالكية: بأنها إذن في التصرف لهما مع أنفسهما (ختصر خليل مطبوع مع مواهب الجليل، للحطاب ٦٤/٧)، وعرفها الشافعية بأنها : ثبوت الحق في شيء لاثنين فأكثر على جهة الشيع (أنهى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنباري ٢٥٢/٢ ، تكملاً الجموع للمطبعي ٥٠٥/١٣) ، وعرفها الحنابلة بأنها: اجتماع في استحقاق أو تصرف. (المغني، لابن قدامة ٣/٥ طبعة مكتبة الرياض الحدية)

(٢) رد المحتار ٤ / ٢٩٩ ، (قال د/ وهبة الرحيلي: وتعريف الحنفية هو أول التعريف لأنه يعبر عن حقيقة الشركة في أنها عقد، أما التعريف الأخرى فهي بالنظر إلى هدف الشركة وأثرها والنتيجة المرتبة عليها). (الفقه الإسلامي وأدله ٧٩٣/٤)

(٣) شركة الأملأك أي الملك تعني عند الفقهاء: الاجتماع في الاستحقاق، كاجتماع اثنين أو أكثر في تملك عقار أو منفعة أو نحو ذلك.
(انظر: رد المحتار ٤ / ٢٩٩ ، الروض المربع ٨/٧)

(٤) شركة العقد تعني: عقد بين المشاركين في الأصل والربح (انظر: رد المحتار ٤ / ٢٩٩) أي إنها عبارة عن العقد الواقع بين اثنين فأكثر للاشتراك في مال ورثمه (الفقه على المذاهب الأربعة ٨٣/٣) لأن الاشتراك في الربح دون الاشتراك في رأس المال فهي شركة مضاربة.

(٥) شركة المفاوضة: وهي أن يفوض كل إلى صاحبه شراء وبيعاً في الذمة، ومضاربة، وتوكيلاً، ومسافة بالمال وارتجاناً، (انظر: الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ٣٩٢/١)

(٦) شركة العنان: وهي أن يشترك اثنان فأكثر، في مال يتجران فيه، ويكون الربح بينهما، بحسب ما يتفقان. (انظر: المداية شرح بداية المبتديء، للمرغيني، مطبوعة مع فتح القدير لابن الهمام، ٣٩٦/٥، بداية المجتهد ٢٥٣/٢ ، المغني ١٤/٥)

(٧) شركة الوجوه: وهي أن يشترك اثنان لا مال لهما، في ربح ما يشتريان من الناس في ذمتهما، ويكون الملك والربح كما شرطا، والخسارة على قدر الملك. (انظر: المداية شرح بداية المبتديء، مع فتح القدير ٣٧٩/٥ ، بداية المجتهد ٢٥٢/٢ ، المغني ٢١٢/٢ ، المغني ١٤/٥)

(٨) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، يوسف ابن عبد البر القرطبي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٣٩٠/١

(٩) تعددت تعريفات الفقهاء في تعريف الإجارة فاتفقت في التعريف العام واختلفت في التفاصيل.

(١٠) كشاف القناع، للبهوني ٣/٥٤٦ ، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣/٥١٤٠٣ م. ونحوه عند الشافعية، (انظر: مغني الحاج، للخطيب الشربيني ٣٣٢/٢).

(١١) انظر: المداية في شرح بداية المبتديء، المرغيني ٣/٢٣٠ ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ٤/٨ وما بعدها، مغني الحاج، ٣٣٤ - ٥٤٦٠ ، كشاف القناع، ٣/٥٤٦٠

الركن الرابع المراحة: وهي كل عقد يقصد به الطرفان الربح دون غيره، قال الجرجاني: هي البيع بزيادة على الثمن الأول^(١)، فيقدم أحدهما المال والآخر العمل، قاصدين بذلك الحصول ما يخرج من هذا العمل من ربح، ومن أهم نماذجها: المضاربة.

المطلب الثاني: أنواع الاستثمار الأجنبي في الوقت المعاصر:

الاستثمار الأجنبي في الوقت المعاصر ينقسم عدة أنواع بحسب اعتبارات معينة.

أولاًً: ينقسم من حيث اعتبار الجهة المالكة له قسمين^(٢):

١-الاستثمار العام: وهو ما تقوم به الحكومات الأجنبية أو المؤسسات أو الميئات التابعة لها، أو المؤسسات الدولية والإقليمية.

٢-الاستثمار الخاص: وهو ما يقوم به الأفراد أو الشركات والميئات الخاصة ذات الجنسية الأجنبية.

ثانياً: وينقسم من حيث التملك الكامل أو الجزئي إلى: استثمار كامل أو استثمار جزئي (مشترك)

١-الاستثمار الكامل هو: تملك المستثمر الأجنبي الشركة أو المشروع تملكاً كاملاً، وله السيطرة الكاملة في اتخاذ القرار.

٢-الاستثمار الجزئي (المشترك): وهو استثمار مشترك بين المستثمر الأجنبي والمستثمر المحلي، وبنسب متفاوتة، تتحدد وفقاً لاتفاق الشركاء، وحسب القوانين المنظمة لتملك الأجانب، حيث تنص قوانين كثير من الدول، التي يقام فيها المشروع المشترك على أن لا تتجاوز نسبة المستثمر الأجنبي عن ٤٩٪ من رأس مال المشروع، وذلك تفادياً للهيمنة الأجنبية على جانب مهم من مشروعات الاقتصاد المحلي؛ إذ إن الدول التي تستضيف الاستثمارات الأجنبية تحرص على أن تأخذ القرارات التي تتحدد في إطار الاستثمار الأجنبي في اعتبارها المصالح الحيوية والمهمة لاقتصادها المضيف، وعادة يكون تحقيق هذا الهدف من خلال الاستثمار المشترك متاحاً أكثر مما لو كان المشروع مملوكاً بالكامل للمستثمر الأجنبي، وما قد يثيره ذلك من شك وريبة ضد السيطرة الاقتصادية للمستثمر الأجنبي^(٣).

ثالثاً: وينقسم من حيث المباشر وغير المباشر قسمين:

١- استثمار مباشر: وهو تملك الأجنبي -Governments أو أفراد- مشاريع استثمارية خارج الحدود الإقليمية لدولته التي يتمتع بجنسيتها بما يضمن له حق السيطرة والإشراف المباشرين على نشاط ذلك المشروع

(١) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٦٦

(٢) تدابير تشجيع استثمار رؤوس الأموال العربية، المالكي، عبدالله عبدالمجيد، ص ١٦

(٣) الاستثمار الأجنبي الخاص في المملكة "تجربة سابك" ، إبراهيم بن سلمة، وهو بحث مقدم إلى ندوة الاستثمار الأجنبي الخاص في المملكة، وزارة الخارجية، الرياض، ١٤١٨، ص ٢٧.

المعني، وما يتصل به من حقوق وواجبات^(١). ويتمثلها الشركات متعددة الجنسيات التي تملك مشاريع كثيرة، في دول مختلفة من العالم، حيث تميز هذه الشركات بضخامة أعمالها وأنشطتها^(٢).

٢-استثمار غير مباشر: وهو تملك الأجنبي عدداً من السندات أو الأسهم في إحدى الشركات المحلية بصورة تمكنه من السيطرة أو الرقابة على أعمالها مقابل حصوله على عائد، نظير هذه المشاركة المتمثلة بالأسهم والسندات^(٣).

وجميع أنواع الاستثمارات السابقة سمح بها النظام السعودي الجديد للمستثمر الأجنبي، بقواعد وضوابط وأنظمة محددة، حيث كان الاستثمار الأجنبي في الماضي محدوداً ولم يكن مسموماً للمستثمر الأجنبي بالتملك الكامل للمشروع، أما الآن وفق نظام الاستثمار الجديد فقد سُمح للمستثمر الأجنبي الاستثمار في أكثر القطاعات، ومنها:

- ١- الاستثمار في مجال التطوير العقاري، وامتلاك الأجنبي العقارات لعملهم، أو سكنهم ولكن بشرط أن يكون ذلك خارج نطاق مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة.
- ٢- الاستثمار في مجال الأوراق المالية وشراء الأسهم: من خلال قيام المستثمر بشراء بعض السندات أو الاستثمار في الصندوق المالي من أحد الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي.
- ٣- الاستثمار في مجال التعليم، والتدريب، والاتصالات، والدعائية والإعلان، ومزاولة بعض الأنشطة المتعلقة بالمواد الصوتية والمرئية وبعض أنشطة المطبوعات والنشر المحددة.
- ٤- الاستثمار في مجال النقل بأنواعه، وخدمات الشحن البحري، والشحن الجوي للبضائع، تنظيم المعارض، خدمات التموين والأغذية، وخدمات الطيران، والمناولة.
- ٥- أيضاً يحق للمستثمر الأجنبي ممارسة نشاط وكلاه الاستقدام، وتأجير العمالة المنزلية.

وغير ذلك من أنواع النشاطات المختلفة التي سمحت للأجنبي الاستثمار فيها، سواء كان هذا الاستثمار مشتركاً بين المواطن والمستثمر الأجنبي، أو مملوكاً بالكامل للمستثمر الأجنبي، فقد نصت لائحة نظام الاستثمار الأجنبي على أنه: (يجوز أن تكون الاستثمارات الأجنبية التي يرخص لها طبقاً لأحكام النظام وهذه اللائحة بإحدى الصورتين الآتيتين:

- ١- منشآت مملوكة لمستثمر وطني ومستثمر أجنبي.

(١) انظر: الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، محمد عبدالعزيز عبدالله، دار النفائس، الأردن، ط، ١٤٦، ص ٢٠٠٥

(٢) الاستثمار الأجنبي المباشر والدول النامية، د.عبد الله السلامة، بحث مقدم إلى ندوة الاستثمار الأجنبي بالمملكة، وزارة الخارجية، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ١٧٤

(٣) تدابير تشجيع استثمار رؤوس الأموال العربية، عبدالله المالكي، ص ١٩-١٦

٢- منشآت مملوكة بالكامل لمستثمر أجنبي.

ويقتصر الشكل القانوني لها على شركة ذات مسؤولية محدودة أو شركة مساهمة، أو فرع شركة أجنبية، أو أي شكل قانوني آخر يصدر مجلس الإدارة قراره في شأنه^(١)

باستثناء أنشطة معينة ومارسات نصت عليها اللائحة، لا يحق للمستثمر الأجنبي الاستثمار فيها، ولا مجال للحديث عنها لأنها ليست موضوع البحث.

المبحث الرابع

حكم استثمار الأجنبي غير المسلم في البلاد الإسلامية

في هذا المبحث سأوضح أحكام أهم المعاملات التي يمكن أن يتعامل بها المسلم مع المستثمر الأجنبي غير المسلم إذا قدم للبلاد الإسلامية للاستثمار؛ حيث إن المعاملات المالية لا تخرج في الغالب عن التعاون مع المستثمر الأجنبي في التجارة بأنواعها وعقد الشراكة بينهما، أو أن يعُقد نوع من أنواع الإجارة، أو أن يحدث بينهما إقراض واقتراض، أو مضاربة، أو وكالة؛ ولذا قسمت المبحث عدّة مطالب، وفي كل مطلب بيان للحكم الشرعي لكل عقد مما سبق.

المطلب الأول: حكم التعامل مع المستثمر الأجنبي في التجارة والشركة ونحوهما من المعاملات المالية.

الأصل في قواعد الشريعة أنه لا يوجد ما يمنع التعامل مع غير المسلم في التجارة والشركة ونحوهما من المعاملات المالية، حيث لا يوجد نص يحرم ذلك، بل وجدت بعض التصرفات من الرسول صلى الله عليه وسلم تؤيد ذلك، -سيأتي ذكرها-، وبناء على هذا الأصل فقد تعددت آراء الفقهاء المعاصرين في حكم مشاركة الأجنبي غير المسلم في الاستثمار، بناء على تعدد آراء الفقهاء في حكم مشاركة غير المسلم في التجارة والشركة ونحوهما من التعاملات المالية.

وقد اختلف الفقهاء في حكم مشاركة المسلم لغير المسلم في التجارة ونحوها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: تحريم مشاركة غير المسلم وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية^(٢)، والمالكية^(١)، والشافعية^(٣)،

(١) المادة الرابعة، من اللائحة التنفيذية لنظام الاستثمار الأجنبي، الصادرة بقرار مجلس الإدارة رقم (١/٢٠) وتاريخ ١٣ /٤ /١٤٢٣ هـ بعد التعديل، موقع وزارة الاستثمار.

(٢) واختلفوا في شركة المفاوضة فقال أبوحنيفه و محمد بن الحسن لا تجوز مشاركة غير المسلم فيها لعدم التساوي في الدين؛ لأن غير المسلم يختص بتجارة لا يجوز ذلك للمسلم، وهي التجارة في الخمر والخنزير فلم يستويا في التجارة فلا يتحقق معنى المفاوضة، ورأى أبويوسف جواز الشركة بين المسلم وغير المسلم في شركة المفاوضة للتساوي بينهما في الوكالة والكمالة (انظر: السرخسي، المبسوط،

وهو قول عند الحنابلة^(٣)، وبه قال بعض العلماء المعاصرين^(٤)، واستدلوا بما يلي:

١- قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْخِدُوهُنَّا إِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُونَمَا عَنِتُّرْ قَدْ بَدَأْتِ الْبَعْضَاءِ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَتِ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وجه الدلالة: قال الجصاص في تفسير هذه الآية: (وفي ذلك دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العِمالات والكتبة)^(٥).

ويناقش هذا بأن النهي فيما يخص اطلاع الكفار على أسرار المسلمين ودواخل أمرهم، كالكتاب والوزراء والمستشارين ونحوهم؛ لأن البطانة هم خواص الإنسان ومن يطلع على أسراره ودواخل أمره، عن أبي الدهاقنة قال: قيل لعمر بن الخطاب: إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة، حافظ، كاتب، فلو اتخذته كتاباً، فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين^(٦)، قال ابن كثير بعد ذكر هذا الأثر: ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمرهم التي يخشى أن يفشواها إلى الأعداء من أهل الحرب، ولهذا قال تعالى: "لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُونَمَا عَنِتُّرْ" ^(٧)، وفرق بين المشاركة في المعاملات وبين اتخاذ الكفار خواص مقربين يطلعون على الأسرار، والأمور الخاصة.

١/ ط٢، ١٩٦، بيروت دار المعرفة للنشر، المرغيناني، المدavia في شرح بداية المبتديء ٤/٣، ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، (١٨٥/٥).

(١) انظر: المدونة الكبرى، الأصبهي، مالك بن أنس بن عامر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥/٥١٩٩٤ م، مواليد ٦١٧/٣ م، مواليد لشرح مختصر خليل، الخطاب الرعيني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، ضبطه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦/٥١٩٩٥ م، ٦٦/٧ - ٦٧/٦.

(٢) انظر: المذهب، الشيرازي، ٣٤٥/١، تكميلة المجموع شرح المذهب، المطبعي، محمد بن نجيب، دار الفكر، بيروت، ٦٤/١٤، روضة الطالبين وعمدة المفتين، النwoي، يحيى بن شرف، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٢/٥١٩٩١ م، ٢٧٥/٤.

(٣) انظر: المغني، ابن قدامه، ١٠٩/٥، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي، علي بن سليمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦/٥١٩٥٦ م، ٤٠٧/٥.

(٤) و منهم: محمد رواس قلعة جي (مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م، ص ١٦١)، حيث يرى: أن الأصل في الاستثمار الأجنبي في الدول الإسلامية المنع، إلا في ظروف استثنائية اضطرارية وبكثير من الحيطة والحذر.

(٥) أحكام القرآن الكريم، الجصاص، أحمد بن علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ م، ٤٧/٢.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٥٠/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦٥٨/٨)، وهو ضعيف.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٦/٢، تحقيق سامي السالمة، دار طيبة للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ.

٢- آيات الولاء والبراء التي تنهى عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَكْفَارِينَ أَوْيَاءً مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنْهُمْ تَقْدِةٌ وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَّا اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالصَّرَائِرَ أَوْيَاءً بَعْضُهُمْ أَوْيَاءً بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمَنْ كُنْتُمْ فِي إِنَّهُمْ مِّنْهُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنْهُمْ تَقْدِةٌ وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَّا اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿المائدة: ٥١﴾

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا أَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلَيَاءَ إِنْ أَسْتَحِبُّوا الْكُفَّارَ عَلَى الْإِيمَنِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبه: ٢٣]

وغيرها من الآيات.

وجه الدلالة من الآيات: فيها دلالة صريحة على عدم جواز موالاة غير المسلمين، أو اتخاذهم أعوناً وأنصاراً، أو التوedd لهم، ومناصرهم، ومؤاخاهم، حتى ولو كانوا أقرب الناس^(١)، والسماح للكفار بالاستثمار في البلاد الإسلامية قد يحدث فيه نوع من الموالاة والألفة والمناصرة لهم فلا يجوز.

مناقشة هذا الاستدلال: أن مفهوم الولاء في هذه الآيات وغيرها المقصود به: ولادة التناصر وهو أن يناصر المسلمون غير المسلمين ويتحالفوا معهم ضد المسلمين، كما أن هذه الآيات جاءت في قوم معادين للإسلام ومحاربين للمسلمين، فلا يحل للMuslim مناصرهم ومظاهرتهم، وهو معنى الموالاة، واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار، وخلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته^(٢)، والسماح بالاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية لا يقصد منه المفهوم السابق، وإنما فيه تحقيق مصلحة ومنفعة لبلاد المسلمين، يضاف إلى ذلك أن من يدخل من غير المسلمين إلى بلاد المسلمين يكون مستأمناً بمقتضى عقد الأمان، الذي أوجبه لهم الإسلام ما داموا دخلوا مسلمين، ولم يدخلوا محاربين أو متآمرين على المسلمين.

٣- ما روي عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس-رضي الله عنه- إن رحلاً جلباً يجلب الغنم، وإنه ليشارك اليهودي والنصراني؟ قال: "لا يشارك يهودياً ولا نصرانياً ولا جوسياً"، قال: قلت: لم؟ قال: "لأنهم يربون، والريا لا يحل"^(٣)، قال المطيعي: "ولا مخالف له"^(٤)، وقال ابن المقرى: "وتكره مشاركة ذمي ومن لا يحترز من الريا ونحوه"^(١)، وقال ابن نحيم: "تكره الشركة مع الذمي"^(٢)

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبرى، محمد بن جرير، ٣٠٩/٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطى، ٩٣/٨، الكشاف عن حقائق غواصات التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٧٧، ٦١٩/١، ٩٤-٩٣.

(٢) جامع البيان، الطبرى ٦-٣٧٦، الجامع لأحكام القرآن، للقرطى، ٦/١٤٠-١٤١، أحكام القرآن، للجصاص، ٦٣٤-٦٣٣/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب البيوع والأقضية، باب: في مشاركة اليهودي والنصراني، حدث رقم (٢٠٣٤٧)، ٦/٦، (٨/٦).

(٤) تكملاً للمجموع، المطيعي، ١٤/٦٤.

ويناقش هذا الاستدلال من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن هذا قول واحد من الصحابة، لم يثبت انتشاره بينهم، وهم لا يحتاجون به^(٣)، كما أن القول الواحد لا ينافي الأدلة التي ثبت فيها تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين، كمعاملته يهود خيبر حيث دفع إليهم أرضاً ليعملوا فيها بشرط ما يخرج منها، وقد ابتعث طعاماً من يهودي، ومات ودرعه مرهونة عنده، وأضافه يهودي وأكل طعامه، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يأكل إلا الطيب. وغير ذلك من أدلة سيأتي ذكرها في القول الثالث.

الوجه الثاني: أن قول ابن المقرئ، وابن نجيم أن النهي يعني الكراهة، والكراهة لا تعني التحرير إلا بدليل ثابت، ولعل مستندهم هو العمل بالأحوط، فحملوا النهي في قول ابن عباس - رضي الله عنه - على الحرمة، لا على الكراهة.

٤- عن الصحاح قال: لا تصلح مشاركة المشرك في حرث، ولا بيع بعث عليه؛ لأن المشرك يستحل في دينه الربا وثمن الخنزير^(٤).

ويناقش هذا بأن هذا رأي تابعي لا ينافي ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعامل مع غير المسلمين، ولعلهم قالوا بالحرمة من باب العمل بالأحوط، كما أشرنا في مناقشة الدليل الثالث.

٥- الإجماع السكوتوي^(٥)، وقد نقله ابن قدامة فقال: "القول بالكراهة هو قول ابن عباس - رضي الله عنه - ولا يعرف له مخالف من الصحابة فكان منزلة الإجماع السكوتوي^(٦).

وما نقله ابن قدامة يدل على أن النهي المراد به الكراهة لا التحرير، بدليل سكوت الصحابة فلم يخالف أحد منهم رأي ابن عباس.

٦- لأن مال غير المسلم ليس بطيب^(٧)؛ لأنه لا يتورع عن التعامل بالحرمات كالربا ونحوه^(٨).

(١) روض الطالب لابن المقرئ مطبوع مع شرحه أنسى المطالب للستيكي، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى، دار الكتاب الإسلامي، بدون طبعة وبدون تاريخ، ٢٥٣/٢

(٢) الأشباه والنظائر، زين الدين بن إبراهيم، المعروف بابن نجيم، تحقيق: محمد مطعيم الحافظ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٢٣ (كتاب الشركة)

(٣) المغني ٤/٥

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب البيوع والأقضية، باب: في مشاركة اليهودي والنصاري، حدديث رقم ٢٠٣٥٢، ٦/٨).

(٥) الإجماع السكوتوي: وهو أن يقول بعض المحتددين في مسألة قولاً، أو أن يفعل فعلًا ويستكت الباقون بعد اطلاعهم عليه دون إنكار، ويسمى الإجماع السكوتوي عند الحنفية "بالرخصة"؛ لأنه يجعل إجماعاً ضرورة للاحترام عن نسبة الساكتين إلى الفسق والتقصير، ويسمى الإجماع القولي عندهم "عزيمة" (انظر: أصول السرخسي، للسرخسي، ٣٠٣/١، كشف الأسرار للبغاري، البزدوي، ٣٢٦/٣)

(٦) ابن قدامة، المغني، ٤/٥

ويناقش: قوله إن أموالهم غير طيبة لا يصح، بدليل قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْرَ أَجِلَ لَكُمُ الظَّبَابُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ [المائدة ٥]، وهذا نص في حل طعامهم، قال ابن قدامة: "والنبي صلى الله عليه وسلم قد عاملهم، ورهن درعه عند يهودي على شعير أخذه لأهله وأرسل إلى آخر يطلب منه ثوبين إلى ميسرة، وأضافه يهودي بخنزير وإهالة^(٤)، ولا يأكل النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس بطيب.."^(٥)، وقال ابن القيم: "وقد علل طائفة كراهة مشاركتهم بأن كسبهم غير طيب، فإنهم يبيعون الخمر والخنزير، وهذه العلة لا توجب الكراهة فإن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: ولوهم بيعها، وخدعوا أنفسنا"^(٦)، كما أنه يمكن الاحتراز من التعامل بالحرمات عند الاستثمار مع غير المسلمين باشتراط التعامل في الاستثمار الأجنبي وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية^(٧).

٧- ولأن الذمي لا يهتدى إلى الجائز من العقود^(٨)

ويناقش هذا: بمثل مناقشة الدليل السابق، يضاف إلى أن من أجاز مشاركة غير المسلمين اشتراط أن يكون المال في يد الشريك المسلم، وبالتالي ستكون التعاملات وفق المشروع من العقود.

القول الثاني: حجاز مشاركة غير المسلم مع الكراهة بشرط أن يتولى المسلم التجارة بنفسه، وأن لا ينفرد غير المسلم بالتصرف، أو يكون المسلم رقيباً على معاملات الكافر، حتى لا يتعامل بالربا أو غيره من الحرمات، وهذا قول بعض المالكية^(٩)، وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة^(١٠)، وبه أفتى الشيخ ابن

(١) المجموع شرح المذهب، النوي، يحيى بن شرف، ١٣/٤٥٠، معي المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشريبي، محمد الخطيب، دار الفكر للنشر، ٢١٣٩٨هـ.

(٢) المجموع، النوي، ١٤/٦٤، المبدع، ابن مفلح، ٤/٥، المغني، ابن قدامة، ٥/٣.

(٣) الإهالة: مصدر الفعل أهل، والإهالة هي الألية ونحوها، يؤخذ فيقطع ويداب، ويقال هو كل دسم جامد. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة(أهل)، ص ٧٨، باب المهمزة والماء، ط ١، ٤٢٢/١٤٠٠م.

(٤) ستحة: أي متغير الربح. انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/٨٢، وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "وأما قولهم ستحة الدهن، إذا تغير، فليس بشيء" (انظر مادة ستحة، باب السين والنون، ص ٤٧١).

(٥) ابن قدامة، المغني، ٥/٤.

(٦) أحكام أهل السنة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: يوسف البكري، شاكر العاروري، الدمام، رمادي للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٧) شركة المساهمة في النظام السعودي، د. صالح الزابي البعمي، ص ٧٤.

(٨) المداية في شرح بداية المبتديء، المرغيني، ٣/٥، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، ٣/١٨٣.

(٩) انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدسوقي، محمد عرفه، دار الفكر، بدون طبعة أو تاريخ، ٣٤٨/٣، حاشية العدوى على كفاية الطالب الريانى، العدوى، علي بن أحمد بن مكرم، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة أو تاريخ، ٢٠٢/٢، شرح مختصر خليل، الخرشى، محمد بن عبدالله، دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون طبعة أو تاريخ، ٦/٣٨.

باز^(٢)، وقال بهذا أيضاً الشيخ صالح الفوزان^(٣)، فدل ذلك على جواز الاستثمارات الأجنبية في البلاد الإسلامية بشرطها.

- نقل الخطاب الرعيمي عن بعض المالكية كراهة مشاركة المسلم الذمي، إلا إن كان المسلم يتولى البيع والشراء، قال رحمه الله: "وصح بذلك في الشامل، فقال: وكرهت مشاركة ذمي، ومتهم في دينه، إن تولى البيع والشراء، وإلا جاز"^(٤)، واستدلوا بعدد من الآثار:

- ١ - ما رواه الحلال بإسناده عن عطاء قال: "نفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مشاركة اليهودي والنصراني، إلا أن يكون الشراء والبيع بيد المسلم"^(٥)
- ٢ - عن الحسن أنه لم يكن يرى بأساً بشركة اليهودي والنصراني، إذا كان المسلم هو الذي يرى الشراء والبيع.^(٦)
- ٣ - عن ليث قال: كان عطاء وطاوس ومجاهد يكرهون شركة اليهودي والنصراني، إلا إذا كان المسلم هو الذي يرى الشراء والبيع^(٧)
- ٤ - عن إياس بن معاوية قال: لا بأس بشركة اليهودي والنصراني، إذا كانت تعمل بالمال.^(٨)
- ٥ - أن العلة في كراهة مشاركتهم في التجارة هو معاملتهم بالربا، وبيع الخمر والخنزير، وهذا منتظر فيما حضره المسلم أو وليه^(٩)، بدليل ما روي عن عبد الله بن عباس أنه سُئل من رجل: أي شارك المسلم اليهودي والنصراني؟ فقال: فلا يفعل؛ لأنهم يربون وأن الربا لا يحل لك، قال الإمام مالك في

(١) المبدع، ابن مفلح، وقال ما نصه "ولا تكره مشاركة كتابي إن ولي المسلم التصرف، نص عليه لنفيه - عليه السلام - عن مشاركة اليهودي والنصراني إلا أن يكون الشراء والبيع بيد المسلم" ٤/٣٥٦، الإنصاف، المرداوي، ٤٠٧/٥، أحكام معاملة أهل الذمة لابن القيم ١/٥٥٥

(٢) موقع ابن باز الإلكتروني، قسم الفتوى)، (فتواي نور على الدرب ٣٧٧/١)، ونحوه في (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٦٠/٦٠ ، ضمن الأسئلة المقدمة لسماته في حج ١٤٠٧ هـ)

(٣) الملخص الفقهي، الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، الطبعة الرابعة عشر، ٩٦/٢، ١٤٢١ هـ، وقال ما نصه: "وتجوز مشاركة المسلم للكافر بشرط أن لا ينفرد الكافر بالتصرف، بل يكون بإشراف المسلم؛ لغلا يتعامل الكافر بالربا، أو المحرمات إذا انفرد عن إشراف المسلم" انتهى.

(٤) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ٦٧/٦٧

(٥) قاله ابن قدامة في المغني ٥/٣، ولم أجده، ولو صح فهو حديث مرسل. (والمرسل في اصطلاح المحدثين هو الذي يقول فيه التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، والمرسل غير مقبول عند كثير من المحدثين لأن فيه سقطاً، والساقط يتحمل أن يكون تابعاً، والتابعي قد يكون غير ثقة (عبدالمحسن العباد، شرح سنن أبي داود ١/٢٨)

(٦) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب البيوع والأقضية، باب في مشاركة اليهودي والنصراني، ٦/٨.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب البيوع والأقضية، باب: في مشاركة اليهودي والنصراني، حديث رقم (٢٦٤٠)، ٥/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: البيوع والأقضية باب: في مشاركة اليهودي والنصراني، حديث رقم (٢٠٣٥٣)، ٦/٨.

(٩) ابن قدامة، المغني ٥/٣، وانظر: أحكام أهل الذمة، لابن القيم ١/٥٦٠

المدونة: وبلغني عن عطاء بن أبي رباح مثله، قال: إلا أن يكون المسلم يشتري ويبيع، وقال الليث مثله^(١)

القول الثالث: جواز مشاركة غير المسلم مطلقاً من غير كراهة وهو قول الظاهري^(٢)، وبعض الباحثين المعاصرین^(٣)، واستدلوا بما يأتي:

١ - ما روی عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "أن النبي صلی الله عليه وسلم عامل خيبر بشطر، أي نصف ما يخرج منها من قمر، أو زرع"^(٤).

وجه الدلاله: معاملة الرسول صلی الله عليه وسلم ليهود خيبر، عندما دفع إليهم الأرض ليقوموا باستثمارها فيه دلالة على "جواز مشاركة المسلم للكافر في المزارعة من غير كراهة؛ لأنها لو كانت مكرهه لما شاركهم رسول الله صلی الله عليه وسلم"^(٥)، والحديث بؤب عليه البخاري في كتاب الشركة من صحيحه بقوله: "باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة"^(٦) ، قال العيني: "أي هذا باب في بيان حكم المزارعة مع اليهود وأراد بهذه الترجمة أنه لا فرق في جواز المزارعة بين المسلمين وأهل الذمة وإنما خصص اليهود بالذكر وإن كان الحكم يشمل أهل الذمة كلهم؛ لأن المشهور في حديث الباب اليهود فإذا جازت المزارعة مع اليهود جازت مع غيرهم من أهل الذمة كذلك"^(٧)

والإمام البخاري بما سبق يوضح جواز الشركة مع غير المسلمين؛ حيث يُعدّ كثير من الفقهاء المزارعة والمساقاة نوعاً من أنواع الشركات، ومعلوم أن الدخول في الشركة يقتضي التعامل بشكل دوري كما تتضمن الشركة ائتمان كل من الشركين بالأمر، لا سيما ائتمان المالك بالعامل في الأرض كما هو معلوم في الفقه

(١) المدونة الكبرى، مالك بن أنس، ٦١٧/٣.

(٢) الأخلي بالآثار، ابن حزم، ٤١٦/٦.

(٣) ومنهم محمد علي العلاء، (في بحث الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية مقدم لندوة العالم الإسلامي المعقدة في القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤٧) وشوقى الفتحري (الإسلام والتنمية الاقتصادية، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، ص ٢٠١)، ومحمد فاروق النبهان (أبحاث في الاقتصاد الإسلامي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٢٨٣)، وعبد الرحمن يسري السيد (بحث تبعية الدولة الإسلامية للموارد الخارجية، مقدم لندوة موارد الدولة المالية في المجتمع الحديث من وجهة النظر الإسلامية في البنك الإسلامي للتنمية، جدة، ص ٢٢٩)، ومحمد عبدالعزيز عبدالله (الاستثمار الأجنبي المباشر ص ١٦٦، ١٩١)

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب المزارعة مع اليهود.

(٥) شركة المساهمة في النظام السعودي، د. صالح زايد البقumi، ص ٧٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة.

(٧) عمدة القاريء، العيني، ١٢٠/١٢

الإسلامي^(١)، فإذا جازت مشاركة الكافر في المزارعة جازت في غيرها من المعاملات التجارية، الأمر الذي يعد دليلاً على جواز الاستثمارات الأجنبية في الدول الإسلامية.

وقد أجاب الشيخ ابن عثيمين عن ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (أنه عامل أهل خير بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع وهم كانوا كفاراً)، فقال: بالنسبة للمزارعة فإن شاركه كعامل فلا بأس به، فإذا كان أعطاه أرضاً ليزرعها أو ما أشبه ذلك بجزء ما يخرج منها فلا بأس به.^(٢)

٢- ما روي عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتري طعاماً من يهودي بنسائه فأعطاه درعاً له رهناً^(٣)، وفي رواية مسلم: "اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهودي طعاماً فأعطاه درعاً له رهناً"^(٤)

وجه الدلالة: حديث عائشة برب له البخاري بعنوان (باب الرهن عند اليهود وغيرهم)، ليدل على إباحة التعامل مع اليهود وغيرهم بالبيع والشراء، والرهن، ونحو ذلك من التعاملات المالية. قال العيني: أي هذا باب في بيان حكم الرهن عند اليهود وغيرهم مثل النصارى والحربي المستأمنون^(٥)، وغرضه جواز معاملة غير المسلمين^(٦). فالإمام البخاري بذلك هذا الباب يوضح جواز التعامل مع غير المسلمين ولو كان غير يهودي، علماً بأن النص جاء في اليهود ولكن البخاري وسع دائرة التعامل لتشمل غيرهم من الديانات الأخرى، وهذا من فقهه-رحمه الله-والدليل على ذلك قوله في عنوان الباب: (وغيرهم).

٣- ما روي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- "أنه مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخنز شعير وإهالة سنحة، ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعاً له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شيئاً لأهله"^(٧)

(١) يد الشريك يد أمانة عند الفقهاء، والقاعدة في الأمانات أنها لا تضمن إلا بالتعدى أو التقصير. قال الزركشي: "اليد ضربان: وذكر في الضرب الثاني: يد أمانة كالوديعة والشركة والمضاربة والوكالة ونحوها.." (المشهور في القواعد الفقهية، للزركشي، تحقيق: د/تيسير محمود، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الثانية، ٤٠٥/١٩٨٥م) وانظر: الأشباه والنظائر، لابن نجيم ص ٣٢٦ وما بعدها، والفرق للقرافي ٢٠٧/٢، طبعة عالم الكتب، بيروت.

(٢) من فتاوى الشيخ ابن عثيمين (برنامج فتاوى نور على الدرب) منشورة على الانترنت.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي بنسائه، برقم (١٩٢٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر، برقم (٣٠٠٧).

(٥) عمدة القاري، العيني، ١٣/٧٤.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ٥/٤٥.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي بنسائه، برقم (١٩٢٧).

وجه الدلالة: أن معاملات النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود المختلفة تدل على أن الأصل جواز التعامل مع الكفار، ومنها جواز التعامل معهم في الشركة وغيرها.

فإن قيل: لماذا عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاملة معاشر الصحابة -رضي الله عنهم- إلى معاملة اليهود؟؟، فقد أجاب أهل العلم عن ذلك: بأنه من المحتمل أنه لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل، أو أنه عليه السلام فعله لبيان الجواز، فقد استفاد العلماء من هذا الحديث جواز معاملة الكفار على الوجه المباح بالبيع والشراء والإيجار والاستئجار والرهن والارتكان ونحو ذلك، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم^(١).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل غير المسلمين في شأن من شؤون الدولة، وهو تعليم المسلمين الكتابة في غزوة بدر^(٢)، والتعليم لا يقل خطراً في التأثير على المسلمين عن الاستثمار، بل ربما يكون أكبر، فدل ذلك على جواز التعامل مع غير المسلم في الاستثمار ونحوه.

- عن سعد بن أبي وقاص، قال: "مرضت مرضًا أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردتها في كل فؤادي، فقال: إنك مفهود، فأت الحارث بن كلدة أنا شقيق فإنه رجل يتطلب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة، فليجأهن^(٣) بنواهن ثم ليلدهك بهن"^(٤)

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سعداً أن يتداوى عند الحارث، وكان الحارث كافراً؛ لأنه ثقة وأمين، فدل ذلك على جواز استثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية إذا كان ثقة وأميناً تطمئن إليه النفس.

- قياس جواز استثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية في الوقت المعاصر، على جواز إحياء أرض الموات لأهل الذمة المواطنين عند جمهور الفقهاء^(٥)، بجمع حصول المصلحة والمنفعة للمسلمين.

- أنه لم يأت القرآن، ولا سنة بالمنع من ذلك، ولم يأت دليل يشترط المساواة في الدين في التعاملات المالية، فتبقى على الأصل وهو الإباحة^(٦).

(١) انظر: المعنى، ابن قادمة، ٤/٥

(٢) مستند الإمام أحمد، ٢٤٧ /١، طبعة دار الفكر

(٣) "فليجأهن" بفتح ياء المضارعة وفتح الجيم، أي: فليدقهن به وسميت الوجبة وهو تمري بلبن أو سمن حتى يلتسم، وقوله "ليلدك" من اللدد، وهو صب الدواء في الفم. (انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١٥٢/٥)

(٤) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تمرة العجوة، برقم (٣٨٧٥)، ذكره الميثمي في مجمع الروايد وقال: رواه الطبراني، وفيه يونس بن الحاج النقفي ولم أعرفه (٩١/٥)، وضعفه الألباني في الحامع برقم (٢٠٣٣)

(٥) انظر: بدائع الصنائع، للكاساني، ١٩٥/٦، حاشية الدسوقي، للدسوقي، ٤/٦٩، شرح منتهى الإرادات، للبهوتى، ٦٦٦/١، بيروت عالم الكتب، الطبعة الأولى، ٤١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.

(٦) انظر: الحلى، بن حزم، ٤١٦/٦

- ٨- مشروعية أخذ الجزية من أموال الكفار على الرغم مما فيها من حرام^(١)
- ٩- أن الشريعة الإسلامية مبنية قواعدها على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومصلحة الدول الإسلامية في الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وما يصاحبها من رؤوس أموال أجنبية، وخبرات فنية، ومهارات إدارية، وتنظيمية، ظاهرة للعيان، لاسيما إذا ما عرفنا المشاكل التي تواجهها هذه الدول منذ عقود، في سبيل تمويل التنمية، خاصة بعد تفاقم المديونية الخارجية لهذه الدول في السينين الأخيرة، وضعف قدرتها على الاستدامة الجديدة، وحين كان الداعي للكراهة في مشاركة الكافر في المعاملات المالية هو خوف الربا، واستحلال البيوع الحرام، فيمكن الاحتراز عن هذا الاحتمال باشتراط التعامل في الاستثمار الأجنبي وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وبهذا يزول الداعي إلى القول بالكراهة....^(٢).

الترجيح:

من حلال ما تقدم يتوجه لدى - والله أعلم - جواز مشاركة غير المسلم في التجارة وغيرها بشروط، يضاف إلى ذلك أن مجموعة الآثار وأدلة المعمول التي استدل بها القائلون بعدم الجواز، لا تناهض مجموعة الأدلة التي استدل بها القائلون بالجواز.

وعليه أرى أن الحكم في مسألة جواز مشاركة المستثمر الأجنبي من عدمه يدور حول نوع الاستثمار و مجالاته على التفصيل الآتي:

- ١-إذا كان الاستثمار الأجنبي استثماراً مشتركاً بين المسلم وغير المسلم فيجب أن يكون المسلم هو المنصرف بأموال الشركة، وأن يكون التعامل في الشركة مع غير المسلم وفق قواعد الشريعة الإسلامية وضوابطها فيما يحل ويجرم من المعاملات.
- ٢-إذا كان الاستثمار استثماراً خاصاً وكاملاً للمستثمر الأجنبي، فيجب أن يكون استثماراً مباحاً، وفي مجالات معينة تشرف عليها مؤسسات الدولة الإسلامية، وتطبق عليه كامل أحكام المعاملات الإسلامية.
- ٣-أن يكون مجال الاستثمار الأجنبي في كل ما فيه منفعة ومصلحة للمسلمين ولبلاد المسلمين، ولا يكون الاستثمار في مجالات تتعلق بأمن المسلمين وأنشطتهم الحيوية والاستراتيجية.

(١) فتح الباري، لابن حجر ١٣٥/٥.

(٢) شركة المساهمة في النظام السعودي، د. صالح زاين البقمي، ص ٧٤.

٤- لا يجوز التعامل مع المستثمر الأجنبي بالمعاملات المحرمة كالربا والقمار، ولا بالمواد المحرمة كالمخدرات والخمور ولحوم الميتة والخنزير؛ لأن التعامل بالمعاملات المحرمة، وفي المواد المحرمة من نشر الفساد في الأرض، والله لا يحب الفساد.

المطلب الثاني: حكم التعامل مع المستثمر الأجنبي بعقد الإجارة

الأصل في المعاملات الحل، ولم يرد دليل في الشرع ينهى عن تأجير أهل الكتاب، وقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب في عدة وقائع من بيع وشراء ورهن وقبول هدية وغير ذلك، ولم يتحرج من ذلك، والإجارة مثلها مثل بقية العقود، وجرى عمل المسلمين على ذلك منذ قرون من غير نكير، ونصوص غالبية الفقهاء على الإباحة.

ومسألة تأجير المسلم عقاره كدار أو محل أو مستودع أو نحو ذلك لغير المسلم بغرض السكنى أو التجارة ونحوها، فيه تفصيل عند الفقهاء على النحو الآتي:

أولاًً: اتفاق الفقهاء^(١) على أنه إذا عقدت الإجارة بين المسلم وغير المسلم على منفعة مباحة للسكنى وغيرها من الأمور المباحة، فيجوز للمسلم إبرام العقد ولا حرج عليه في ذلك، وإن أحدث المستأجر معصية أو جاهر بها فالعقد صحيح؛ لأنه لم يعقد في الأصل على هذه المعصية، وإنما كانت تابعة للسكنى والتابع لا حكم له؛ وأنه لا يمكن التحرز من ذلك، كما أنها لم تذكر في العقد، ولم يتفق العاقد المسلم مع المستأجر غير المسلم على ذلك.

قال الإمام السرخسي: "ولا بأس بأن يؤاجر المسلم داراً من الذمي ليسكنها، فإن شرب فيها الخمر أو عبد فيها الصليب أو أدخل فيها الخنازير لم يلحق المسلم إثم في شيء من ذلك؛ لأنه لم يؤجرها لذلك، والمعصية في فعل المستأجر، فلا إثم على رب الدار في ذلك"^(٢)

ثانياً: أن يكون عقد الإجارة في الأصل على منفعة محرمة كدار لعملها معبداً أو كيسة، أو استأجر مستودعاً أو محلاً لصناعة الخمور أو تخزينها لبيعها ونحو ذلك، فالمسألة خلافية عند الفقهاء، اختلفوا على قولين:

(١) انظر: المبسوط، للسرخسي ١٦/٣٩، بدائع الصنائع ٤/١٧٦، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، الذخيرة، للقرافي ٥/٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، لبنان، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، مغني المحتاج، للشريبي ٢/٣٣٢، الشرح الكبير على متن المقنع، ابن أبي عمر عبد الرحمن بن محمد بن قدامة، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٨/٦م، ١٤٠٣هـ، أحكام أهل الذمة، لابن القيم ١/٥٨٥

(٢) المبسوط ١٦/٣٩

القول الأول: قال الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة، وأصحاب أبي حنيفة^(١): إن الإجارة لأنها معصية، ولا تتعقد شرعاً؛ لأن عقد مخالف لشرع الله، وتعاون على الإثم والعدوان، ونشر للرذيلة، وسعي بالفتنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَوِّنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]

-قال ابن أبي عمر الحنبلي في الشرح الكبير: "وجملة ذلك إن من شرط صحة الإجارة أن تكون المنفعة مباحة فإن كانت محمرة كالزنا والزمار والنوح والغناء لم يجز الاستئجار لفعله، وبه قال مالك والشافعية وأبو حنيفة و أصحابه وأبو ثور)^(٢). وجاء في الذخيرة: قال اللحمي: ويمتنع إجارة الحوانين والدور إذا كان يفعل فيها المحرمات، كبيع الخمور والمغصوب وآلات الحرب.."^(٣)

-وقال في شرح منتهی الإرادات: (ولا تصح إجارة دار لتعمل كنيسة أو بيعة أو صومعة راهب أو بيت نار لتعبد المحسوس أو لبيع خمر أو قمار ونحوه سواء شرط ذلك في العقد أو علم بقرنه)^(٤)

القول الثاني: قال أبو حنيفة: عقد الإجارة صحيح، ويجوز تأجير الدور وال محلات وغيرها لغير المسلم بدون بيان ما يعمل فيها، دون تحديد المنفعة أو تسميتها في العقد؛ لأن العمل المترافق فيها أن الدور للسكنى والهوانين (المحلات) للتجارة فينصرف إليها^(٥).

قال السرخسي: (إذا استأجر الذمي من المسلم بيته ليبيع فيه الخمر لم يجز؛ لأن معصية فلا ينعقد العقد عليه ولا أجر له عندهما، وعند أبي حنيفة-رحمه الله- يجوز ، لأن العقد يرد على منفعة البيت...)^(٦)

الترجيح:

والراجح ما ذهب إليه أصحاب القول الأول؛ لما استدلوا به، وأن الكافر المستأمن في بلاد المسلمين يجب أن تحرى عليه أحکام العقود الشرعية الصحيحة.

(١) انظر: المبسوط، ٣٩/١٦، بداع الصنائع ٤/١٧٦، الذخيرة، ٣٩٧/٥، الفروق ٤/٤، (الفرق الثالث والماضيان)، مغني المحتاج، ٢/٣٣٢، الشرح الكبير على متن المقنع، ٥٨٥/١، أحکام أهل الذمة ٥٨٥/١.

(٢) الشرح الكبير على متن المقنع، ٢٨/٦.

(٣) انظر: الذخيرة، للقرافي ٣٩٧/٥

(٤) ٢٥٠/٢

(٥) انظر: المبسوط ٣٨/١٦، بداع الصنائع ٤/١٧٦

(٦) المبسوط ٣٨/١٦

-إجارة المسلم نفسه للعمل مع غير المسلم

ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى جواز إجارة المسلم نفسه للعمل مع غير المسلم في الذمة، بشرط ألا تكون الإجارة لخدمة الذمي غير المسلم، وأن يكون العمل المكلف به مباحاً^(١) واستدلوا بما يلي:

- ١- أن علياً -رضي الله عنه- آجر نفسه من يهودي يستقي له كل دلو بتمرة، وأكل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك التمر^(٢)
- ٢- لأن الإجارة لعمل لا يتضمن تعظيم دينهم وشعائرهم، وإنما هي التزام لعمل مضمون في الذمة^(٣).
- ٣- لأن الحاجة داعية لذلك أحياناً^(٤).

فإن كان العمل يتضمن القيام على خدمة غير المسلم فلا تجوز الإجارة؛ لأنه عقد يتضمن حبس المسلم عند الكافر، وفي ذلك إذلال له^(٥) ،

المطلب الثاني: حكم التعامل مع المستثمر الأجنبي بالقرض.

قد يتطلب عمل المستثمر الأجنبي احتياجه للاستئراض أو الإقراض، فما حكم عقد القرض مع غير المسلم:

القرض في الاصطلاح: دفع مال إرفاقاً من ينتفع به ويرد بده^(٦).

(١) انظر: بدائع الصنائع ٤/١٨٩، الفتاوی المندیة، بمجموعة من العلماء، برئاسة الشیخ نظام الدین البعلبکی، بولاق-مصر، المطبعة الامیریة، الطبعة الثانية، ١٣١٠ھ، ٤٣٥/٤، الذخیرة ٥/٣٩٨، المذهب، للشیرازی ١/٥١٧، مغنى المحتاج ٢/٣٣٢، الكافی في فقه الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبدالله بن قدامة، مکة المکرمة، المکتبة التجاریة، مصطفی الباز، ٢١٧/٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١٣٥/٩٠، وقال ابن حجر في التلخیص: رواه أحمد في مسنده من طريق علي بسنده جيد. (تلخیص الحبیر ١٣٤/٣) برقم ١٣١٩، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الرهون، باب: الرجل يستقي كل دلو بتمرة ويشرط جلدته، برقم ٢٤٤٦)، والبیهقی في سننه ٦/١١٩، بسنده فيه مقال (انظر: تلخیص الحبیر: ٣٤/٣)، إلا أنه احتج به بعض أهل العلم بشواهد.

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة، لابن القیم ١/٥٦٥، ٥٦٩.

(٤) انظر: مغنى المحتاج، للشیرازی ٢/٣٣٢.

(٥) انظر: أحكام أهل الذمة، لابن القیم ١/٥٦٥، ٥٦٩.

(٦) الإقناع للحجاجی، مطبوع مع کشاف القناع للبهوی ٣١٢/٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣ھ/١٩٨٣م.

وقد اتفق جمهور الفقهاء على جواز الاستقرار من غير المسلم أو إقراضه بالشروط والضوابط الشرعية للقرض^(١)، ومنها:

١-أن يكون قرضاً حسناً لا ريا فيه.

٢-ألا يترتب على إقراضهم ضرر للمسلمين، كإقراض المخارين.

٣-أن يغلب على ظن المسلمين رجوع أموالهم إليهم، إذا كانوا هم المقرضين.

فإذا تضمن القرض شرطاً فاسداً كالزيادة الربوية فهو حرام، ولا يجوز للمسلم الإقدام عليه.

والأصل في جواز الاستقرار من غير المسلم ما يلي:

-ما رواه البخاري ومسلم من: "أنه صلى الله عليه وسلم استقرض من يهودي شعيراً ورهنه درعه"^(٢).

- ما رواه البخاري وغيره أنه لما توفي والد جابر بن عبد الله، ترك على جابر ثلاثة وسبعين لرجل من اليهود، فاستنثره جابر فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه..^(٣) الحديث.

ويحرم على المسلم الاقتراض من أخيه المسلم أو من غير المسلم وهو لا ينوي رد ردها إليهم؛ لأنه من باب أخذ أموال الناس بالباطل، ومن فعل ذلك فهو آثم، عن أبي هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله"^(٤)

ولا يجوز أخذ مال الغير سواء كان مسلماً أو غير مسلم بحججة الاقتراض ولكن عن طريق الغدر والخيانة والتديليس، فعن عبدالله ابن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من غشنا فليس منا، والمكر والخداعة في النار"^(٥)

(١) انظر: حاشية ابن عابدين، ٤/١٧٢ وص ١٧٤، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ص ٣٥٨-٣٥٩، مغني المحتاج ٢/١١٧-١٢٠، ٤/٢٢١-٢٢٠، نهاية المحتاج ٣/٣١٢-٣١٨.

(٢) سبق تخرجه ص ٢٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقرار وأداء الديون والحر والتلبيس، باب إذا قاص أو جازفه ثم يتمر أو غيره، برقم ٢٢٩٥ (أبو داود في سننه)، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يموت وعليه دين وله وفاء يستنثره غرماً ويرفق بالوارث، برقم ٢٨٨٤)، وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب أداء الدين عن الميت، برقم ٢٤٣٤)، والنمسائي (٢٤٦/٦)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاستقرار وأداء الديون، باب من اشتري بالدين وليس عنده ثمنه، برقم ٢٣٨٧)

(٥) أخرجه ابن حبان برقم (٥٥٥٩)، والطبراني برقم (١٠٢٣٤)، (١٠/١٠)، وابن نعيم في حلية الأولياء (٤/١٨٩)، وقال الميتمي: استناده جيد.

روى البخاري عن المغيرة بن شعبة أنه كان قد صحب قوماً في الجاهلية؛ فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما الإسلام أقبل، وأما المال فلست منه في شيء"، ورواية أبي داود: "أما الإسلام فقد قبلنا، وأما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه"^(١)

قال ابن حجر: قوله (وأما المال فلست منه في شيء) أي: لا أ تعرض له لكونه أخذه غدرًا، ويستفاد منه: أنه لا يحل أخذ أموال الكفار في حال الأمن غدرًا؛ لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، والأمانة تؤدي إلى أهلها مسلماً كان أو كافراً، وأن أموال الكفار إنما تخل بالمحاربة والمعابدة، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لإمكان أن يسلم قومه فيرد إليهم أموالهم^(٢)

وقال السرخسي: (أكره للمسلم المستأمن إليهم في دينه أن يغدر بهم؛ لأن الغدر حرام... فإن غدر بهم وأخذ مالهم وأخرجه إلى دار الإسلام كرهت للمسلم شراءه منه إذا علم ذلك؛ لأنه حصله بكسب خبيث، وفي الشراء منه إغراء له على مثل هذا السبب وهو مكره للمسلم، والأصل فيه حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه... ثم ذكر الحديث السابق)^(٣).

المطلب الرابع: حكم التعامل مع المستثمر الأجنبي بالمضاربة

المضاربة في الاصطلاح: وان اختلفت ألفاظ الفقهاء في تعريف المضاربة، فإنهم اتفقوا على معنى واحد لها وهو أنها: عقد شركة في الربح بمال من جانب، وعمل من جانب^(٤). أي: أن يدفع رجل إلى رجل مالاً؛ ليتحرج فيها، على أن يكون الربح بينهما، أو يكون له سهم معلوم من الربح حسب عقد الشراكة^(٥).

وتسمى مضاربة في لغة أهل العراق واحتار هذا الاسم الحنفية والحنابلة، أما أهل الحجاز فيسمون عقد المضاربة قرضاً أو مقارضة^(٦)، قال الزمخشري: أصلها من القرض في الأرض وهو قطعها بالسير فيها. واحتار المالكية والشافعية التسمية بالقرضا^(٧).

(١) أحريجه أبو داود في سنته، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، برقم (٢٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، بنفس الرقم.

(٢) فتح الباري ٣٤١/٥

(٣) المبسوط ٩٦/١٠

(٤) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٦/٨٠، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢، تبيان الحقائق، للزيلعي ٥٢/٥، بداية المجتهد، لابن رشد الحفيد، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٥/٥١٤٢٥، م٢٠٠٤، ٢١/٤، مغني المحتاج، للشريفي ٣٠٩/٢، روضة الطالبين للنووي، ١١٧/٥، المغني لابن قدامة

(٥) انظر: الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، لابن عبد البر القرطبي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٣٨٤.

(٦) انظر: بدائع الصنائع ٦/٨٠، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، ص ٣٨٤، مغني المحتاج للشريفي ٣٠٩/٢، روضة الطالبين للنووي، ١١٧/٥، المغني لابن قدامة ٢٧٥/٥

(٧) الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، تحقيق: على البحاوي، ومحمد أبو الفضل، ١٨٧/٣، (حرف القاف مع الراء)

اتفق جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على أن من شروط صحة المضاربة أن تقع من أهل التصرف الذي يصح منه التوكل والتوكيل^(١)، فأحال أكثرهم على شروط الموكيل والوكيل؛ لأن المضاربة فيها نوع توكيلاً، ولم ينصوا على شرط الإسلام لصحة عقد المضاربة عند ذكرهم الشروط، ولكن عند حديثهم عن بعض أحكام المضاربة ذكروا آراء مختلفة فيما يخص مضاربة المسلم للذمي وهي كما يأتي:

اختلاف الفقهاء في حكم مضاربة غير المسلم على قولين:

القول الأول: جواز مضاربة غير المسلم في الجملة وهو قول الحنفية^(٢)، والحنابلة^(٣)، والمالكية في قول^(٤).

قال الكاساني: (ولا يشترط إسلام رب المال أو المضارب، فتصح المضاربة بين أهل الذمة وبين المسلم، والذمي والحربي المستأمن، حتى لو دخل حربي دار الإسلام بأمان، فدفع ماله إلى مسلم مضاربة، أو دفع إليه مسلم ماله مضاربة فهو جائز؛ لأن المستأمن في دارنا بمنزلة الذمي، والمضاربة مع الذمي جائزة فكذلك مع الحربي المستأمن) ^(٥)

القول الثاني: أن مضاربة غير المسلم مكروهة، وهذا مذهب المالكية^(٦)، والشافعية^(٧) والحنابلة بالنسبة للمحسوس فقط^(٨).

قال الإمام مالك: لا أحب للرجل أن يقارض رجلاً إلا رجلاً يعرف الحرام والحلال، ولو كان رجلاً مسلماً فلا أحب له أن يقارض من يستحل شيئاً من الحرام في البيع والشراء، قال سعيد بن المسيب: لا يصلح أن يقارض الرجل اليهودي والنصراني، وقال ربيعة: لا ينبغي له أن يقارض رجلاً يستحل في دينه أكل الحرام^(٩)، والكرامة هنا ليست كراهة تحريمية، جاء في الذخيرة: (فرع - في الكتاب أكره أحد قراض الذمي أو مساقاته للمذمة، وليس بحرام) ^(١٠).

(١) انظر: المبسوط ١٣٨١/١٩، بدائع الصنائع ٨١/٦، الشرح الكبير مطبوع مع حاشية الدسوقي ٣٤٨/٣، مغني المحتاج ٣١٤/٢، نهاية المحتاج، ٢٢٨٥/٥، المغني ٢١٦/٤، كشاف القناع ٤٧٠/٣.

(٢) انظر: بدائع الصنائع، للكاساني ٨١/٦

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة ٤٣/٥

(٤) انظر: الذخيرة، للقرافي ٢٧/٦

(٥) بدائع الصنائع ٨١/٦

(٦) انظر: الذخيرة، للقرافي، ٢٧/٦، حاشية العدوى على كفاية الطالب الريانى ٢٠٣/٢، وتسمى عند المالكية شركة المقارضة.

(٧) انظر: نهاية المحتاج، للرملي، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٦/٥

(٨) انظر: المغني ٤/٥

(٩) المدونة الكبرى، مالك بن أنس، مصر، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٠٦م، ٥/١٠٧

(١٠) الذخيرة، للقرافي، ٢٩/٦

ويناقش هذا أن القول بالكرابة، لا يفيد التحرير كما جاء في قول الإمام القرافي السابق في الذخيرة، بل مدار الأمر في القول بالكرابة على سبيل العمل بالأحوط؛ لأن غير المسلم يستحل المحرمات، وفي هذا القول تشجيعاً للمسلم بأن يبتعد عن معاملة غير المسلم إن لم يكن مضطراً لذلك، فإن تعامل معه بالقرض ونحوه صحيحاً، قال ابن قدامة: (وَأَمَّا الْجُنُوسيُّ فَإِنَّ أَحْمَدَ كَرِهَ مُشَارِكتَهُ وَمُعَامَلَتَهُ قَالَ: مَا أَحَبَّ مُخَالَطَتَهُ وَمُعَامَلَتَهُ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحْلِلُ مَا لَا يَسْتَحْلِلُ غَيْرَهُ، قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ عُمَيْرٌ: لَا تُشَارِكَهُ وَلَا تُتَضَارِبَهُ، وَهَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى سُبْلِ الْإِسْتِحْبَابِ لِتَرْكِ مُعَامَلَتِهِ وَالْكَرَابَةِ لِمُشَارِكتِهِ، وَإِنْ فَعَلَ صَحِّ؛ لِأَنَّ تَصْرِفَهُ صَحِّيْحٌ^(١).

الترجيح: أرى -والله أعلم- أن القول الأول هو الراجح؛ لما ذكروه، وأنه الموفق لقواعد الشعور وأصوله التي تقوم على التيسير ورفع الحرج عن المكلفين، كما أن الأجنبي هو مستأمن بين أيدينا بتحري عليه أحكامنا فهو كالMuslim والذمي في المعاملات.

المطلب الرابع: حكم التعامل مع المستثمر الأجنبي بالوكالة

الوكالة: تفويض أو استنابة جائز التصرف بما يقبل النيابة إلى الغير، ليفعله في حال حياته^(٢).

اتفق الفقهاء في الجملة^(٣) على أنه يجوز أن يوكِّل المسلم غير المسلم نيابة عنه في القيام بأموره، ويتوكل عنه من يصح تصرفه منهم؛ لأنَّه ليس من شروط صحة الوكالة العدالة؛ ولأنَّها عقد نياية، شرعاً لها الله تعالى للحاجة والضرورة^(٤)، وكل ما كان للضرورة فإنه مشروع؛ لأنَّ الضرورات تبيح المحظورات، وهذا الجواز مرتبط بتحقق الشروط الآتية^(٥):

١- أن تكون الوكالة في كل ما هو من حقوق العباد مما تدخله النيابة من العقود كالحالة، والبيع والشراء، والرهن، والضمان، والكفالة، والشركة، والوديعة، والمضاربة، والجعالة، والمساقاة، والإجارة، والمهبة، والصلح ونحوها.

٢- أن تكون المعاملة مما يباح للMuslim فعله، فلا يجوز أن يوكِّل غير المسلم في القيام بما لا يجوز شرعاً للMuslim القيام به، ولا يقر غير المسلم على القيام به، كأن يعقد له عقد ربا، أو كان مما يحرم على

(١) المغني ٤٥-٥

(٢) مغني المحتاج ٣/٤٦١، كشاف القناع للبهوي ٢/٢١٧

(٣) هناك اختلافات فقهية بين المذاهب في وكالة غير المسلم في بعض الجزئيات، رأيت أن مجال البحث لا يتطلب التفصيل فيها؛ لأنَّ المراد بيان حكم أصل المسألة عند الفقهاء.

(٤) انظر: فتح الباري ٥/٣٨٦ والمغني لابن قدامة ٥/٨٧ وص ١٢٦

(٥) انظر: المبسط للسرخسي ١٩/١٤-١٣٨، الفتاوى الهندية ٣/٦١٣، مغني المحتاج للشريبي ٢/٢١٩-٢٢٠، نهاية المحتاج للرملي، ٥/٤٦٢-٤٦١، روضة الطالبين للنووي ٤/٢٩٨، المغني لابن قدامة ٥/٨٨-٩٨، كشاف القناع للبهوي ٣/٤٦٢ وص ٤٦٥

ال المسلم ويقر غيره عليه، كأن يشتري له خمراً، أو كان مما يجوز للمسلم فعله، دون غيره، كأن يتوكل عنه في تزويجه بامرأة مسلمة أو تطليق زوجته^(١)

الخلاصة:

من حال ما تقدم فإن الأخذ بالقول القائل بجواز مشاركة غير المسلم في التجارة والإحارة والوكالة والمضاربة وغيرها، بالشروط والضوابط التي ذكرها الفقهاء، وبقدر الحاجة، هو الأقرب لقواعد الشريعة الإسلامية وأصولها التي تدعو إلى التيسير ورفع الحرج عن المسلمين، شريطة أن يشق المسلم بأن التعامل مع غير المسلم وفق قواعد الشريعة الإسلامية وضوابطها فيما يحل ويحرم من المعاملات، وألا يمكن شريكه غير المسلم من التصرف تصرفاً مطلقاً، دون إجراء رقابة عليه؛ لضمان حصول التصرف المشروع، وتحجب التصرف غير المشروع.

وبناء على ما سبق فيجوز الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية؛ طالما كان في هذا الاستثمار مصلحة تعود على بلاد الإسلام، بالخير والرفاهية؛ لما نعلمه من تأثير الشركات على اقتصادات البلاد، مadam يسير وفق ما رسمته الشريعة من مبادئ وأحكام، وبدون أن يؤدي الاستثمار مع غير المسلم إلى موالة، أو فعل ما حرم الله، أو ترك ما أوجب الله، وعليه فالشريعة الإسلامية تحيز الاستثمارات الأجنبية في البلاد الإسلامية، بالبيع والشراء والإيجار وسائر العقود المالية، ويجري عليهم من الأحكام والضوابط ما يجري على التعامل مع المسلمين.

المبحث الخامس

ضوابط الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية

ذكر عدد من الباحثين المعاصرین مجموعة من الشروط والضوابط التي تضبط عملية الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية، وكذلك وضعت وزارة الاستثمار بالسعودية عدداً من الشروط للاستثمار الأجنبي في السعودية في الوقت المعاصر، والتي تدل على أن الاستثمار الأجنبي لا يجوز على الإطلاق بل هو مقيد

(١) ذهب الشافعية في وجه، والحنابلة إلى أنه لا يجوز توكيل غير المسلم في نكاح مسلمة، ولا في تطليق زوجته المسلمة؛ لأن النكاح والطلاق من قبل الولاية، ولا ولاية لغير المسلم على مسلم. (انظر: روضة الطالبين ٤ / ٣٠٠، المقنع ٢ / ١٥٠)

بعد من الضوابط والشروط ومن أهمها^(١):

- ١- أن يكون المستثمر الأجنبي شخصاً عاقلاً وطبعياً ذا خبرة في المجال الذي يعمل فيه، ولديه إمكانيات وخبرات مميزة يمكن الاستفادة منها ونقلها إلى البلد المسلم الذي يستثمر فيه.
 - ٢- أن يكون المستثمر الأجنبي-على مستوى الأفراد والشركات- من المعاهدين المسلمين الذين لا يعادون الإسلام، ولا يتآمرون ضده مع دول أخرى.
 - ٣- ألا يكون قد ثبت على المستثمر الأجنبي أي جرائم جنائية في بلده الأم، أو مخالفات تجارية أو مالية في بلده أو في البلد المسلم الذي يرغب في الاستثمار فيها.
 - ٤- اختيار مجال للاستثمار يحقق النفع والفائدة للدولة المسلمة وللمسلمين.
 - ٥- أن يكون مجال الاستثمار مباحاً وما يتفق مع الشريعة الإسلامية، وبعد عن الحالات الحرام.
 - ٦- اختيار أساليب التمويل المشروعة التي شرعها الإسلام.
 - ٧- أن لا تكون الاستثمارات الأجنبية في الأنشطة المهمة والاستراتيجيات الحيوية للدولة والتي تتعلق بأمن الدولة المسلمة.
 - ٨- وجود حاجة حقيقة للاستثمار الأجنبي، وأن يكون الاستثمار بقدر الحاجة؛ لأن الجواز فرضه الحاجة فيقدر بقدرها، بدليل أن حاجة الدولة الإسلامية في العصر النبوي إلى توفير الطعام إلى رعاياها، وعجزها في ذلك الوقت عن استغلال موارد الأرض حينئذ، بسبب قصور الإمكانيات المادية، والبشرية، فضلاً عن اشغالها بالغزو والجهاد، هي التي دعت للاستعانة برؤوس أموال وخبرات ذوي الخبرة من لا يدينون بالإسلام، وكما روى عن بشير بن يسار قوله: "...فَلِمَا صَارَتِ الْأُمُوْلَ بِيْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ لَّهُمْ عَمَالٌ يَكْفُوْهُمْ عَمَالَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُودَ فَعَامَلُوهُمْ" ^(٢)، فلما انتفت الحاجة استعنُّي بهم، ويتبغض ذلك من قول أبي عبيد: "فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضَهُمْ، وَمَنْ عَلَى رِجْلَهُمْ، وَتَرَكُوهُمْ عَمَالًا فِي الْأَرْضِ، مَعْالَةً عَلَى الشَّطَرِ، لَحْاجَةِ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَعْنَى عَنْهُمْ أَجْلَاهُمْ عَمْرًا، وَعَادُتْ كُسَائِرَ بِلَادِ الإِسْلَامِ" ^(٣).
- الأمر الذي يؤكد أن شرعية الاستثمارات الأجنبية مرهون بوجود الحاجة إليها في البلاد الإسلامية.

(١) استفادت في ذكر هذه الضوابط من عدة مصادر: اللائحة التنفيذية لنظام الاستثمار الأجنبي، وفيها (شروط الاستثمار في السعودية للمقيمين)، موقع وزارة الاستثمار، وبعض الأبحاث منها: الاستثمار الأجنبي المباشر للدكتور عمر المرزوقي، الاستثمار الأجنبي المباشر والدول النامية، للدكتور عبدالله السلامة، حكم استثمارات غير المسلمين في البلاد الإسلامية للدكتور علي الرقلي، الاستثمارات الأجنبية المباشرة والتنمية للدكتور خليل عطيه، البديل الشرعي لمصادر التمويل الدولي المعاصر، د. محمد سيد عامر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، القاهرة ، وغيرها.

(٢) أخرجه أبو داود في سنته، كتاب الخراج والإمارة والنفي، باب في حكم أرض خيبر، رقم (٣٠١٤)، قال الزيلعي: وبشير بن يسار تابعي ثقة يروي عن أنس ، وغيره يروي هذا الخبر عنه يحيى بن سعيد (نصب الراية/٣٩٨) باب الغنائم وقسمتها، دار إحياء التراث العربي.

(٣) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، شرح عبدالأمير مهنا، تحقيق: خليل هراس، بيروت، دار الفكر، د.ط، ص ١٢٦

- ٩- ألا يتحقق الاستثمار الأجنبي في الدولة الإسلامية مفسدة وضرراً بال المسلمين في دينهم أو مصالحهم العامة، فإذا وجد المستثمر المسلم وتحقق في الشروط المطلوبة فهو أولى بالسماح له بالاستثمار من الأجنبي غير المسلم. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُنَّ أَوْلَيَاتٍ بَعْضٍ ...﴾ [التوبه: ٧١]
- ١٠- أن لا يكون الاستثمار في البلاد التي لا يجوز لغير المسلم دخولها والإقامة فيها وهي مكة وما يتبعها.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

- تعريف الاستثمار المختار هو: تشغيل الأموال بقصد استثمارها وتنميتها وفق قواعد وضوابط الشرع الإسلامي.
- المقصود بالمستثمر الأجنبي في هذا البحث: هو المستثمر غير المسلم؛ لأن المستثمر المسلم تطبق عليه في الشرع كل أحكام المسلمين، ولو اختلفت جنسياً تهم.
- الاستثمار الأجنبي هو قيام شخص ما بالاستثمار المالي والتجاري في دولة أخرى غير دولته الأم وذلك من خلال أكثر من طريقة ووسيلة.
- الحكم بجواز الاستثمار الأجنبي في البلاد الإسلامية من عدمه يدور حول نوع الاستثمار والمستثمر الأجنبي على التفصيل الآتي:
 - إذا كان الاستثمار الأجنبي استثماراً مشتركاً بين المسلم وغير المسلم فيجب أن يكون المسلم هو المنصرف حتى تكون جميع المعاملات جائزة وفق الشريعة الإسلامية، وأن لا تؤدي المشاركة مع المستثمر الأجنبي غير المسلم إلى موالة الكفار ومحبتهم.
 - أما إذا كان الاستثمار استثماراً خاصاً وكاملاً للمستثمر الأجنبي، فيجب أن يكون استثماراً مباحاً، وفي مجالات معينة تشرف عليها مؤسسات الدولة الإسلامية، وتطبق عليه كامل أحكام المعاملات الإسلامية.
- من أهم ضوابط الاستثمار الأجنبي أن يكون مجال الاستثمار مباحاً، وبما يتفق مع الشريعة الإسلامية، و اختيار أساليب التمويل المشروعة التي شرعها الإسلام، وأن يكون المستثمر الأجنبي من المعاهدين المسلمين لا يعادون الإسلام، ولا يتآمرون ضده مع دول أخرى.

ثانياً: التوصيات:

على الجهات المختصة بالدول الإسلامية الإشراف والمتابعة للاستثمارات الأجنبية داخل أراضيها؛ للاطمئنان على الالتزام بضوابط الاستثمار الشرعي، وحتى لا تخضع للتوجيه والإدارة من جهات أجنبية.

المراجع

- ١- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، دار المعرفة، هـ ١٣٧٩
- ٢- ابن حزم، علي بن أحمد، المحلي بالآثار، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ٣- ابن رشد الحفيظ، محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتضى، د.ط، القاهرة، دار الحديث، م.٢٠٠٤/هـ ١٤٢٥
- ٤- ابن عبدالبر، يوسف بن عبد الله، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٥- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار المعروفة بر (حاشية ابن عابدين)، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٦- ابن أبي عمر، عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن قدامة، الشرح الكبير على متن المقنع، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، م.١٤٠٣/هـ ١٩٨٣
- ٧- القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ط١، بيروت، طبعة دار إحياء التراث العربي، م.٢٠٠١/هـ ١٤٢٢
- ٨- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: سعيد اللحام، وخرج أحاديثه الشيخ سليم يوسف، د.ط، مكة المكرمة، المكتبة التجارية، مصطفى الباز، د.ت.
- ٩- ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، المغني، د.ط، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.
- ١٠- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل السنة، بتحقيق: يوسف بن أحمد البكري، وشاهر ابن توفيق العاروري، ط١، الدمام، رمادي للنشر، م.١٩٩٧/هـ ١٤١٨
- ١١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط١، بيروت، دار المعرفة، هـ ١٤٠٧ م.١٩٨٧
- ١٢- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبادع شرح المقنع، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، م.١٩٩٧/هـ ١٤١٨
- ١٣- ابن نحيم، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ط٢، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

- ٤ - البقumi، صالح زابن، شركة المساهمة في النظام السعودي- دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي-، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، الناشر دار المنظومة على شبكة الانترنت.
- ٥ - البهوتi، منصور بن يونس، دقائق أولى النهى لشرح المتنى، المعروف بشرح منتهى الإرادات، د.ط، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- ٦ - البهوتi، منصور بن يونس، كشاف القناع، د.ط، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٧ - الهرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ٨ - الحصّاص، أحمد بن علي. أحكام القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م.
- ٩ - جون هدسون، مارك هرندر، العلاقات الاقتصادية الدولية، تعرّيف طه منصور، د.ط، الرياض، دار المريخ.
- ١٠ - الحاج، طارق، علم الاقتصاد ونظرياته، د.ط، عمان، دار صفا للنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.
- ١١ - المحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٢ - الخطّاب، محمد بن محمد، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ١٣ - حماد، نزية كمال، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، ط ٣، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ونشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- ١٤ - الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ط ١، بيروت، دار الفكر المعاصر، (دمشق - سوريا)، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٥ - الخرشي، محمد بن عبدالله، شرح مختصر خليل، د.ط، بيروت، دار الفكر للطباعة.
- ١٦ - الدردير، أحمد بن محمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م.
- ١٧ - الدسوقي، محمد عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، د.ط، دار الفكر، د.ت.
- ١٨ - الرافعي، عبد الكريم بن محمد، فتح العزيز بشرح الوجيز، بيروت، دار الفكر، (بدون رقم طبعة أو تاريخ)

- ٢٩ رضا، محمد رشيد، *تفسير المنار*، د.ط، الناشر الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٠ م.
- ٣٠ الرمخشري، محمود بن عمر، *الكتشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط١، د.م، دار الفكر، ١٩٧٧ م.
- ٣١ الرمخشري، محمود بن عمر ، *الفائق في غريب الحديث والأثر* ، بيروت، دار المعرفة، ط٢ ، تحقيق: على البحاوي، محمد أبو الفضل. بدون رقم طبعة أو تاريخ.
- ٣٢ الريبعي، عثمان بن علي، *تبين الحقائق شرح كنفر الحقائق*، ط١، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣١٣ هـ.
- ٣٣ سانو، قطب سانو، *الاستثمار أحكامه وضوابطه*، ط١ ، دار النفائس للنشر، الأردن، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٤ السرخسي، محمد بن أحمد، *المبسوط*، ط٢ ، بيروت، دار المعرفة للنشر، ١٤١٤ هـ.
- ٣٥ السلامة، عبدالله، *الاستثمار الأجنبي المباشر والدول النامية*، بحث مقدم إلى ندوة الاستثمار الأجنبي بالمملكة، وزارة الخارجية، الرياض، ١٤١٨ هـ.
- ٣٦ سلمه، إبراهيم بن سلمة، *الاستثمار الأجنبي الخاص في المملكة "تجربة سابك"*، بحث مقدم إلى ندوة الاستثمار الأجنبي الخاص في المملكة، وزارة الخارجية، الرياض.
- ٣٧ السنديكي، زكريا بن محمد، *أسنى المطالب في شرح روض الطالب*، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
- ٣٨ الشرييني، محمد الخطيب، *معنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج*، د.ط، د.م، دار الفكر للنشر، ١٣٩٨ هـ.
- ٣٩ الشرقاوي، عبدالله بن حجازي، *حاشية الشرقاوي على تحفة الطالب*، د.ط، طبعة مصطفى البابي حلبي، د.ت.
- ٤٠ الشيرازي، إبراهيم بن علي، *المهذب في فقه الإمام الشافعي*، ط١ ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٤١ الصناعي، محمد بن إسماعيل، *سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام*، تصحيح فواز زمرى، ط٢ ، دار الكتاب العربي، ٦٤٠٦ هـ.
- ٤٢ الطبرى، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آى القرآن*، دار الفكر، ١٩٩٥ م.

- ٤٣- عبدالله، محمد عبدالعزيز، الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، ط١، الأردن، دار النفائس، ٢٠٠٥ م.
- ٤٤- العدوي، علي بن أحمد، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤ هـ/١٤١٤ م.
- ٤٥- عفيفي، أحمد مصطفى، معايير استثمار الأموال في الإسلام، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي الإسلامي، ١٩٩٥ م
- ٤٦- العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاريء شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٤٧- الغزالي، محمد بن محمد، الوجيز في فقه الإمام الشافعي، د.ط، مصر، مطبعة الآداب والمؤيد، ١٣١٧ هـ.
- ٤٨- الفوزان، صالح بن فوزان، الملخص الفقهي، ط٤، الدمام- السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ
- ٤٩- القرافي، أحمد بن أدریس، الدرخيرة، ط١، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤ م.
- ٥٠- القرطيسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م
- ٥١- قلعة جي، محمد رواس، مباحث في الاقتصاد الإسلامي من أصوله الفقهية، ط١، دار النفائس، ١٩٩١ م.
- ٥٢- الكاساني، أبوبكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢ هـ.
- ٥٣- اللائحة التنفيذية لنظام الاستثمار الأجنبي، الصادرة بقرار مجلس الإدارة رقم (١ / ٢٠) وتاريخ ١٤٢٣ / ٤ / ١٣ هـ بعد التعديل، موقع وزارة الاستثمار.
- ٥٤- مالك، مالك بن أنس، المدونة الكبرى، ط١، د.م، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤ م.
- ٥٥- المالكي، عبدالله عبد الجيد، تدابير تشجيع روؤس الأموال العربية في المشاريع الصناعية، بدعم من مجلس البحث العلمي الأردني، الأردن، ١٩٧٤ م.
- ٥٦- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، د.ط، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦ م.

- ٥٧- المرداوي، علي بن سليمان، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٦هـ/١٣٧٦م
- ٥٨- المرغيناني، علي بن أبي بكر، المحدثية في شرح بداية المبتديء، تحقيق: طلال يوسف، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٥٩- المطيعي، محمد بن نجيب، تكميلة المجموع شرح المذهب، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ٦٠- النwoي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المذهب، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ٦١- النwoي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- ٦٢- الهواري، سيد الهواري، الاستثمار والتمويل طويل الأجل، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٨٥م.

أشكال حضور الراوي والمروي له في: (حكاية حب) لغازي القصبي

د. نجلاء علي مطري

أستاذ مساعد، تخصص الأدب والنقد الحديث قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان

المُلخص:

بنت الباحثة هذا البحث على دراسة أشكال حضور الراوي والمروي له في (حكاية حب) للكاتب الروائي الشاعر غازي القصبي. محاولة دراسة أسلوب السرد فيها، والكشف عن وجهات نظر الراوي في الرواية وأنواع الرواية، وتحليل خطابه. ويسعى هذا البحث للتعرف على أصناف المروي له في هذه الرواية، وتبيين وظيفته وتحليليات العلاقة بينه وبين الراوي.

تتمثل أبرز النتائج التي قدمها البحث فيما يأتي: أنّ حضور الراوي في (حكاية حب) على شكلين: راوٍ أساسي، وراوٍ ثانوي. وقد وظف الروائي ضمير الغائب في الراوي الأساسي، وهو الأكثر شيوعاً، ويظهر الرواوي الثانوي في ضمير المتكلّم لأنّ النص قد تضمّن راوين من صنف الحاكي هما الراوي الخارجي من خارج الحكاية، والراوي الداخلي، وهو قليل جداً في النص. وقد استخدم الراوي التبئير الصفر، كما استخدم التبئير الداخلي ووجهة النظر الخارجية، إلا أن التبئير الصفر كان هو السائد. واعتمد النص على تقنيات سردية ليؤكد حضوره الطاغي، كالتقنيات المعتمدة في تشكيل الزمن وبنائه، والنصوص المصاحبة، والإحالات، والمونتاج السينمائي والميتاقص وغيرها. وقد اتخذ حضور المروي له شكلين هما: المروي له خارج الحكاية ويكون مرويًّا له غير مسرح، والمروي له من داخل الحكاية ويكون مرويًّا له مسرحًا.

الكلمات المفتاحية: أشكال حضور، الراوي، المروي له، حكاية حب، غازي القصبي.

**Forms of the Presence of the Narrator and the Narratee
in “A Tale of Love” by Ghazi Al-Qusaibi**

Dr. Najlaa Ali Matari

Assistant Professor in Literature and Modern Criticism Department of Arabic and
Literature Faculty of Arts and Humanities Jazan University

Abstract

This paper examines the forms of presence of the narrator and the narratee in “A Tale of Love” by the novelist and poet Ghazi Al-Qusaibi. It seeks to investigate style of novel narration, identifies the views of the narrator about the novel, the types of narrators; and analyzes their discourse. In addition, the paper seeks to reveal the kinds of narratee and shows their function and the manifestations of the relationship between them and the narrator.

The most prominent results of this paper that the presence of the narrator in “A Tale of Love” comes in a primary narrator and a secondary narrator. While the primary narrator frequently takes the third person pronoun, the secondary narrator appears in the first-person pronoun. Moreover, the text adopts the external narrator and rarely the internal one. The Narrator uses zero focalization, internal focalization, and external point of view. However, zero focalization was predominant. The writer also relied on narrative techniques to confirm his overwhelming presence, as the techniques adopted in the forming and constructing of time, accompanying texts, referrals, cinematic montages, Metafiction... etc. The presence of the narratee has two types: the narratee outside the story, who is the main one being narrated to without dramatization, and the narratee inside the story who is dramatized.

Key words: Forms of presence, Narrator, Narratee, Tale of love, Ghazi Al-Qusaibi

مقدمة:

تنهض كل حكاية على ميثاق تلاقٌ بين الرواية والمرويٍ له، فالراوي هو الأداة الفنية التي تقدمها القصة للمتلقي، وهو أهم مكونٍ من مكونات الخطاب السردي، وأكثر القصص العربية القديمة تبدأ بعبارة: (قال الراوي)، وبذلك تُوكل مصدر الحكاية – التي هي مجموعة الأحداث الممثلة لجذر القصة – إلى الراوي سواء أعلن عن اسمه أو ظلّ موصوفاً بكونه راوياً فقط^١، فالراوي يحكي قصة يحكمها منطق الممكن المحكم بدوره بمبدأ السبيبية^٢، في حين أنّ المروي له يقع على عاتقه دور تلقّي الرسالة التي يرسلها له الراوي، وهو خلق تخيلي في النص.

موضوع البحث:

كان هذا البحث بعنوان (أشكال حضور الراوي والمروي له في "حكاية حب" لغازي القصبي)، وقد وقع اختياري على هذه الرواية؛ نظراً لأنّها لم تحظَ بدراسة نقدية مستقلة – بحسب اطلاقي – أو دراسة أعون السرد فيها.

أهمية البحث:

قامت (حكاية حب) على مكونين رئيسيين في السرد الروائي، وهما الراوي، والمروي له منذ العتبة الكبرى المركزية للنص، وقد جاء الراوي العليم مسيطرًا على أغلب مجريات الأحداث، وكان للمروي له دورٌ فيها؛ ولذلك كان من الأهمية التطرق إليهما ومعرفة أشكال هذا الحضور.

أهداف البحث:

سعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعلّ أبرزها:

- التعرف على مكونات السرد للروائي السعودي غازي القصبي في (حكاية حب).
- الكشف عن أشكال حضور الراوي والمروي له في الحكاية.
- التعرف على خصوصية أشكال هذا الحضور.

مشكلة البحث:

تطوّر الباحثة الأسئلة التالية؛ لإيمانها بأهمية هذين المكونين السرديين، وتتمثل التساؤلات في:

- من يروي في (حكاية حب)?
من (المروي له) في الحكاية؟
ما أشكال حضور الراوي والمروي له بـ (حكاية حب)?

⁽¹⁾ انظر: ذهني، محمود. القصة في الأدب العربي القديم: ط١، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٥٩.

⁽²⁾ انظر: الدوهو، محمد. المحكي واستراتيجية الممكن قصة "الرجل الحافي" لمحمد الداغومي: مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد ٤٠، ٢٠١٣، ص ١٠١.

ما حجم وجود (المروي له) في (حكاية حب)؟

ما أشكال العلاقة بين الراوي والمروي له؟

وستجتهد الباحثة في الإجابة عن هذه التساؤلات.

منهجية البحث:

استعانت الباحثة بآراء (جيرار جينيت) و(تودروف) في دراستهما للرؤبة والراوي، وكذلك منهجية (جيرالد برانس) و(جينيت) في تناولهما للمروي له، مع الاستعانة بآليات المنهج السيميائي.

أدبيات الموضوع (الدراسات السابقة):

تفتقر الأمانة العلمية الإشارة إلى الدراسات السابقة التي تناولت الراوي والمروي له في الروايات العربية، وهي كثيرة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة، وأغلب هذه الدراسات تتقاطع مع بحثي في النظري، وفي منهجية البحث، إلا أنها تختلف في دراسة النص المدروس (حكاية حب)، حيث إنني ومن خلال البحث لم أجده دراسة بحثت في هذا النص لغازي القصبي.

الإطار النظري:

قسمت الباحثة البحث إلى مدخل أشارت فيه إلى ملخص للحكاية، وأربعة مباحث جاءت كالتالي: **المبحث الأول:** جاء تحت عنوان (العتبات)، وناقشت فيه عتبة الغلاف، والعنوان، والعتبة الاستهلاكية، والإهداء.

المبحث الثاني: رَّزَّرت فيه على الراوي في الحكاية: أهميته، وأشكال حضوره، والراوي ووجهات النظر، والراوي والتقييمات السردية في الحكاية، ثم علاقة الراوي بالمروي له.

المبحث الثالث: عن علاقة الروائي بالراوي، والراوي بمرويه.

المبحث الرابع: تحور الحديث فيه عن أشكال حضور المروي له في الحكاية من داخلها ومن خارجها. ثم أعقبت ذلك بخاتمة تحتوي على نتائج البحث وتوصياته، ثم ثبت المصادر والمراجع.

- مدخل:

- ملخص الحكاية:

تتناول حكاية الحب في (حكاية حب) بقدرها اللافتة على تقديم حياة متخيّلة لرجل يعاني سرطان الدم ويقضى أيامه الأخيرة بمشفى أشبه ببيت للمستين، وهذه الحكاية تحاكي الواقع الإنساني المعيش، أو المختمل للشخصوص.

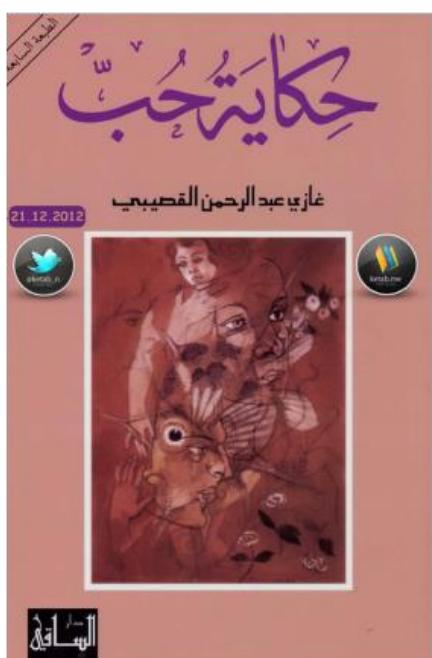
يشيد الروائي من خلالها حكاية تقليدية تتضمن عناصرها ومكوناتها على شكل تداعيات حلمية وأفكار شاردة يتذكر فيها (يعقوب العريان) حياته، وقصة عشقه لروضة المرأة العشرينية، وتطرح الحكاية رؤية الراوي ورؤيه الشخصيات حول قضايا الوجود الأزلية: الحب، الموت، والحياة. هذه الحياة التي هي أشبه بحياة الكثير، لكنها تحاول أن تحافظ الواقع فني قائم بذاته، ومتواشح بشيء من سحر آخذ يجعل من متعة

قراءتها إضافة جديدة لحياة القارئ، فـ"لا أحد يكتب بعفوية" على حد قول (جون كوهين)^١، والحكاية إذ تقدم حيواتها، فإنها تسجّل في قالب في صراعات الإنسان مع الحب، الموت، والحياة، وتبدو الحكاية في بعض مظاهرها مجالاً للظهور من خلال بعض الاعترافات التي يدلّي بها (يعقوب)، والشعور الذي يلازمه، ويختلطُ فيه الذنب بعده.

يطرح النصّ عدة أسئلة تشي بنصيب وافر من القضايا الإنسانية والوجودية الكبرى.

- المبحث الأول: العتبات:

- عتبة الغلاف:



تعُد عتبة الغلاف من العتبات المصاحبة التي يسمّيها (جيّار جينيت) النص المحيط النثري^٢، إنّه واجهة النص الأولى التي تهيّئ القارئ لتلقي العمل الإبداعي، فهو ذو وظيفة إشهارية وتقنية، ويمكننا ملاحظة طغيان اللون القرمزي الفاتح على (حكاية حب) واستحواده على الغلاف بتدرجاته، فهو يحتل غلاف الصفحة مع وجود إطار مربع مؤطر باللون الأبيض وبداخله لوحة مخلطة من لونين هما الأصفر، والأحمر، يعكسان " التجربة الحزينة التي يتعرّض لها الإنسان" ، فهو لون الأرض، ولون الخريف وموت الطبيعة^٣، وهذا اللون دائمًا ما يشير إلى الجذب والانتباه كإشارات المرور التي تعني تمهّل وتوقّف، وبداخل هذا المربع رسم تشكيلي لوجوه نساء، ورجل، وأوراق شجر، وزهور، وفراشات، وأيدي موزعة على لوحة المربع، وقد اختار تشكيلًا رومانسيًا ليكون الهوية البصرية للنص، وهذه الصورة تؤدي دورًا كبيرًا "لكونها أخطر وسيلة للتواصل راهنا فغدو الصورة تبعًا للسياق التواصلي رسائل مفخّحة بالدلالات. المدفُّ منها هو إفراغها في ذهن المتلقّي، وبصره، وجسده، والاستحواد عليه، وبالتالي المساهمة في تشكيل وعيه بالعالم كما يتغيّر مفتحو الصورة"^٤ ، فالفراشة في اللوحة الولادة الروحية للتغيير، والتبدل، والتحول، والأمل، وحياة الفراشة تعكس التحول الذي تحدثه وإن بدا ضعيفًا إلا أن تأثيره يدوم، أما الوجوه، فهي وجوه حاملة يائسة حزينة، تحمل قلّاً وجوديًّا، وجاءت الأيدي لنقدم الدعم والمساندة، ولكنّها أيدٍ متبااعدة توحّي بعدم الحصول على هذا الدعم، في حين نجد

^(١) جون، كوهين. *بنية اللغة الشعرية*: ترجمة. محمد الولي، محمد الولي، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠١٤، ص ٢٣.

^(٢) انظر: بلعابد، عبد الحق. *عتبات جيّار جينيت من النص للمناص*: ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٨، ص 49.

^(٣) العبودي، ضياء غني. *لوحة الغلاف في الرواية العراقية المعاصرة - دراسة في نماذج مختارة*. الملتقى العلمي العالمي الحادي عشر للغة العربية، اللغة العربية ودورها في تطبيق الشريعة الإسلامية والحضارة الإنسانية، أندونيسيا، ص 722.

^(٤) حسين، خالد. *شئون لعلامات "من التشفير إلى التأويل"*: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٤٢.

أنّ الورود والأوراق الموزعة ومتناشرة على يمين اللوحة تشي بالأمل، وتحفي زهور الورد بالحبّ، لكنَّه حبٌ غير مكتمل، وعلى الرغم من أنَّ ألوان الأوراق خضراء ومتناشرة على أرضية اللوحة المكتنزة بلون الأرض، فكأنَّه أراد الجمع بين الحياة والموت في آنٍ واحد، كما احتلَّ اسم النص الواجهة العليا للغلاف مكوناً باللون الأرجواني (البنفسجي) وبخط عريض جداً من نمط خط الثلث، فاللون الأرجواني (البنفسجي)، وهو لون خليط ومزيج من لونين هما الأزرق، والأحمر، إنَّه لون "يرتبط بالحساسية النفسية وحدة الإدراك، كما يوحى بالاستسلام والأسى"^١، فهو لون الحب والمشاعر، كما يعبِّر عن الألم والحزن، وهو رمز للغموض، بهدف تحفيز القارئ لمعرفة هذه الحكاية وسير أغوارها، أما خط الثلث، فهو من الخطوط المرنة الانسية القابلة للوحدات الزخرفية مما يخلق نوعاً جمالياً يساعد في جذب القارئ، وتحت هذا العنوان وبلون أسود، ونمط الخط الكوفي البسيط، الذي نجده أقرب لخطوط أجهزة الكمبيوتر باسم الروائي غازي عبد الرحمن القصبي، هذا عن القسم العلوي، أما القسم السفلي، ففي جهة اليسار مربع أسود صغير بداخله اسم دار النشر (دار الساقي) كتبت باللون الأبيض وبنمط الخط الكوفي، ويتميز هذا الخط بالهندسة وشدة الاستقامة^٢، أمَّا اللونين الأسود والأبيض فيوحيان بالنقيض، فالسواد لونُ الحزن والإحساس بالوحشة، كما أنَّ اللون الأسود يُعدُّ توثيقاً لاسم الروائي، وتثبيته في ذهن القارئ، وتحفيزه على شراء هذا العمل الإبداعي، في حين أنَّ اللون الأبيض يحمل الحرية والسلم، لكنَّه مقيد بشكل ومحاصر باللون المربع الأسود، وهو إعلان للانطلاق غير المحدود في نشر الأعمال الإبداعية المتميزة، خاصةً وأنَّ الخلفية جاءت سوداء لتبرز اسم دار النشر.

أمَا بالنسبة للمؤشر الأجناسي، فالروائي لم يحدد مقصديَّة العمل أروايَّة، أم سيرة روائِيَّة، أم نص توثيقِي، أم تاريخي، أم غير ذلك؟ بل ترك الأمر للقارئ؛ لإيهامه بواقعية هذه الحكاية.

- دلالة العنوان:

إنَّ أول ما يسترعى انتباها في هذا النص، هو العنوان الذي يشكّل فاتحة خطاب الحكاية، وأولى عتباته، حيث يمثل ملفوظ ما قبل الحكي الأول وما بعد الحكي الأخير، فالعنوان "وإنْ كان يقدم نفسه بصفته مجرد عتبة Seuil للنص؛ فإنه بالمقابل لا يمكن الوصول إلى عالم النص، إلا بعد احتياز هذه العتبة إنما تفصيل حاسم في التفاعل مع النص.. باعتباره سُمّاً وتريراً في آن واحد: فالعنوان عندما يستميل القارئ إلى اقتناء النص وقراءته، يكون ترياً محفزاً لقراءة النص، وحينما يتقدِّم القارئ من تلقي النص؛ يصير سُمّاً يفضي إلى موت النص، وعدم قراءته"^٣، وقد جاء عنوانُ هذا النص في كلمتين: الأولى رئيسة مفردة، تخيل إلى

^(١) قريرة، حجزة. الفضاء النصي في الغلاف أول العتبات النصية، قراءة في غلاف دواوين شعرية نسوية جزائرية معاصرة: مجلة الأثر، العدد 25، جوان 2016، ص 242.

^(٢) انظر: إبراهيم، مني عبد الرحمن، نحيٌ محمد نشأت. دور الخط العربي في ابتكار علامات تجارية لتسويق الأزياء المعاصرة المطبوعة من خلال الموروث الثقافي العربي: مجلة العمارة والفنون، كلية الفنون التطبيقية جامعة بنها، العدد 5، ص 6.

^(٣) بو عزة، محمد. من النص إلى العنوان: مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي بمدح، مج 14، عدد 53، رب 1425هـ، ص 411.

ال فعل (حكاية)، وربما بخط سميك، بينما الثانية فرعية مركبة، كتبت بنفس الخط، وهي تحيل إلى الوجود (حب) باعتبار أنَّ الحب تجربة وجودية، وهو أصل الحياة البشرية، فصيغة العنوان تنهض على مؤشرين دالين على ابنيتها على طففين يشكلان تقاطبها المركزي، وهما: الفعل، والكونية، فمنهما يتشكل حكيها، ويتوالد، ويتشعّب إلى حد التوهان مع حكايا تلك القضايا.

إنَّ احتلال العنوان لكلاً مساحة الغلاف، وامتلاء المساحات البيضاء بالسوداد يوحى بالحياة والوجود، فالسوداد حياة، والبياض موت، فهو يعيش على أمل الحياة، خاصة وأنَّه قد وشح هذا العنوان باللون الأرجواني (البنفسجي) الذي يشي بالغموض، والأسى، والاستسلام.

فالعنوانُ الرئيسُ إذاً (حكاية حب) مرَّكِب من كلمتين، وقد جاء بصيغة الإضافة، وهو مركب تركيبياً جزئياً قائماً على الهدف: النحوى المبتدئي، وتقديره (هي حكاية حب)، واختيار العنوان (جملة اسمية) يعطي معنى الثبات والسكنون، وبهذا فهي تخلو من الزمن الحدّى مما يدلُّ دلالة مطلقة على امتدادها عبر العصور، ذلك أنَّ حكايات الحب التي قرأناها، وسمعنا عنها، وما زال صدى ذكرها حالاً، أو على حذف الفعل، وتقديره (أحكي لكم حكاية حب)، وكأنَّ الروائي بهذا يغري المتلقين بهذه الحكايات ليصغوا إليها، ويجتمعوا حولها كما يجتمع الأطفال حول جدامهم.

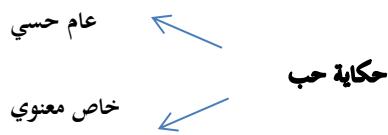
وهذا التركيب من الكلمتين يستدعي -لل وهلة الأولى - تصوراً عاماً لدلالتها في الموروث الثقافي العالمي عامة، والعربي خاصة، فـ(حكاية) تحيل في موروثنا الثقافي إلى الحكاية الشعبية، وهي غالباً ما ارتبطت بها، ودليل ذلك حديث الجدة، وهي تنادي أحفادها (تعالوا لأحكي لكم حكاية)، والحكاية الشعبية "أحد مقومات القصة إذ يمثل مضمونها القصصي الذي تؤديه الأحداث القائمة على التتابع واقعية كانت أو متخيلة، وتنهض بهذه الأحداث شخصيات في زمن ومكان معينين"^١، وهي تعني في جوهرها "هزيمة كل النقائص والعيوب التي يعاني فيها الإنسان ويحاول جاهداً أن يقصر عليها، وأن يتخلص منها فنياً على الأقل إذا لم يكن في استطاعته أن يقصر عليها في الحياة الواقعية، وما سيحدث دائماً هو التوازن النفسي بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون في الثقافة الشعبية"^٢، وتحيل كلمة (حب) لقصص الغرام، والحب العذري، كقصة: جميل بشينة، وكثير عزة، وقيس ولبني، وروميو وجولييت، وهي التي ترمز دوماً لقصص الحب الحالص.

فالعنوانُ - كما هو واضح ومن حلال ما ذُكر - يحمل بداخله معنيين: الأول ما تشتمل عليه كلمة (حكاية) من معنى عام، قد تكون حكاية شعبية، أو حكاية خرافية، أو حكاية أطفال، فهي تشي بكل أنواع الحكي التي تكون عن طريق السمع والمشاهدة، والثاني ما تشتمل عليه كلمة (حب) من معنى خاص

^(١) القاضي، محمد وآخرون. معجم السرديةات: ط١، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، مؤسسة الانتشار، بيروت، 2010، ص 148.

^(٢) عبد الحكيم، شوقي. الحكاية الشعبية العربية: د.ط، دار ابن خلدون، بيروت، 1980، ص 106.

تشير إلى قصص الحب والغرام، وهي قصص معنوية تلمح إلى قصص الغرام العذري البعيدة عن الغزل الصريح، أو الفاحش.



أما العناوين الداخلية، فإن الروائي لم يضع ترقيمات، أو عناوين داخلية للنص؛ ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن الرواية يعيش حالة فوضى مع الزمن، فالزمن ميتافيزيقي (الموت)، وقد أراد أن يتسع من عجلة الزمن قبل أن يوافيه الأجل، كونه يشرف على الموت، وبالتالي فلا وقت لديه كي يرجم، أو يضع عبارات داخلية.

- العتبة الاستهلالية:

يقصد بالعتبة الاستهلالية تلك التي يضعها المؤلف بعد العنوان وقبل الإهداء، وتعد من الخطابات المقدمة، وأحياناً يعنون لها الروائي بالمدخل، الذي "يشكل خطاباً يتوجه به نحو المتلقي بمعلومات لا تخرج عن الإطار الذي يستغل به المبدع"^١، وقد اختار الروائي هذه العتبة الاستهلالية، وهي نص للشاعر إبراهيم ناجي بعنوان (الخريف)، ليعبر عن رحيله وقصر عمره، فهو مثل الخريف الذي بدأت أوراقه تساقط ورقة، وليربط علاقة هذا الاستهلال بالنص المنخرط في القراءة، كما أنه يسعى من خلال هذا الاستهلال لتنشيط أفق انتظار القارئ.

مدخل

عندما أزمع رثب الغمرين
رجلة... نحو المغاني الآخر
 ظهرت مجلولة كفُّ الضر
 صورة... أروع ما في الضوء
 تراءى في الشبابِ الغطيري
 نفعه... تحمل طيب السحر
 وقفَ الغمرين لها... معذراً
 وثنى الركبُ عنانَ السفير

إبراهيم ناجي
من قصيدة «الخريف»

⁽¹⁾ حليفي، شعيب. هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل: ط١، مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٥، بيروت، ص٥٠.

- الإهداء:

يتمظهر الإهداء في هذه الحكاية في هيئة حرف إلى (ميم)، ولا يمكن "تصور الإهداء اعتباطياً إذ إنّه يختار المُهدي إليه عن وعيٍ وقدّ، وجود علاقه بين الطرفين، أو رغبة المؤلف في التعبير عن مشاعره أو مكبّاته"^١. فالإهداء هو "النصُّ الذي يكتبه المؤلِّف دون أن يشاركه فيه أحد، وهو النصُّ الذي يردُّ بشكل كتابي يخرق الأعراف المتفق عليها"^٢، وجاء الإهداء إلى (ميم) الذي قد يكون رمزاً للموت، فالروائي غازي القصبي يعيش مرحلة من مراحل حياته مع المرض عند كتابته لهذه الحكاية، والبطل الرواذي يعقوب أيضاً يعيش ذات الحالة، وهذا الرمز اختاره الرواذي ليجعله غامضاً، ويفتح أبواب التأويل أمام القارئ، ليكشفَ من خلال قراءة الحكاية عن ماهيتها.

- الدراسة التطبيقية:

- المبحث الثاني: الرواوي narrator في (حكاية حب):

١- أهمية الرواوي في الحكاية:

يعدُّ الرواوي من أهم مكونات السرد، وشكلٌ من أشكاله التي لا يكون السرد إلا به، فله دورٌ يضاهي جميع عناصر المنجز الحكى التي يعول عليه المبدع في تقسيم شخصياته، ف" فعل السرد يقتضي حضور الرواوي اقتضاء"^٣، والرواوي هو ذلك الشخص الذي يقوم بدور الحكّاء الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها حقيقة كانت أو متخيلة، هذا الرواوي لا يشترط أن يكون اسمًا متعيناً، فقد يتوارى خلف صوت، أو ضمير يصوغ بواسطته المروي بما فيه من أحداث ووقائع^٤.

٢- أشكال حضور الرواوي:

- أولاً: الحضور الأساس للرواوي:

- الرواوي الناقل للسرد:

هذا الرواوي بخلاف الرواوي الشخصية، فالرواوي هنا على الرغم من أنه يخفل بدور هامشيٍّ إذ إنّه ليس شخصية في الحكاية إلا أنه يعدُّ روياً أساسياً في عنصر الحكى، واستطاع أن ينقل كلَّ الواقع والأحداث في زمان ومكان دون أن يشارك فيها، فهو إذاً راوٍ غير حاضر يتدخل ويحلّ، إنه يروي من خارج، عن مسافة بينه وبين ما يروي عنه.

^(١) برهومة، عيسى عودة، بلال كمال عبد الفتاح. *سيمياء الإهداء* دراسة في نماذج من الرواية العربية: حولية كلية. الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد، العدد ٢٣، ص ٦٧٠: ٧١٩.

^(٢) السلوى، مصطفى. *عيوب النص المفهوم والمفعولة والوظائف*: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، ٢٠٠٣، ص ١٦١.

^(٣) العمami، محمد نجيب. *الرواوي في السرد العربي المعاصر* رواية الشهانيات بتونس: ط١، دار محمد علي الحامي للنشر، طفاقي، ٢٠٠١، ص ٢١.

^(٤) انظر: إبراهيم، عبدالله. *موسوعة السرد العربي*: طبعة جديدة موسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٣، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، المجلد ١، ص ٨.

وقد وصف هذا اللون من الرواية أنه تقنية آلية، فهو بمثابة العين التي تكتفي بنقل ما وقع أمامها، وبمثابة الأذن التي تكتفي بنقل ما تسمع من دون تخطّي حدود ذلك أو تحاوزه^١.

لقد مثلَّ الرواية المادة الحكاية وحفل بدور رئيس، وهو دور الملاحظ لما يجري مع يعقوب في المصح ومع روضة، فكان عملُ الرواية أشبه ما يكون بالعمل الآلي الذي عمد إلى تنظيم الأحداث، وتقديمها للقارئ بشكلٍ منظمٍ للأجزاء والمقطوع، مصوّراً الشخصيات، وأفعالها بدقة، وخصوصاً حين عرض لنا ردة فعل يعقوب حين سمعه نبأ حمل روضة، فنقل الرواية صورة مرئية لشخصية يعقوب، وكان بمثابة العين، والأذن اللتين صورتا وسجلتا كل ما حدث مع التدخلات، كونه ناقلاً، وعنصراً مهمّاً في الحكي، لذا جاءت نظرته للأحداث نظرةً مركبة.

- ثانياً: الحضور الشانوي للرواي:

- الرواي بطل سرده:

يعدُّ الرواي البطل جزءاً من المادة المحكية التي يعرض وقائعها ليشكلَّ العنصر الرئيس والشخصية المركزية في السرد^٢، وهو راوٌ (أنا) الذي يقوم عادة برواية قصته^٣، عاماً إلى صنع الأحداث أو الإخبار عنها^٤، إلا أنه في هذه الحكاية لا يشكلُ بعدًا أساسياً وإنما ثانوياً، وهو يقوم بهمتي رواية الحدث الذي فرره له الرواي الخارجي من جهة، وبطولة بعض الأحداث من جهة أخرى^٥؛ لذا فهو يلحّ على إقامة مسافة بين ما كان عليه الرواي وما غداه البطل، هذه المسافة بدورها تسمح بإعادة النظر، والنقد، وإقامة الاختلاف بين من يروي ومن يُروى عنه^٦.

وفي هذا اللون من السرد يفصّلُ الرواي البطل عن آرائه وتوجهاته الشخصية، وكأنه يستأذن الشخصيات الأخرى ليخاطب القارئ بصوته الخاص^٧، لكن الرواي في هذه الحكاية لم يحتلَّ المركزية في السرد التي يحتلُّها النوع الأول.

ومن أمثلة الرواي المضطلع بهذا الدور ما جاء في قصته مع روضة وابنته في مدينة الألعاب "اسماعي القصة! كنا في مدينة الألعاب، روضة وأمها وهديل ابنة روضة الكيرى، وزينب وأنا، كنا نتنقل بين مختلف

⁽¹⁾ انظر: العيد، يحيى. *تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنائي*: ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1999، ص 98.

⁽²⁾ انظر: برنس، جيرالد. *المصطلح السردي*: ترجمة. عابد خزندار، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2003، ص 105.

⁽³⁾ انظر: العيد، يحيى. *تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنائي*، ص 94.

⁽⁴⁾ انظر: إبراهيم، عبدالله. *موسوعة السرد العربي*، ص 10.

⁽⁵⁾ انظر: المرجع السابق، ص 201.

⁽⁶⁾ انظر: العيد، يحيى. *تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنائي*، ص 94.

⁽⁷⁾ انظر: النصیر، ياسين. *إشكالية المكان في النص الأدبي*: ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986، ص 38.

الألعاب، من المراجح إلى السيارات الكهربائية، كانت زينب ترکض أمامنا، عندما عثرت وسقطت بدأ الدم ينزف من ركبتيها، وبدأت تبكي أسرعث إليها وضممتها وربطت الجرح..^١.

يتحدثُ الرواية بضمير المتكلم ليسرد للمروي له ما جرى له مع زينب محاولاً إقامة مسافة زمنية فاصلة بينه - باعتباره راوٍ للقصة، وشخصية في الحدث-؛ فكان جزءاً ثانوياً من مادته الحكائية، عاماً لتفصيل فيما وقع، مضفيًا جانبًا من الصدق فيما يريد أنْ يخبر.

3- الرواية ووجهات النظر:

عبر مجراه خطية الخطاب السردي (الحكائي)، وعبر الحكاية التي يتكون منها النصّ، يوظف السرد في (حكاية حب) ضميراً أساسياً هو ضمير الغائب، وهو القناع الذي يتموقع خلفه الرواية الكاتب، حتى يتمكّن من تقديم أفكاره وتصوراته دون أن يتدخل بصفة مباشرةً، وبعد استخدام هذا الضمير الغائب في الحكي السردي مجسداً الطريقة السردانية التي تأخذ بتلابيب الإبداع الأدبي نحو التجارب والآراء النابعة عن المؤلف ذاته^٢، فالنصُّ يصدرُ عن روائيين من صنف الحاكِي:

- الرواية الخارجي من خارج الحكاية.

- الرواية الداخلي، وهو قليل جداً في النص.

ومنذُ فاتحةِ النصّ نحصل على هذا الرواية -الحاكي الخارجي الذي يعيش خارج عالم شخصياته- ينقل الحكاية بضمير الغائب، ويعتبر هذا الرواية راوياً غير مسرح، وقد جاء من حلال الرؤية من الخلف، وهو في هذه الحالة "ليس خلف شخصياته، ولكنه فوقهم، كإله دائم الحضور، ويسير بمشيئته قصة حياتهم"^٣، يسرد الحكاية، ويصور الأحداث، ويصف الشخصيات، عليم بأفعال الشخصيات، وأفكارها، وأحساسها، مهيمن على زمام السرد لا يتركه إلا ليسمح للشخصيات أن تعبرَ عن نفسها دون وساطة، وهو ما يسمى أسلوب العرض.

ويمكن فصل التداعيات الحلمية، وكل الشوارد الفكرية- التي كانت تنتاب (يعقوب)، ويخبرنا عنها الرواية الخارجي - عن تلك اللحظة التي يتحدثُ فيها الرواية عن يعقوب التي أجري فيها حوارات بينه وبين الشخصيات الأخرى، وإن حدث ذلك فلن تتأثر الحكاية، وكان القارئ أمام نصين سردرين، فهي حكاية ذات بعد سردي واحد، فالراوي فيها يبدأ سرده على الطريقة التقليدية محافظاً على مسافة زمانية ومكانية بينه وبين ما يروي، محاولاً الأخذ بيد المروي له، ويتوسط بينه وبين عالمه الذي يروي المتمثل في حكاية حب يعقوب وروضة، ونادرًا ما يتنازل هذا الرواية الخارجي عن السرد للشخصيات الأخرى، وإن حدث

⁽¹⁾ القصبي، غازي. حكاية حب: ط٧، دار الساقِي، بيروت، ٢٠١١، ص ١٣.

⁽²⁾ انظر: الشريف، حبillaة. بنية الخطاب الروائي "دراسة في روايات نجيب الكندي": ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ٢٠١٠، ص ٨.

⁽³⁾ انظر: مرتاض، عبد الملك. في نظرية الرواية "بحث في تقييمية السرد": د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ١٩٩٨، ص ٨٢.

⁽⁴⁾ يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي: ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥، ص ٢٨٩.

مثل هذا فهو قليل كأن يفسح للشخصية لتروي حكايتها على مسافة ضيقة، ولكن سرعان ما يستعيد منها زمام السرد، كأن يقول: "جون هل سبق أن أحبيب امرأة كانت ترفض أن تسميك "حبيبي"؟ ينظر إليه الطبيب بشيء من الاستغراب، ويقول:

ماذا؟ امرأة لا أتذكر! لم تكن لدى قصص حب كثيرة! كنت دوماً مشغولاً بعملي ليلاً ونهاراً^١.

حيث اقتصر حضور صوت الشخصية في هذا المقتبس على ضمير المتكلّم (أنا)، وما عداه استحوذ على سرده الراوي الخارجي.

ويتَكَوَّن البناء السردي من راوٍ وحكاية بما تشغله عليه من أحداث، وشخصيات، وأطر زمانية ومكانية، ومن مرói له^٢، وبالتالي فالحكاية في النص تشمل على بعد سردي واحد - كما سبق ذكره - وهي وبالتالي لا تحتوي على مقامات فرعية، وإن لوحظ مثل ذلك فإنه على شكل مقامات سردية مجهمضة، وذلك بسبب تدخل الراوي وإبراد حكاية الشخصية بصوته هو دون الصوت الأول الذي روتها، أو لأنها تضمّن في قول قول إحدى الشخصيات في مقام حواري فيتنفي أن تكون مشتملة على بعد سردي ثان، أو أن يشار إليها إشارة عابرة تختزل في مجرد كلمة تنبئ عن أن هناك قصة كانت قد رويت.

وعليه، فإنّ الحكاية في (حكاية حب) المستخدم فيها ضمير الغائب تقوم على مقام سردي أساسى واحد، وبما أنّ الراوي فيها راوٍ خارجي فقد اتّخذ المقام السردي فيها الشكل التالي:

[راوٍ خارجيّ] [مرói] [رواية] [راوٍ خارجيّ]^٣.

ومن خلال ذلك تظهر في النص غلبة السرد بضمير الغائب، إذ يتكتّلُ الراوي برواية الأحداث، ومن خلالها يطلُّ القارئ على هذا الكون الروائي، إنّ هذا الضمير الغائب يكشفُ بجلاء عن قرب الراوي من شخصية يعقوب العريان، وهذا الراوي الخارجي ينبع سرداً موضوعياً.

الراوي الخارجي = السرد الموضوعي = أسلوب السرد الكلاسيكي^٤.

وقد وضع الراوي لافتتاحية نصّه عالمة تنصيص "كانت يدها اليمني تعثّر بأنفه، تلتّف الأصابع الصغيرة حول قاعدة الأنف، ويحلّم أنه عاد طفلاً في أحضان أمّه التي تبدو في الحلم باهرة الجمال، كالمرأة التي ترقد بجانبه..".

فهنا تتسع رؤية الراوي وعلمه التام بكلّ مجرّبات الحلم الذي حلم به يعقوب وما دار بين يعقوب وروضة، فهو -أعني الراوي- يحيطُ علمًا بكلّ شيء يخصُّ شخصياته، سابراً أغوارها النفسية مطلعاً على

^(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 52.

^(٢) انظر: البدرى، أحمد. الراوى في الرواية العجائبية العربية: مجلة الراوى، النادي الأدبي الثقافي بمدحه، العدد ١٨، ١ مارس، ٢٠٠٨، ص ٢٣
نقلًا عن: Genette, op. Cit. p. 227.

^(٣) انظر: المرجع السابق، ص 23.

^(٤) انظر: معنكل، أسماء. الأفق المفتوح نظرية التوصيل في الخطاب الروائى المعاصر: ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٢٤.

^(٥) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 9.

مشاعرها الباطنية سارًّا بشكلٍ ينبعُ بالموضوعية عِشقٌ يعقوب لروضة مع معرفته التامة بلقاء اهتماماً الخفية بعيدًا عن أعين الناس إلا أنَّ الرواذي يخبرنا أهُمَا كانا يتقيان في أوقات تحدُّدها روضة لتكون هي سيدة العلاقة، والمحكمة في مجرياتها، فراوي الحكاية هنا مطلع على أفعال يعقوب وروضة.

يتولى الرواذي العليم مهمة سرد الأحداث سرداً تفصيليًّا ليخبرنا بأحلامه، وطريقة حديثه، وحركات الشخصيات، ولا يكتفي الرواذي بهذا القدر من الحكاية وإنما يستمرُ وبكلٍّ موضوعية ^١تابعة السرد والتدخل في كلٍّ شيء كما في قوله: "يقف أمام المتجر الصغير المحتفي في ركن من أركان البهو الواسع، يتأمل الفترينة ويقرر بلا سبب دخول المتجر ويفاجأ بروءة الأنثى الساحرة، لا توجد كلمة أخرى الساحرة! تنظر إليه وتبتسم لا تقول شيئاً لا تتطوّع بتقسيم خدمة، ولا تعطيه كشـفـاً بمحتويات المتجر، تعود إلى الكتاب الذي كانت تقرأه ..".^٢

لقد سعى الرواذي وهو يسرد حكاية يعقوب العريان في المشفى إلى التزان الجانب الموضوعي، والاطلاع التام الكامل على الأحداث مع معرفته بما يجولُ في نفوس شخصياته، وكيفية تفكيرها، ونظرتها للأمور، وللحياة، والموت، والحب، والرواذي على الرغم من كونه خارج الحدث إلا أنه ذو تأثير مركزي في سرد الحكاية، فرؤيته أكبر من رؤية شخصياته، وبذلك تبرُّز شخصية الرواذي المركزية مهميـنة على مجرى الأحداث.

ويستخدم الرواذي اللالـ تـبـيرـ الصـفـرـ (التـبـيرـ الصـفـرـ) فهو عـلـيـمـ بـكـلـ شـيـءـ قـادـرـ علىـ التـعـمـقـ فيـ نـفـوسـ الشـخـصـيـاتـ يـعـرـفـ مـظـهـرـهـاـ الـخـارـجـيـ،ـ وـيـنـقـلـ أـفـكـارـهـاـ،ـ كـالـتـبـيرـ عـلـىـ يـعـقـوبـ عـنـدـمـاـ كـانـ مـعـ روـضـةـ "ـتـعـاـمـلـ"ـ أـنـفـهـ كـمـاـ لـوـ كـانـ طـفـلـهـ الصـغـيرـ طـفـلـهـ الـوـحـيدـ الـمـدـلـلـ،ـ وـيـغـفـلـ وـيـحـلـمـ أـنـهـ عـادـ طـفـلـاـ فيـ أحـضـانـ أـمـهـ الـتـيـ تـبـدوـ فيـ الـحـلـمـ باـهـرـةـ الـجـمـالـ كـالـمـرـأـةـ الـتـيـ تـرـقـدـ بـجـانـبـهـ وـيـصـحـوـ يـتـأـمـلـ الـشـعـرـ الطـوـيلـ الـكـسـتـنـائـيـ،ـ وـالـشـفـتـينـ الـمـكـنـزـتـينـ،ـ وـالـلـامـحـ الـبـرـيـةـ الشـهـيـةـ ..ـ"ـ،ـ فـالـرـاوـيـ هـنـاـ رـاوـ عـلـيـمـ يـتـمـتـعـ بـوـجـهـ النـظـرـ الـعـارـفـ بـكـلـ شـيـءـ،ـ بـحـيـثـ نـشـعـرـ بـوـجـودـهـ مـنـ خـالـلـ تـعـلـيقـاتـهـ:ـ "ـتـعـاـمـلـ أـنـفـهـ كـمـاـ لـوـ كـانـ طـفـلـهـ،ـ يـصـحـوـ يـتـأـمـلـ"ـ فـهـوـ هـنـاـ عـلـىـ عـلـمـ بـكـلـ ماـ دـارـ بـيـنـهـماـ،ـ فـقـدـ اـسـتـطـاعـ أـنـ يـصـفـ الـلـامـحـ الـخـارـجـيـ لـرـوـضـةـ.

ولأنَّ الرواذي عـلـيـمـ تـمـكـنـ مـنـ الإـحـاطـةـ بـلـحـظـاتـ الـلـقـاءـ الـتـيـ كـانـتـ بـيـنـ (ـيـعـقـوبـ)ـ وـ(ـرـوـضـةـ)ـ فيـ كـوـخـهـ الصـغـيرـ بـعيـدـاـ عـنـ الـأـعـيـنـ،ـ يـمـزـجـ بـيـنـ أـسـلـوـبـيـ الـعـرـضـ وـالـسـرـدـ ^٣لـيـكـشـفـ لـلـقـارـئـ الشـخـصـيـةـ مـنـ الدـاخـلـ وـمـنـ الـخـارـجـ،ـ بـالـرـوـءـيـةـ الـمـبـاشـرـةـ وـمـنـ خـالـلـ كـلـامـ الرـاوـيـ عـنـهـ ..ـ".ـ

ويمكن الإمساك بـ(ـتـبـيرـ الصـفـرـ)ـ فـيـهـاـ عـلـىـ أـشـكـالـ مـخـلـفـةـ وـأـوـجـهـ مـتـنـوـعـةـ،ـ فـلـلـرـاوـيـ فـيـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ قـدـرـةـ إـدـرـاكـيـةـ تـحـيـطـهـ بـكـلـ شـيـءـ حـولـهـ،ـ وـيـعـلـمـ بـكـلـ ماـ يـجـولـ فيـ نـفـوسـ شـخـصـيـاتـهـ مـنـ أـحـاسـيـسـ،ـ وـمـاـ تـضـمـرـهـ

^(١) المصدر السابق: ص 13.

^(٢) المصدر السابق: ص 9.

^(٣) زيتوني، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية: ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002، ص 119.

من مشاعر، وما تحلم به، ولذلك نجد هذا النص يجفل بالأفعال الاستبطانية أو الذهنية من قبيل (يحس، شعر، يشرد ذهن، لا أعتقد، يصمت، تتم بحاجة، هجمت علامات التفهم، لم يسمع، خرج مدعوراً وكأنه يفزع من قبره، يتذكر قصة قصيرة، ترتسّم ابتسامة على شفتيه، لم أتوقع أن أراك، يجلس ويتأمل، تبتسم، .).

وهذا الراوي في هذه الرواية على دراية بما ينبغي فعله، وما ينبغي تركه، كما أنه على معرفة تامة بنتائج أفعال شخصياته قبل معرفتها إياها، إنه يسمع ما لا يُسمع، ويرى ما لا يُرى، ويفهم بشكل جيد حركات الشخصيات، ويرى أفعالها.

ويظهر (التبيير الصفر) في (حكاية حب) ليس من خلال تدخلات الراوي في صياغة خطاب شخصياته وعدم تنازله عنه لترويه هي بصوتها، فحسب، ولكنه يظهر - كذلك - من خلال خطابه هو ذاته، فاللغة التي يستعملها هي في الغالب لغة شاعرية غنائية فيها من ذاته القدر الكبير، وقد يتوسل الراوي بالتشبيهات ليجعل الصورة تمثيلية "ينظر إليها مسحوراً لا يشير رقصها أي نزوات حسية، يتسلل إلى أعماق روحه ويقيّم عرساً هناك، يتصور بستانًا من النخيل يميس، يرى حفلاً من الذرة يتمايل، يرى روضة أفعوان صحراوية في موسم المطر تداعب النسيم من مكان ما"^١، فالراوي مفتتح باللغة الشاعرية المجازية، وهذه اللغة واضحة في حل الحكاية.

وفي الحقيقة أن التبيير في (حكاية الحب) لم يكن مقتصراً فيها على (التبيير الصفر)، وإنما نجد في عدل به فيها إلى أنواع أخرى من التبيير غيره، بحيث عدل بـ(التبيير الصفر) إلى (تبيير داخلي)، وقد تمثل هذا العدول في المشاهد الحوارية التي أجريت بخطاب الشخصيات، ونقل أقوالها. يقول الراوي: "يتسلل ضوء القمر إلى غرفة النوم الصغيرة، وتحمس: يا رجل ألا تسبح ألا ترتوي؟

يا امرأة عندما أحبك أحب كل زهرة في كل حقل أعناق كل شجرة في كل غابة أضم كل موجة في كل بحر عندما..

يا رجل يكفي!

عندما أحبك أحب كل امرأة هل تغارين؟ كل امرأة أنت ذلك التغر النسائي الواحد الذي تخفي الشاعر بيرون أن يقبله ويستريح في عينيك سحر كل العيون منذ بداية التاريخ..

يا رجل ألا تخجل؟

يا امرأة أنت كل بشر شرب منها كل بدوي ظامي عبر القرون أنت..
آه القطة الأولى.

أنت كل حلم سهر معه كل عاشق منذ الأزل أنت ..

^١(القصبي، غازي. حكاية حب: ص50)

يا رجل اسكت!

سكوتِي وأنت بقري أعظم ملحمة كتبها أعظم شاعر.

يا رجل كيف استطعت أن أنظر إلى رجل قبلك؟ كيف أستطيع أن أنظر إلى رجل بعده؟
كيف.." .

إلا أن هذا العدول بـ(التبئير الصفر) إلى (تبئير داخليّ) لا يعني أن الإدراك الشمولي للراوي قد خفّت حدّته، فالتبئير الداخلي يظل في هذه الرواية محفوظاً برأوية كلية يترجمها الراوي عن طريق معلنات القول التي يجهّد بها للمشاهد الحواريّة، من مثل قوله في هذا المشهد الحواري:

"يقوم معتذراً من البرفسور الذي يتمتم": .

[.....]"]

تنظرُ إلى الكتاب الذي كانت تقرأه، وتقول :

[.....]"]

يبيسم بدوره ويقول :

[.....]"]

كما أنه يقصد بالتبئير الداخلي هنا التبئير الذي لم يخل أبداً من صوت الراوي - المؤطر دائمًا بالتبئير الصفر [تبئير صفر [تبئير داخليّ] تبئير صفر] ولا ينفصل عنه مطلقاً، وأحياناً يكون هو ذاته - مع كونه تبئيراً داخليّاً - تبئيراً صفرّاً؛ فهو مسند إلى ما لا يدرك أو يعقل كما هو الأمر في المثال الآتي: "اقتحم المكان اقتحاماً دون تفكير إلا أنه لم يجدتها هناك، وجد رجلاً كهلاً أشيب بشوش الملامح، ماذا يفعل هذا الكهل هنا؟ وعلى كرسيهما، بمجرد دخوله نحضر الكهل مرحباً..." .

فالخطاب هو خطابُ الراوي، والإدراكُ هو إدراكُ الشخصية (يعقوب)، وهذا ما لا يمكنُ أن يحدث إلا على سبيل التحجز؛ ليفضح حضور الراوي وينمُ عن استبداده بخطاب شخصياته، ويكشفُ لنا عن أنَّ هذا الخطاب هو خطابٌ نابعٌ من ذات الشخصية، ويفقيه في إطار الرؤية الشمولية التي يتسمُ بها إدراكُ الراوي في هذا النص.

كما أنَّ الراوي قد يتوحد مع شخصية (يعقوب) لينقلَ ما تشعر به، وتفكر فيه، وهذا ما يطلق عليه الرؤية مع، أو وجهة النظر الداخلية؛ فترى عالم الشخصيات التخييلية معكوساً ومراوياً على شاشة وعيه،

(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 59.

(٢) المصدر السابق، ص 49.

(٣) المصدر السابق، ص 16.

(٤) المصدر السابق، ص 10.

(٥) المصدر السابق، ص 21.

(٦) انظر: برنس، جيرالد. المصطلح السريدي: ص 245.

(٧) انظر: قاسم، سوزان. بناء الرواية دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ": ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص 186.

فالراوي يستسلم للذوبان في الشخصية، ويكشف عن كل ما تشعر به حتى ولو لم تفصح عن أي قول، وبخاصة في لحظات الشروق الذهني وأحلام اليقظة التي كانت تنتاب (يعقوب)، وهو في المصح فينقل كل هذه الصور "تضحك" وهو يهمس في أذنها أحبك أحبك! تسيل دموعه تغسل وجهها وتزيل بقعة الآيسكريم التي لا تزال بقرب فمه..."

يعقوب يعقوب!

يفتح عينيه، ويرى علامات القلق على وجه الطبيبة التي تنظر وتقول:

كنت تغفو ثم بدأت تتأوه ماذا حدث؟

كنت أحلم كان الحلم مؤثراً بعض الشيء".

يعرض راوي (حكاية حب) على لسانه حكاية يعقوب مع روضة من خلال حلم، أو شرود، أو إغفاء لحظات اللقاء التي كانا يتبادلانها معاً في كوخها الصغير، وليس للشخصية في السرد بضمير الغائب قناة خاصة بها تمكنها من تبلیغ المعلومة السردية، فكل المعلومات تنتهي إلى القارئ عن طريق الراوي، سواء كان هو المبئر (focalis ateur) أو كانت الشخصية^٢.

وقد يستخدم الراوي كذلك وجهة النظر الخارجية عندما يصف الشخصية من الخارج، ويسرد مظاهر سلوكها، أو ينقل أقوالها، مثلما نرى في التبئير على أقوال (يعقوب) والأسقف جورج عن الحب، والموت، والحياة، والإسلام^٣، فالراوي ينقل موقف يعقوب والأسقف من الموت عن طريق (تبئير خارجي) في نقل أقوالهما، ويعرض وجهة نظر يعقوب والأسقف حول هذه القضايا الكبرى، وهو —أعني الراوي— على مسافة فكرية بعيدة عنهما، وفي حديث (يعقوب) مع مرضته (هيلين) عن الحب، "أنا مجرد مريضة، أنت الروائي قل لي أنت ما هو الحب؟

آه هيلين! سؤال ذكي! الحب هو القوة السحرية التي تمكّن الإنسان من التعامل مع قضايا الحياة دون الاستعانة بخدمات الموت..".

وقد أتاحت هذه المسافة بين الراوي ويعقوب الفرصة للراوي حتى يقدم لنا موقف (يعقوب) والأسقف جورج) و(هيلين) حول هذه القضايا الإنسانية الكبرى.

٤- الراوي والتقيّيات السردية في (حكاية حب):

لم يقتصر الأمر على تمكّن الراوي من صوغ خطاب الشخصيات بما ينتمي إليها ومعرفته بكل ما حدث وما سيحدث، بل جاءت التقنيّيات المعتمدة في تشكيل الزمن وبنائه في هذا النصّ سواء من خلال الاستيقات، أو الاسترجاعات مؤكدة حضوره الطاغي.

^(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص33.

^(٢) العمami، محمد نجيب. النarrative في الخطاب السردي: ط١، دار محمد علي، صفاقس، 2011، ص20.

^(٣) القصبي، غازي. حكاية حب: ص40: 41.

^(٤) المصدر السابق، ص40.

وهذا الحضور أو هذه القوّة التوجيهيّة له ييرزان في علاقته بمن يروي له، ابتدأً بنصوص العبارات التي انتقاها ليفتح بها الحكاية، إذ إنّها بمثابة حامل للأفكار العامة التي يمكن أن تؤول إليها الحكاية، وهذا ما يدخلُ في إطار محاولة التأثير على المرويّ له، وتوجيه فهمه بالشكل الذي يرتئيه الروي.

وليس أدلّ على الحوارات التي يعرضها المروي بين الشخصيات من طرح الأسئلة للبحث عن الإجابة، وهذا يشيرُ بوضوح إلى النهج السocraticي الذي ينتهجه المروي (البحث عن الحقيقة)، وذلك بتوجيهه أسئلة للطرف الآخر باحثًا في كلامه عن حقائق الأشياء، ويستمر في طرح الأسئلة حتى يعترف الطرف الآخر بجهله بهذا الموضوع عن اقتناعٍ تام، بحيث لا يقدمُ فرضيات، ولا يطلقُ أحکاماً بل يمحّص بالحوار الفرضيات ليتخلص من الفرضيات الخاطئة بإبراز تناقضاتها، وبذلك تتبين الفرضيات الجيدة، فيخبر المرأة على مراجعة معتقداته، وتحديد مدى صحتها، كقوله: "آه ماري! جئت في الوقت المناسب، كنت أفكّر في الحب، ما هو الحب يا ماري؟ أعني ما الذي يجعل رجلاً يحب امرأة ما دون نساء العالم كلّهن؟ وما الذي يجعل امرأة ما تحب رجلاً ما دون الرجال جميعاً؟

أم أقل لك أن أسئلتك كأسئلة الأطفال سهلة، ولكن الإجابة عليها مستعصية؟
حاولي.

هناك عشرات النظريات.

أغفني رحاء من كل التحليلات الفرويدية.

أنت تقتل الحاضرة قبل أن تولد.

ماري! لا أصدق أن طبيعة نفسية شهيرة لا تعرف تفسيرًا للحب سوى دافع الجنس الظاهره والخلفية؟

لا أحد يعرف تفسيرًا للحبّ، فرويد نفسه حاول ولم ينجح وقبله أخفق كُلُّ الفلاسفة والشعراء والكتّاب الذين حاولوا، هل تتوقع من عجوز مثلّي أن تعرف ما لم تعرفه أعظم العقول البشرية في التاريخ..؟^(١)، من الملاحظ أن المروي يقدم من خلال الشخصية (يعقوب) رؤيته حول فلسفة الحب، وبالإمكان ملاحظة النقاش الذي قام بين يعقوب والطبيعة ماري، والجدل الذي حصل حول تفسير ماهية الحب، وكيفونته، بحيث تم تبادل الواقع في طرح السؤال مع محاولة الاستفزاز (حاولي) مما يعني أنَّ الحوار كان قائماً على النقاش وليس على المسائلة أو الاستجواب، وهذا النهج السocraticي في طرح الأسئلة ينتهجه في غالب الحوارات التي تدور بين الشخصيات، خصوصاً حول قضايا الحب، الموت، والحياة، والأخلاق، والإسلام التي لا تنتهي لنتيجة حاسمة، وإنما يظل باب النقاش فيها مفتوحاً على مصراعيه.

ومن نصوص العبارات والمصاحبات النصيّة الواضحة في الموسوعة التي تذيل بها الحكاية تلك التي وردت عندما أشار المروي لنص أغنية (طلال مداح) التي كتبها الأمير (بدر بن عبد المحسن) "حبيبي يا

^(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 50.

حبيبي كتبت اسمك على صوتي كتبته في جدار الوقت، على لون السماء الحادي، على الوادي على موئي وميلادي...^(١)، فالراوي يفسّر للمرؤي له ما ورد في المتن مشيرًا إلى أنَّ هذا المقطع من أغنية (زمان الصمت) من غناء الفنان طلال مداح، وتلحينه، وكلمات الأمير بدر بن عبد المحسن، ومؤكداً إنَّ كل المقاطع التي سترد في أجزاء لاحقة من الأغنية نفسها، حيث نجد أنَّ الراوي هنا يقدم شرحاً مفصلاً لما ورد في المتن، وغير ذلك مما يراه الراوي يشكّل صعوبةً على فهم المرؤي له، أو غريباً عن ثقافته.

كما أنَّه قد يستخدم في (حكاية حب) تقنية السرد للتعبير عن أفكار الشخصيات، وأقوالها كما استخدم تقنية العرض، بحيث إنَّه يترك للشخصيات الروائية حرية التعبير عن نفسها في خطاب منقول^(٢) إلا أنه يورد هذه الخطابات المباشرة لأقوال الشخصيات ملحقة بجمل وصفية تُعرفنا على سماتها وتحدد المتكلم^(٣)، وقد استطاع الراوي أن يجمع بين السرد والعرض، وقد بُرِز استخدام هاتين التقنيتين حيث يبدأ المقطع بفقرة سردية بعد وضعها بين علامتي تصريح كالتي يحكي فيها قصة (يعقوب وروضة)، ثم يبدأ العرض في شكل حوار بين الشخصيات إلى نهاية المقطع، ويكون حواراً خالياً من أي علامات تشير إلى الشخصية المتكلمة، ويكون التمييز عن طريق لهجة الشخصية ووجهة نظرها "إنه لا يتمزج في التركيب المجنح الروائي الأشكال اللغوية للغتين وأسلوبين وسماتهما فقط، إنما يتم فيه قبل كل شيء تصادم بين وجهات النظر إلى العالم الكامنة في هذه الأشكال"^(٤)، ويكتفي أحياناً بذكر اسم المرؤي لهم.

ويمكن للقارئ أن يستشفَ من السرد المتداخل مع العرض موقف الراوي الأيديولوجي "فالقصة ستكون غير مفهومة إذا لم تتحتو على المقدار الضروري من السرد الذي يجعلنا ليس فقط على بينة من نظام القيم الذي يعطي السرد معناه، ولكن يجعلنا راغبين في قبول نظام القيم وذلك بصورة مؤقتة على الأقل"^(٥). ومن المقاطع التي تجمعُ بين السرد والعرض، وهي كثيرة "تدخل المرضية، وتزيح ستائر عن التوافذ، وينهمر الضوء الصيفي في الغرفة.."^(٦)

- كيف شهيتنا هذا الصباح؟

يتجاهل السؤال، يمُدُ يده إلى التوست ويبدأ في طلبه بالزبدة تنتقل هيلين إلى السرير وتبعد طقوس المعركة السريرية اليومية الضبارية، تنظر إليه، تقول:
هل كنت تخوض حرباً؟ يبدو السرير وكأنه ميدان قتال.

^(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 51.

^(٢) انظر: جينيت، جيار. خطاب الحكاية بحث في المنهج: ترجمة. محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، ط 2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997، ص 178.

^(٣) انظر: برنس، جيرالد، المصطلح السريدي: ص 61.

^(٤) باختين، ميخائيل. الكلمة في الرواية: ترجمة. يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988، ص 146.

^(٥) بوث، وين. بلاغة الفن القصصي: ترجمة. أحمد خليل عرداد، علي أحمد الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1994، ص 133.

^(٦) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 10.

هيلين حلمت البارحة أنا أنت وأنا ..^١، فالراوي في هذا النص يتميز بقدرات هائلة، فهو بالإضافة إلى كونه راوياً علىًّا غيري القصة، ممسكاً بزمام السرد، يجمع بين العرض والسرد، وينوّع في الأساليب الخطابية، فالراوي يبدأ المقطع بصوته وهو يسرد لحظة دخول الممرضة على يعقوب مباشرة؛ فتوجه له أسئلتها الصباحية المعتادة، ولكنه يتجاهلها، والراوي هو الذي ينقل كلام يعقوب وهيلين بأسلوب غير مباشر حر، ثم ينقل الحوار بينهما في صيغة الخطاب المباشر ليتمكن بأقصى درجة من الموضوعية والحياد^٢. ففي أغلب (الحوارات) لا يغيب منه فعل القول، ويوضع بعد كل حلم أو تداعيات علامات التنصيص والقوسين وكذا العلامات التي تدل على توقيف الشخصية للكلام وانقطاع أخرى عنه، فالراوي يقدم مساعدات للتعرف على من يتحدث، ومن يسمع.

كذلك يستخدم الراوي تقنية (المونتاج السينمائي)، فيعمد إلى تركيب مغامرات (يعقوب) مع (روضة) في مشاهد سردية تجمع بين الحلم والتأملات الذهنية، مثلما المشهد الذي يبدأ به النص إذ كان كلما انتهى من حوار مع المروي لم يستحضرُ الحلم بعد كل مشهد من المشاهد السردية، ويوضع لها علامات تنصصية.

ويستخدم الراوي (التناوب) أحياناً، والتناوب هو "رواية عدة حكايات في وقت واحد بحيث يتوقف عن سرد الحكاية الأولى ليروي جزءاً من الحكاية الثانية"^٣، وذلك عندما ينقل تداعيات الحلم والشوارد عبر الاسترجاعات، ثم تبدأ اللحظة الآنية التي عليها الشخصيات وحوارها، ثم يتنتقل إلى الاسترجاعات والتداعيات، وهكذا، ولعله يهدف من هذه التقنية إلى الكشف عن قدرته ومعرفته بكل ما يجرى داخل عالم النص.

أما تقنية (الميتاقص)^٤، فقد استخدمها الراوي عندما أشرك شخصية (يعقوب) التي تشير إلى أن بينها وبين المؤلف علاقة، فكلاهما كاتب روايات "هل أعجبتك الرواية؟
نظر إلى الكتاب الذي كانت تقرأه، وتقول:

تقصد "النوم مع السراب"؟

نعم.

لم أكمل الكتاب لا زلت في الربع الأول.

وما رأيك في هذا الربع؟

لا بأس به.

أشكرك.

(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 12.

(٢) انظر: فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد 164، 1992، ص 100.

(٣) زيتوني، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية: ص 5.

(٤) انظر: القاضي، محمد وآخرون، موسوعة السرد: ص 328.

نظرت إليه باستغراب، ويقول:

أنا مؤلف الرواية؟^١

وَقَوْلُهُ: "مَهْنِتِي الْحَمَّامَةُ، وَأَكْتَبُ الرَّوَايَاتِ لِلتَّسْلِيَةِ فِي أَوْقَاتِ فَرَاغِي لِلتَّسْلِيَةِ.
التَّسْلِيَةُ؟ لَا لَا ! الْكِتَابَةُ عَمَلٌ جَادُ وَشَاقُ، شَاقٌ حَدًّا، الْكِتَابَةُ دَفَعَتْ بِكَثِيرٍ مِّنَ الْكِتَابِ إِلَى
الْإِنْتَهَارِ أَوِ الْجَنُونِ أَوِ الإِدْمَانِ.

وَهَذَا مَا يَدْفَعُنِي إِلَى أَنْ أَكْتُبَ لِلتَّسْلِيَةِ.

هَلْ تَكْتُبُ قَصْصَاهُ زَلْيَةً؟

هَلْ هُنَاكَ قَصْصَ غَيْرَ زَلْيَةٍ، يَا بِرْفَسُور؟

سُؤَالٌ فلَسْفِيٌّ عَمِيقٌ، الْحَقُّ أَنِّي لَا أَعْرِفُ الْجَوابَ هَلْ كَتَبْتَ كِتَابًا كَثِيرًا؟
لَمْ أَكْتُبْ سَوْيِ ثَلَاثَ رَوَايَاتٍ، وَلَمْ تَنْتَجْ مِنْهَا سَوْيِ وَاحِدَةٍ..^٢
"لَا أَقْرَأُ سَوْيِ الرَّوَايَاتِ.

الرَّوَايَاتِ؟ كَنْتُ أَظُنُّ أَنِّي تَقْرَأُ كِتَابَ الْقَانُونِ...^٣.

"هَلْ الرَّوَايَاتُ الَّتِي تَكْتُبُهَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ؟

لَا، يَا عَزِيزِي وَلَكِنْ الرَّوَايَاتُ الَّتِي أَعْيَشَهَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ^٤.

نَخْلُصُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْرَّاوِي حِينَ يَسْتَخْدِمُ هَذِهِ التَّقْنِيَةَ (قصُّ الْقَصْصِ)، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَوْهِمَ
الْقَارئَ بِوَاقِعِيَّةِ الْأَحْدَاثِ وَوَاقِعِيَّةِ الْحَكَايَةِ.

٥- عَلَاقَةُ الرَّاوِي بِالْمَرْؤَيِّ لَهُ:

إِنَّ الرَّاوِي لَا يَتَرَكُ لِلْمَرْؤَيِّ لَهُ مَجَالَ التَّمِيِّيزِ بَيْنَ الشَّخْصِيَّاتِ، وَكَانَهُ بِذَلِكَ لَا يَدْعُ لِلْمَرْؤَيِّ لَهُ فَرَصَةَ
لِتَغْيِيرِ الْحَكَايَةِ، أَوْ ادْعَاءِ أَيِّ شَيْءٍ يَرْتَبِطُ بِالشَّخْصِيَّاتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ فِيهَا مُوْتَقَّنٌ بِالْقَوْلِ، وَالْأَسْمَاءِ،
وَالْأَشْخَاصِ. يَقُولُ الرَّاوِي: "يَفْتَحُ عَيْنِيهِ وَيَجِدُ الْبَرْفَسُورُ (أَنْتُونِي مِيلَانَد) عَلَى مَقْعَدِ بَجُورَاهِ فِي الْحَدِيقَةِ.
يَبْتَسِمُ الْبَرْفَسُورُ وَيَقُولُ:

كَتَتِ فِي غُفُوةٍ، مِنْ يَلْوُمَكَ لَمْ نَرِ يَوْمًا مَشْمِسًا مُثْلِهِ هَذَا مِنْذَ فَتْرَةَ طَوِيلَةِ.

فِي بَلَادِي يَا بَرْفَسُورُ نَتوَقُ إِلَى الْمَطَرِ لِكَثْرَةِ الْأَيَّامِ الْمَشْمِسَةِ.

يَصْمِتُ الْبَرْفَسُورُ الَّذِي كَانَ حَتَّى تَقَاعِدَهُ قَبْلَ سَنَوَاتٍ أَسْتَاذُ الْأَدْبُرِ الإِنْجِلِيْزِيُّ فِي جَامِعَةِ بَرِيطَانِيَّةٍ

مَرْمُوقَةً، ثُمَّ يَتَنَاهِدُ:

آهُ! الشَّرْقُ الْغَامِضُ، الشَّرْقُ الَّذِي... .

(١) القصبي، غازي. حكاية حب: ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٨.

يشرد ذهن البرفسور على ما ييدو ويترك الجملة بلا نهاية، بعد فترة قصيرة يقول:
سمعت أنك تكتب الروايات هل هذا صحيح؟
مهني الحمام، وأكتب الروايات في أوقات فراغي للتسلية..".
ويمكن القول: إنَّ الراوي في هذا المقطع يستخدم التبئير في درجة الصفر (اللا تبئير)، وهو عليم بأقوال الشخصيات، ومشاعرها، ولديه قدرات متنوعة في استخدام الأساليب، وهو لا يترك مجالاً للمرؤي له كي يغير من أحداث الحكاية.

يتضح من كلٍّ ما سبق أنَّ الراوي في النص جاء راوياً حاضراً بشكل خفي، وهو غير مسرح نشر بوجوده من خلال تعليقاته دون أن نراه، ويستتر وراء (ضمير الغائب) في قص الحكاية، عليم بكلِّ شيء، ينوع وجهات النظر ما بين الداخلية والخارجية -على قلتها- كما أنه يتعمق في العقول، والنفوس، ويعلمُ أفعال شخصياته، وأفكارها، ومشاعرها، ويقفُ على مسافة قريبة، أو بعيدة منها تبعاً للاتفاق، أو الاختلاف معها.

- المبحث الثالث: علاقة الروائي بالراوي:

ويظلُّ الراوي (الذات الثانية للكاتب ومؤطر السرد ككلٍّ) المتحكّم في السرد، فعندما يستعملُ ضمير الغائب " فهو يبرُّ لنا سارداً آخر كليًّا المعرفة بالأحداث وهو الذي يسرد الحكاية" ، يعني أنَّ الراوي الغائب راوٍ مطلق المعرفة، يُرى في كلِّ الفضاءات، وعبر كلِّ الأزمنة، وهو في الحكاية راوٍ خارجي يروي حكاية ليس مشاركاً فيها، وفي هذا السياق، فإنَّ ما يجدر الإلحاح إليه أنَّ الراوي ليس الكاتب وإنما شخصية متخيّلة يتوصّل بها المؤلّف لتشكيل عالمه الحكائي، وإن كان ثمة تشابه بينه الروائي، والشخصية حيث إنَّ تاريخ صدور العمل أشار إلى المكان الذي كان يقطنُ فيه المؤلّف الحقيقي / الروائي (غازي القصبي)، ومكان وقوع الأحداث للشخصية الخيالية (يعقوب العريان)، لذلك سأعدُّ مقارنة بينهما من خلال هذه الخطاطة التي توضح مدى الشبه، والقرب بين الروائي / المؤلّف غازي القصبي، وبين الشخصية / يعقوب:

القرينة النصية	الشخصية	الروائي / الكاتب	وجه المقارنة
"يسعدني هذا وأنت سمعي يعقوب"	يعقوب العريان	غازي القصبي	الاسم
" أصحاب النفط"	خليجي	خليجي	الجنسية
"مهني الحمام"	محام	سفير / وزير	المهنة
"هناك مكان في ضواحي لندن أشبه ما يكون بفيلا خاصة.."	مصح في بريطانيا دولة عربية مجهولة / بلاد النفط	السعودية/البحرين / بريطانيا	الإقامة ومكان أحداث الحكاية
"أنا مؤلّف الرواية"	روائي	شاعر وروائي	الكتابة
"أكتب الروايات في أوقات فراغي للتسلية"	(كاتب روايات)		

⁽¹⁾ القصبي، غازي. حكاية حب: ص 17: 16.

⁽²⁾ فردي، سعيد. الراوي وعلاقته بالسرد قراءة في رواية "الشمس لن ترحل" للكاتب محمد عتاي: متاح على الشبكة: http://www.annachraalikhbaria.com/2013/08/blog-post_4654.html

يتضح من خلال هذه الخطاطة المجدولة أن هناك تقارباً بين المؤلف الروائي، والشخصية يعقوب، مع وجود اختلاف، لكن كفة التقارب قد تغلب كفة الاختلاف، مما يعني أنَّ المؤلف حاول أن يتخفّى وألا يعلن بوضوح هذه القرابة من خلال صفة الاسم، والمهنة، وعدم التصرّيف بالجنسية، وعلى الرغم من التخفّي إلا أنَّ أواصر الصلة بين العالم المتخيل وبين الواقع الإحالي تظل قوية نوعاً ما، وهو ما يجعل القارئ يعتقد أنَّ هذه الحكاية أعلق بالسيرة، وقد حاول الكاتب أن يضلِّل القارئ، وأنْ يبعد الحكاية بشكلٍ صريح عن هذا الجنس، ومع هذا التقارب الشديد إلا أنه لا يمكننا الجزم بكونها سيرة ذاتية للمؤلف، ذلك أنَّ الروائي لم يضع أي تنصيص أحناسي، ولم يدرج العمل تحت جنس أبي، وهذا ما يخول الباحثة أنَّ تدرجها ضمن جنس الحكاية، فالروائي قد حدد لنا ميثاقاً مرجعياً، وهو عنوان النص (حكاية حب)؛ فإنَّ من شروط التلقّي أنَّه يفرض علينا التعامل مع نتاجه وفق الحدود المرسومة، إذ يعني أنَّ النص لا يضعنا أمام رواية تامة وإنما أمام حكاية قد يكون الروائي عاش تفاصيلها، أو سمع بها، أو أُخبر عنها.

علاقة الراوي بمرؤيه:

وفق البُنى السردية التي أشير إليها عند الحديث عن الراوي يلاحظ أمران:
الأول: العلاقة المباشرة والقوية بين الراوي والمرؤي، إذ يعتمد الراوي على رواية الحكاية بنفسه، وكأنَّه عاش تفاصيلها.

الثاني: إسقاط المسافة الفاصلة بين الراوي ومرؤيه، فيروي وكأنَّه شخصية مشاركة في الحدث، أو إحدى الشخصيات المشاهدة له. من هنا يمكن أن تُحمل العلاقة الواردة بين الراوي والمرؤي في (حكاية حب) على وفق لونين من العلاقات^١:

الأول: الراوي الغريب (غير مشارك) عن الحكاية.

الثاني: الراوي المتضمن (المشارك) في الحكاية.

الضمير	غير مشارك	مشارك	الراوي
الغائب	+	-	مجهول
المتكلم	-	+	الشخصية/ يعقوب العريان

- الأول: الراوي الغريب عن الحكاية:

ويرأُد به الراوي المفارق لمرؤيه، ويكون صاحب شخصية مستقلة عما يحكى سارداً أحداث ما يروي بضمير الغائب^٢، وقد مثلت الكتابة بضمير الغائب أكثر الأشكال السردية تجدزاً في فن السرد^٣.

(١) انظر: المزوقي، سمير وجحيل شاكر. مدخل إلى نظرية القصة: الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص102.

(٢) انظر: المزوقي، سمير وجحيل شاكر. مدخل إلى نظرية القصة: ص102.

(٣) انظر: ميشال، بوتور. بحوث في الرواية الجلديّة: ترجمة. فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1989، ص55.

ضمير الغائب هو سيد الضمائر السردية، وأكثراها شيوعاً، بل والأيسر تلقياً من قبل القراء ، وباستعمال الراوي ذلك الضمير يمكن له الاختفاء وراء النص ليقوم بمهمة السرد من دون المشاركة في الحدث.

إنّ الراوي في هذه الحكاية لا يشكل جزءاً من مادته الحكائية، بل يمثل شخصية غريبة عن النصّ، فقد ظلّ خارج الحدث متخفياً بضمير الغائب راوياً للأحداث، معتمداً في نقله الحكاية على هذا الضمير كما يتضح في الأفعال التي استعملها، كقوله : (كانت ترقص، عاد إلى الفندق، يفتح عينيه، يخرج دون أن ينظر إليها،...)، وهي أفعال تعود إلى يعقوب وحبيبه روضة، وقد بقيت بينه مسافة وبين ما جرى، متعيناً نقل ما سمعه، من أجل أن يوصل بسرده الموضوعي هذا ما يريد إيصاله إلى القارئ من أحداث.

- الثاني: الراوي المتضمن في الحكاية:

في هذا الضرب من العلاقة بين الراوي ومرؤيه يكون الراوي متماهياً في مرؤيه، حاضراً في السرد كإحدى الشخصيات المشاركة فيه، عامداً إلى سرد ما يجري بضمير المتكلم^(١)، ويحفل هذا الضمير بقدرته على إذابة الفروق الزمنية والسردية بين الراوي والمرؤى، ويتمثل ذلك في القصة التي قصّها هليلين عندما أخذ عينة دم زينب في مدينة الألعاب.

ويتجلى حضور الراوي وتماهيه فيما يحكي في وضعين:

الأول: حضور أساسى يكون فيه الراوي الناقل للحدث أو الملاحظ له^(٢).

الثاني: حضور ثانوى يمثل فيه الراوي بطل سرده (يعقوب العريان).

- المبحث الرابع: أشكال حضور المرؤى له في (حكاية حب):

المرؤى له هو "عونٌ سرديٌّ يتنزل في المستوى السردي الذي يتضمن الراوي"^(٣)، ويمكن أن يشار هنا إلى التمييز بين القارئ والمرؤى له، فالأول مكانه خارج النص، فهو فاعلٌ مشخص، مثله مثل المؤلف الواقعي، أما الآخر فهو من صميم النص وهو نتاجٌ تخيليٌّ، وفي تحليل (حكاية حب) يلاحظ أنَّ المرؤى له في مستوى الراوي دائمًا، فعندما يكون الراوي غائباً عن الحكي غير مشارك، فإنَّ المرؤى له كذلك غائب عن الحكي غير متعين، أما إذا كان الراوي حاضراً باعتباره شخصية من شخصيات الرواية فإنَّ المرؤى له في المقابل يصبح كذلك حاضراً ظاهراً في إحدى الشخصيات.

وقد اخذ المرؤى له في (حكاية حب) شكلين من أشكال الحضور حسب الموقع الذي يحتله، فالمরؤى له عندما يكون خارج الحكاية باعتباره الرئيس، يكون مرؤى له غير مسرح، وعندما يحتلُّ موقعًا داخلياً، ويصبح شخصية من شخصيات الحكاية يكونُ مرؤى له مسرحًا.

(١) انظر: مرتاض، عبد الملك. في نظرية الرواية "بحث في تعبية السرد": ص 153.

(٢) انظر: المرزوقي، سمير ومجيل شاكر. مدخل إلى نظرية القصة: ص 102.

(٣) المرجع السابق، ص 102.

(٤) عبيد، علي. المرؤى له في الرواية العربية: ط ١، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2003، ص 32.

(٥) المرجع السابق، ص 32.

- حضور المرؤي له من خارج الحكاية (المرؤي له غير الممسر):

يمكن أن تستشف الباحثة وجود مصطلح القارئ وما يرادفه من خلال الإهداء الذي تضمّن توجهاً مباشراً إلى شخص ما، أو شيء ما مجهول، (إلى ميم) الذي يشي ذكره بوجود راوي متماهم مع القارئ الجرّد الواقعي، فالكتاب المنتج مُهدى إليه، وبالتالي، فهو هديةٌ منتظمة داخل قانون يمثل المؤلف المجرّد فيه المهدى والقارئ الجرّد المهدى إليه، فهو وإن كان -أعني المرؤي له- مجهول الهوية إلا أنه حاضرٌ في ذهن المؤلف، فقد يكون (ميم) امرأة مثلاً لا يرغب المؤلف بالتصريح باسمها، وقد يكون (ميم) الموت الذي يمثل بالنسبة للمؤلف موت كلّ شيء: الإنسان، والعلاقات، والحياة.

فقد يردّ مضمراً ليس بوسعنا تحديده معالمه، مثل راويه العليم بحيث يستشف وجوده الضمني من خلال تلقيه ذلك الخطاب الوارد بصيغة ضمير الغائب منذ بداية الحكاية، وهو متماهم مع القارئ الافتراضي الذي أفرزه النص، فبإمكان القارئ الحقيقي أن يرى فيه صورته^١، وهو يقع خارج الحكاية؛ فإنّ المرؤي له الذي يقع في نفس مستوى الرواية خارجيًا أو غائباً غير ظاهر عن السرد وعالمه، وليس له وجود واضح في النصّ إلا من خلال إشارات الرواية إليه، بحيث تكمّن وظيفته في تلقي السرد من الرواية، فهو "يتجه نحو القاص ويسعى إليه تارة، وتارة أخرى يلتفت إلى القصة نفسها ويأخذ بمراقبتها".^٢

والأمثلة على هذا الشكل من أشكال الحضور كثيرة في (حكاية الحب)، ففي بداية المشهد السردي يسرد الرواية تلك الليلة التي قضتها (يعقوب) مع (روضة)، قائلاً: "كانت يدها اليمنى تعث بأنفه تلتف الأصابع الصغيرة حول قاعدة الأنف تدلّكها برفق ثم تصعد بهدوء بهدوء تام وتوقف في المنطقة الحالية من الشعر بين حاجبيه، ثم تنزلق ببطء.."، ففي هذا النصّ يتوجه الرواية إلى مرؤي له غير مسرح يخبره بما كان من أمر تلك الليلة، فالرواية يتحدث إلى مرؤي له خفي، فيقصد عليه هذه الحكاية. يستخلص من ذلك أنّ المرؤي له غير المسرح أخذ موقعًا خارج الحكاية، مع وجود ما يشير مباشرة على وجوده داخل الرواية مستمعاً، ومراقباً، ومستفهمًا في بعض الأحيان، كما نرى في تساؤلاته وتعجبه، واندهاشه مما يقصه الرواية عليه.

- حضور المرؤي له من داخل الحكاية (المرؤي له الممسر):

يحضرُ المرؤي له مسرّحاً، عندما تتحولُ شخصية من شخصيات الرواية إلى مرؤي له من خلال الحوارات التي تتمُّ بين الشخصيات، وقد تلعب هذه الشخصية دوراً أقلّ أو أكثر أهمية في الواقع المرويّة، وهذا الحضور يندرج ضمن المرؤي له القصصي المعلن الذي يتحولُ في الغالب إلى حوار سريّ منظم صلب قانون تخطاطي يتداولُ فيه المحتواون دور العونين السرديين (الرواية والمرؤي له)، أما المضمّر فقد انعدم

^(١) انظر: عبيد، علي. المرؤي له في الرواية العربية، ص 211.

^(٢) لوبوك، بيرسي. صنعة الرواية: ترجمة. عبد السنار جواد، ط 2، دار مجلداوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ص 108.

^(٣) القصبي، غازي. حكاية حب: ص 9.

^(٤) انظر: برنس، جيرالد. المصطلح السري: ص 143.

في الحكاية؛ فالراوي العليم استلم زمام الحكاية من بداية النص إلى منتها، وكان المتحكم والمسطر في تنظيم الحوارات بين الشخصيات.

فالمرؤى له المسرح في هذه الرواية اتخذ قالباً واحداً، وهو:
مروى له واحد، وراوٍ واحد.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة (يعقوب) مع (روضة وابنتيها) في مدينة الألعاب "اسمعي القصة!
كنا في مدينة الألعاب، روضة وأمها وهديل ابنة روضة الكبرى، وزينب وأنا، كنا ننتقل بين مختلف الألعاب، من المراجيح إلى السيارات الكهربائية، كانت زينب ترکض أمامنا، عندما عثرت وسقطت بدأ الدم ينزف من ركبتيها، وبذلت بكى أسرعث إليها وضممتها وربطت الجرح.." .
أتذكر يوم ميلادك، وكأنه حدث البارحة، كنا طفلين أملك وأنا، عندما تزوجنا، كانت في السادسة عشرة...".

وقوله: "حسناً اسمعي! في سالف العصر والأوان ولدت أميرة جميلة في قصر عظيم كان اسمها فيروز.." .^٣ يتحدث الراوي بضمير المتكلم ليسرد للمرؤى له (جانبيت) ما جرى للأميرة فيروز محاولاً إقامة مسافة زمنية فاصلة بينه - باعتباره راوٍ للقصة، وشخصية في الحدث - فكان جزءاً ثانوياً من مادته الحكائية، عامداً إلى التفصيل فيما وقع، مضيفاً جائباً من الصدق فيما يريد أن يخبر.

فالمرؤى له في (حكاية حب) جاء على شكلين: شكل الخحضور الأول: مرói له من خارج الحكاية (غير مسرح)، وهو المرؤى له الرئيس الذي يحتل نفس موقع الراوي، وهو موقع خارج عن الحكاية، وغائب عنها مع وجود إشارات نصية تدل على وجوده داخل الحكاية مستمعاً، ومراقباً، ومحاوراً أحياناً، كما رأينا في تساؤلاته أحياناً، وفي تعجبه واندهاشه مما يرويه الراوي أحياناً آخر.

أما شكل الخحضور الثاني: المرؤى له من داخل الحكاية (المسرح) حيث نجد أحد شخصيات الحكاية وقد تحول إلى مرói له مستمع، واتخذ شكلاً واحداً، وهو مرói له واحد، وراوٍ واحد.

خاتمة البحث:

(حكاية حب) عمل أدبي ينافشُ الكثير من قضايا الموت، والحياة، والوجود، والحب، وغيرها من القضايا المبثوثة أثناء النصّ، كما حفلت بزخم من الأبعاد الدلالية، وهي عملٌ يستحقّ أن تدور حوله دراسات عديدة، وقد توصلَ هذا البحث إلى جملة من النتائج، وهي كالتالي:

١. حضر الراوي في (حكاية حب) على شكلين:
- الشكل الأول: الراوي الأساس، وهو ناقل للسرد، إذ يحتلُّ المركزية في السرد.

⁽²⁾ القصبي، غازي. حكاية حب: ص 13.

⁽³⁾ المصدر السابق، ص 81.

⁽⁴⁾ المصدر السابق، ص 76.

- الشكل الثاني: الرواية الثنائي، وهو هنا بطل السرد بحيث يقوم برؤية الحدث الذي قرره له الرواية الخارجية، وبطولة بعض الأحداث ليفصح عن آرائه وتوجهاته.
٢. يوظف السرد في (حكاية حب) بضمير الغائب في الرواية الأساس، وهو القناع الذي يتموّع خلفه الرواية الكاتب، في حين حضر بضمير المتكلّم في الرواية الثنائي (بطل السرد يعقوب).
٣. صدر النص عن راوين من صنف الحاكي:
- الرواية الخارجي من خارج الحكاية.
 - الرواية الداخلي، وهو قليل جدًا في النص.
٤. سعى الرواية الأساس العليم إلى التزام الجانب الموضوعي، والاطلاع التام الكامل إلى الأحداث مع معرفته بما يجول في نفوس شخصياته، وكيفية تفكيرها، ونظرتها للأمور، وللحياة، والموت، والحب.
٥. يستخدم الرواية اللا تبعير (التبعير الصفر) فهو علیم بكل شيء قادر على التعمق في نفوس الشخصيات يعرف مظاهرها الخارجي، وينقل أفكارها؛ ولذلك يحفل النص بالأفعال الاستبطانية أو الذهنية، ومن خلال تدخلات الرواية في صياغة خطاب شخصياته، وعدم تناظره عنه لترويه هي بصوتها، كما أن اللّغة التي يستعملها هي في الغالب لغة شاعرية غنائية، وقد يعدل إلى التبعير الداخلي المحكم برأية كلية يتوجهها الرواية عن طريق معلنات القول الذي تمثل في المشاهد الحوارية التي أُجريت بخطاب الشخصيات، ونقل أقوالها، وقد يستخدم كذلك وجهة النظر الخارجية عندما يصف الشخصية من الخارج، ويسرد مظاهر سلوكها، أو ينقل أقوالها.
٦. اعتمد الرواية الخارجي على تقنيات سردية مؤكدةً على حضوره الطاغي، كالتقنيات المعتمدة في تشكيل الزمن وبنائه في هذا النص سواء من خلال الاستباقات، أو الاسترجاعات، ومن خلال النصوص العتبات، والمصاحبات النصية الواضحة في الهوامش التي تذيل بها الحكاية، كما استخدام الرواية تقنيتي السرد والعرض، والمنتج السينمائي، والتناوب، والملياقص.
٧. هناك علاقة وطيدة بين الروائي والرواية؛ ل يجعل القارئ يعتقد أن النص هو سيرة لكن لا يمكن له الجزم بكونها سيرة ذاتية للمؤلف، ذلك أنَّ الروائي لم يضع أي تصريح أحناسي، ولم يدرج العمل تحت جنس أدبي وهذا ما يخوّل إدراجه ضمن جنس الحكاية، فالروايَّ قد حدد ميثاقاً مرجعياً، وهو عنوان النص (حكاية حب) فإنَّ من شروط التلقى فرض التعامل مع نتاجه وفق الحدود المرسومة؛ يعني بأنَّ النص لا يضع القارئ أمام رواية تامة، وإنما أمام حكاية قد يكون الروائي عاش تفاصيلها، أو سمع بها، أو أُخبر عنها.
٨. ثمة علاقة بين الرواية والمرؤى، وقد تمثلت في:

- علاقة مباشرة وقوية بين الرواية والمروي، إذ يعتمد الرواية على رواية الحكاية بنفسه، وكأنه عاش تفاصيلها.

- إسقاط المسافة الفاصلة بين الرواية ومرويه، فيروي وكأنه شخصية مشاركة في الحدث، أو إحدى الشخصيات المشاهدة له.

٩. اتخاذ المروي له في (حكاية حب) شكلين من أشكال الحضور حسب الموضع الذي يحتلُّه، فالمروي له عندما يكون خارج الحكاية، باعتباره الرئيس يكون مرؤياً له غير مسرح، وعندما يحتلُّ موقعًا داخليًا، ويصبح شخصية من شخصيات الحكاية يكون مرؤياً له مسرحًا.
ويوصي هذا البحث بتقسيم دراسة مستفيضة للعبارات النصية المصاحبة في النص، ودراسة الإحالات في بحث مستقلّ.

المصادر:

القصبي، غازي. حكاية حب: (الطبعة السابعة)، دار الساقى، بيروت، 2011.

المراجع العربية:

إبراهيم، عبدالله. موسوعة السرد العربي: طبعة جديدة موسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، المجلد ١.

إبراهيم، مني عبدالرحمن، نهى محمد نشأت. دور الخط العربي في ابتكار علامات تجارية لتسويق الأزياء المعاصرة المطبوعة من خلال الموروث الثقافي العربي: مجلة العمارة والفنون، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، مصر، العدد الخامس، 2017، صص 330-350 DOI: 10.12816/0036613
البدري، أحمد. المروي في الرواية العجائبية العربية: مجلة الراوي، النادي الأدبي الثقافي بمدحده، العدد ١٨، ٢٠٠٨ مارس، صص 36-19.

برهومه، عيسى عودة، بلال كمال عبد الفتاح. سيمياء الإهداء "دراسة في نماذج من الرواية العربية": حولية كلية. الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد ٤، العدد ٢٣، ٢٠١٦، صص 670-719.

بلعابد، عبد الحق. عبارات جিرار جينيت من النص للمناص: ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، 2008.

حسين، خالد. شئون العلامات "من التشفير إلى التأويل": التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2008.

حليفى، شعيب. هوية العلامات في العبارات وبناء التأويل: ط١، مطبعة النجاح الجديدة، بيروت، 2005.

الدوهو، محمد. المحكي واستراتيجية الممكّن قصة "الرجل الحافي" لمحمد الداغومي: النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد ٤٠، ٢٠١٣، صص 108-101.

ذهبني، محمود. القصة في الأدب العربي القاسم: ط١، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٣.

- زيتوني، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية: ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002.
- السلوي، مصطفى. عتبات النص "المفهوم والموقعية والموظائف": منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات، 2003.
- الشريف، حبilla. بنية الخطاب الروائي" دراسة في روايات نجيب الكيلاني: ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2010.
- عبد الحكيم، شوقي. الحكاية الشعبية العربية: د.ط، دار ابن حليدون، بيروت، 1980.
- العبودي، ضياء غني. لوحة الغلاف في الرواية العراقية المعاصرة - دراسة في نماذج مختارة-: الملتقى العلمي العالمي الحادي عشر للغة العربية، اللغة العربية ودورها في تطبيق الشريعة الإسلامية والحضارة الإنسانية، أندونيسيا، 2018، صص 721-745.
- عبيد، علي. المرؤوي له في الرواية العربية: ط١، دار محمد علي للنشر، صفاقس، 2003.
- العمامي، محمد نجيب. الذاتية في الخطاب السردي: ط١، دار محمد علي، صفاقس، 2011.
- العمامي، محمد نجيب. الرواية في السرد العربي المعاصر رواية الشهانينيات بتونس: ط١، دار محمد علي الحامي للنشر، طفاقيس، 2001.
- العيدي، يمنى. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنائي: ط٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1999.
- فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد 164، 1992.
- قاسم، سوزان. بناء الرواية دراسة مقارنة في "ثلاثية نجيب محفوظ": ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004.
- القاضي، محمد وآخرون. معجم السرديةات: ط١، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، مؤسسة الانتشار، بيروت، 2010.
- قريرة، حمزة. الفضاء النصي في الغلاف أول العتبات النصية، قراءة في غلاف دواوين شعرية نسوية جزائرية معاصرة: مجلة الآخر، العدد 25، جوان 2016، صص 237-249.
- مرتضى، عبد الملك. في نظرية الرواية "بحث في تقنية السرد": د.ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998.
- المرزوقي، سمير وجميل شاكر. مدخل إلى نظرية القصة: الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
- معيكل، أسماء. الأفق المفتوح نظرية التوصيل في الخطاب الروائي المعاصر، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013.
- النصير، ياسين. إشكالية المكان في النص الأدبي: ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- يقطين، سعيد. تحليل الخطاب الروائي: ط٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.
- المراجع المترجمة:**
- باختين، ميخائيل. الكلمة في الرواية: ترجمة. يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988.
- برنس، جيرالد. المصطلح السردي: ترجمة. عابد حزندار، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2003.
- بوث، وين. بلاغة الفن القصصي: ترجمة. أحمد خليل عرداد، علي أحمد الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1994.

جون، كوهين. بنية اللغة الشعرية: ترجمة. محمد الولي، محمد العمري، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2014.

جينيت، جيرار. خطاب الحكاية بحث في المنهج: ترجمة. محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

لوبوك، بيرسي. صنعة الرواية: ترجمة عبد الستار جواد، ط٢، دار محداوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000.

ميشار، بوتور. بحوث في الرواية الجدیدة: ترجمة. فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1989.

مقالات من الشبكة العنكبوتية:

^١ - فردي، سعيد. الراوي وعلاقته بالسرد قراءة في رواية "الشمس لن ترحل" للكاتب محمد عتاني: متاح على الشبكة:

http://www.annachraalikhbaria.com/2013/08/blog-post_4654.html

أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية

أ. محمد جابر أحمد حمدي

ماجستير في تكنولوجيا التعليم، قسم تقنيات التعليم، كلية التربية، جامعة الملك خالد

د. حامد علي مبارك الشهري

أستاذ تقنيات التعليم مشارك، قسم تقنيات التعليم، كلية التربية، جامعة الملك خالد

الملخص

هدف البحث الحالي إلى التعرف على أثر بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، وقد استخدم البحث المنهج التجريبي ذا تصميم المجموعة الواحدة الذي يستند على التطبيق القبلي والبعدي على عينة البحث؛ ولتحقيق هذا الهدف صُممَت بيئة تدريب إلكترونية قائمة على دمج التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية. وأُعدّت بطاقة تقييم المنتج المرتبطة بمهارات إنتاج المعرفة، واختبرت عينة البحث بطريقة عشوائية، وشملت عينة البحث (22) معلماً من معلمي التربية الفكرية بمعاهد التربية الفكرية ومدارسها بالإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان في المملكة العربية السعودية، وجرى التطبيق القبلي لبطاقة تقييم المنتج على عينة البحث، وبعد ذلك قُدِّمت بيئة التدريب الإلكترونية في ضوء الخطوات الإجرائية لعينة البحث من خلال نظام إدارة التدريب (Canvas)، وبعد ذلك جرى التطبيق البعدي لبطاقة تقييم المنتج على عينة البحث، واستُخدم اختبار (t) لعيتين مرتبطتين، وقد أسفرت نتائج البحث عن وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي.

الكلمات المفتاحية: بيئة التدريب الإلكتروني، التفكير التصميمي، تطبيقات الويب التشاركية، مهارات إنتاج المعرفة.

Effect Designing an E-training Environment Based on the Integration of Design Thinking and Participatory Web Applications in Develop the knowledge Production skills of Intellectual Education Teachers

Muhammad Jaber Homadi

Master of Educational Technology Educational Technology Department College of Education King Khalid University Abha-Kingdom of Saudi Arabia

Dr. Hamed Ali AL-Shahrani

Associate Professor of Educational Technology, Educational Technology Department, College of Education, King Khalid University, Abha-Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

The current research aims to identify the effect of an E-training environment based on the blending of design thinking and participatory web applications in develop the skills of knowledge production for intellectual education teachers. To achieve this goal, an E-training environment has been designed based on integrating design thinking and participatory web applications. The research used an experimental method with a single-group design based on pre-and post-application to the research sample. The researcher prepared a product evaluation card related to knowledge production skills. The research sample was randomly selected, including (22) intellectual education teachers at intellectual education institutes and schools at the General Directorate of Education in the Jazan region in the Kingdom of Saudi Arabia. The product evaluation card was applied to the research sample pre-app, and the presented the electronic training environment in light of the procedural steps of the research sample through the Training Management System (Canvas). After that, the product evaluation card was applied to the research sample post-app. The statistical methods were used: the (T-value) test for two related samples. The research results resulted in statistically significant differences at the level (0.05) between the average scores of the experimental group teachers in the pre-and post-application on a product evaluation card in favor of the post-application.

Keywords: E-Training Environments, Design Thinking, Participatory Web Applications, Knowledge Production Skills

المقدمة:

يشهد مجال إعداد المعلم وتدربيه المهني تطويراً متسارعاً، ذلك بفعل متطلبات معلم القرن الواحد والعشرين، وأدواره المتطرورة في البيئة التعليمية؛ مما يوجد حاجة لتطوير مهارات المعلم وقدراته، وخاصة للتتدريب المستمر له، وتحت المعلم على امتلاك مهارات جديدة توافق التطورات المعرفية والتكنولوجية.

يعتمد تطوير التعليم على إعداد معلم واعٍ بتحديات الحاضر والمستقبل، وعلى الممارسات التربوية المناسبة، وأيضاً على مدى إيمانه بقدراته، التي تحتاج منه جهداً للكشف عنها وتنميتها؛ لكي تسهم بفعالية في رفع مهاراته ومؤشراته أدائه، وإحداث التغيير في سلوك المتعلم لنجاح العملية التعليمية (المولى وخليل، 2021).

يؤدي المعلم دوراً جوهرياً في عملية تعليم طلبة التربية الفكرية وتأهيلهم، وللقيام بهذا الدور لابد أن يمتلك إلى جانب المعلومات النظرية الكفايات العلمية والمهنية والشخصية التي تمكنه من أدائه، وأن يكون أكثر استعداداً؛ ليستطيع تقديم أفضل الممارسات التعليمية للطلبة (الراوي، 2018). ويشير سهيل (2020) إلى أنه من الأفضل أن يتمتع معلمو التربية الفكرية بالإعداد والتدريب الكافي، من خلال التدريب، وورش العمل، والمؤتمرات؛ من أجل تحسين خبراتهم وتطورها، وزيادة معلوماتهم بكل جديد.

فالمؤسسة التربوية في حاجة إلى معلم يمتلك مهارات وقدرات متميزة تمكنه من التعامل مع المعرفة والتقنيات الحديثة؛ ولذا على المؤسسة تحية بيئة للتدريب المستمر بمدف إكسابه مهارات متعددة وقدرات تلي حاجاته العملية الحالية والمستقبلية في ظل التطورات السريعة؛ إذ أصبح المقياس لنجاح المؤسسة هو قدرتها على بناء قدرات العاملين القادرين على توظيف المعرفة في إنتاج معرفة جديدة (عيسووش، 2018).

عملية إنتاج المعرفة هي ابتكار وإبداع معرفة جديدة من خلال العمل ومشاركة فريق العمل في المؤسسة التربوية لتوليد رأس مال معرفي وابتكار حلول لمشاكل تواجهها المؤسسة، وقد تزود المؤسسة بقدرات تميزها في تحقيق إنجازات وخطط عمل جديدة لحل المشكلات ونقل الممارسات الأفضل وتطوير المهارات الفنية والتقنية للأفراد ومساعدة الإدارية في جذب المواهب والاحتفاظ بها (الشريدة، 2017). وتعرف بأنها "دورة تحويل المعرفة داخل المنظمة من معرفة ضمنية إلى ضمنية، أو من معرفة ضمنية إلى صريحة، أو من معرفة صريحة إلى صريحة، أو من معرفة صريحة إلى ضمنية؛ وتتضمن دورة تحويل المعرفة عمليات تنشئة، وتحسين، وتوسيع، وربط المعرفة على التوالي، وذلك بمدف تحويلها من شكل لآخر، للاستفادة منها، ومشاركتها بين الأفراد داخل منظمة الأعمال" (العماوي، 2018، ص. 14). فمهارات إنتاج المعرفة تساعد معلم التربية الفكرية في أداء أدواره في تعليم الطلبة وتأهيلهم، من خلال المعرفة بالتقنيات الحديثة والأساليب والاستراتيجيات والأنشطة التربوية المناسبة للمتعلم، والمشاركة الفاعلة في تعديل المنهج ومواعيده بشكل يتناسب مع قدرات المتعلم، والابتكار والإبداع في تعديل الوسائل التعليمية المناسبة وإنتاجها للمتعلم لكي يظهر طاقته الكامنة ويصبح فرداً منتجًا في مجتمعه.

ويطلق على مصطلح إنتاج المعرفة أيضًا: اكتشاف المعرفة وتوليد المعرفة وإنشاء المعرفة وإبداع المعرفة، ويتألف من كلمتين هما: إنتاج، والمعرفة، فقد عُرف الإنتاج بأنه عملية الجمع بين مختلف المدخلات المادية وغير المادية (الخطط والخبرة) وذلك للحصول على مواد منتجة لإشباع الحاجات والرغبات من العملية الإنتاجية. كما عُرفت المعرفة بأنها: نسيج من الخبرات والمهارات والمعلومات والقدرات المعرفية الضمنية والواضحة المتراكمة لدى العاملين في المنظمة؛ لذلك فإن إنتاج المعرفة هو حقل واسع يشمل مكونات أساسية منها صناعة النشر الإلكتروني وصناعة المحتوى المعرفي وصناعات تقنيات المعلومات والاتصالات وصناعة العقل البشري (الشريدة، 2017). وبعد نشر المعرفة عنصراً حاسماً في عملية إنتاج المعرفة؛ لأنه يقلل من ازدواجية الجهد أو التكرار ويعزز الكفاءة من خلال تحديد ما توصل إليها الآخرون & Boudreau .(Lakhani,2015)

ويؤكد العماوي (2018) أن إنتاج المعرفة هي عملية تطوير المعرفة الموجودة وتميّتها للحصول على معرفة جديدة لها علاقة كبيرة بالمعرفة السابقة، وتكون هذه المعرفة الجديدة ملبيّة لاحتياجات الفرد أكثر بكثير من المعرفة السابقة، وهذا يدل على أن المعرفة ليست ثابتة، وإنما تتغيّر وتتطور وتتصبّح ذات فائدة وأهمية أكبر من حيث مضمونها وال الحاجة إليها.

يُفهم التعلم البنائي على أنه بناء نشط للمعرفة من خلال أدوار المتعلمين المختلفة في البيئة، والمتعلمون ليسوا مجرد مستهلكين غير ناقدِين للمعرفة، بل هم متّحدون نشطون للمعرفة ومنظرون فضوليون ومستخدمون ناقدون للمعرفة. ويشكل تطبيق التعلم البنائي في التعليم تدخلاً تربوياً لتحفيز المتعلمين من أجل التفكير في المعرفة التي قد يختلفون معها، والتي يمكنهم من خلالها بناء معرفة جديدة، ولا يقتصر دور المتعلم على تجميع الحقائق والأرقام دون تفكير، بل يستخدم المعرفة الحالية لتحديد الروابط التي قد تنشأ منها والتفكير فيها، قبل أن يتمكن تدريجياً من التعرّف على مصدر المعرفة الجديدة ثم ربط المعرفة القديمة بالجديدة (Vu, 2020).

قدم Socialization, Externalization,) (SECI Nonaka and Takeuchi في عام 1995م نموذج (SECI) Combination, and Internalization لتوسيع المعرفة وتحويلها لوصف عملية التفاعلات بين المعرفة الصريحة والضمنية، وتعدّ الفكرة الرئيسة لإنتاج المعرفة هي عملية التحويل بين المعرفة الضمنية والمعرفة الصريحة، حيث المشاركون في هذه العملية هم الأفراد، والجماعات، والتنظيم، والبيئة. وتنتج المعرفة من خلال التّفاعل بين المعرفة الضمنية والصريحة، وهي كالتالي: 1) التنشئة (Socialization) وهي عملية تحويل معرفة ضمنية إلى معرفة ضمنية جديدة وذلك من خلال التشارك في الخبرات والمهارات ومن ثم إنتاج معارف ضمنية جديدة مثل: النماذج العقلية والمهارات الفنية المشتركة؛ 2) التجسيد (Externalization) وهي عملية تحويل المعرفة الضمنية لدى الأفراد إلى معرفة صريحة قابلة للتجديد اللغظي يتم فيها تحديد لغظي للمعرفة الضمنية تحول من خلالها إلى مفاهيم ظاهرة وتأخذ شكل مفاهيم، نماذج، مجازات،

تناولات، ويعبر عنها بالكتابية أو اللّفظ؛ ٣) الترابط (Combination) هو عملية تحويل المعرفة الصرحية إلى معرفة صريحّة أخرى، وذلك بتبادل الأفراد للمعرفة ودمجها من خلال وسائل، مثل: الاجتماعات والوثائق وشبكات الاتصال من خلال الحاسب الآلي. وهذا يؤدي إلى ابتكار معارف جديدة؛ ٤) الاستيعاب (Internalization) وهي عملية تحويل المعرفة الصرحية إلى معرفة ضمنية، وذلك من خلال عملية ترميز المعرفة الصرحية، وذلك بمراجعة المعرفة الصرحية وتفسيرها؛ ومن ثم تحويلها إلى معرفة ضمنية، وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعلم من خلال العمل (الشريدة، ٢٠١٧؛ عدوان، ٢٠١٨؛ Nonaka & Takeuchi, 1995, 2001). وأكد نموذج SECI أن إنتاج المعرفة يقود إلى توسيع المعرفة من خلال تحويل المعرفة الضمنية إلى معرفة صريحّة، وتحويل المعرفة من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي (بن لحضر ومناصرية، 2018).

بالنظر إلى الأساليب التي يمكن أن تبني مهارات إنتاج المعرفة لدى المعلم، يظهر التفكير التصميمي (Design Thinking) الذي اهتم بالمهارات الإبداعية والابتكارية، المادفة لإيجاد فرصة لفهم الأفراد وتطوير حلول مبتكرة لتلبية احتياجاتهم، ومن خلاله أصبح المعلم يفكر كمصمم وليس مجرد مخطط للدرس، بل يحاول الانطلاق من خطوات تبدأ بالإحساس بالمشكلة، ثم توليد أفكار تساعد في تنفيذ عملية تعليمية شيقّة ومشمرة. فالتفكير التصميمي كما عرفه تيم بروان المدير التنفيذي لشركة IDEO هو: "نحو إبداعي حل المشكلات، يبدأ مع المستفيدن الذين نصمم الحلول لأجلهم، وينتهي بحلول جديدة ابتكرت خصيصاً بحيث تتناسب مع احتياجاتهم. إنه الاعتقاد أننا يمكن أن نحدث فرقاً، وأن نجري عملية مدرّسة من أجل الحصول على الحلول الجديدة ذات الصلة، التي تخلق تأثيراً إيجابياً. فالتفكير التصميمي يمنح الثقة في قدراتك الإبداعية، وهو طريقة فعالة لتحويل التحدّيات الصعبة إلى فرص للتصميم" (هواري والمعلم، 2019).

وفي هذا السياق؛ بينت نتائج دراسة رزق (٢٠١٨) عن وجود أثر لاستراتيجية قائمة على مدخل التفكير التصميمي على الكفاءة الذاتية في تدريس الرياضيات، لدى طالبات المرحلة المتوسطة، كذلك اتفقت معها دراسة الباز (٢٠١٨) التي بينت نتائجها أن ارتفاع مستوى أداء المعلمين بعدها يدل على تحسن مستوى أدائهم لمهارات التفكير التصميمي. وتوصلت نتائج دراسة الزبيدي وبني خلف (٢٠١٩) إلى وجود فرق دال إحصائياً في درجة اكتساب المفاهيم الفيزيائية، يعزى لكل من استراتيجية التدريس المستندة للتفكير التصميمي، واختلاف التفكير الشكلي، وللتفاعل بين استراتيجية التدريس والتفكير الشكلي، وفي ضوء هذه النتائج توصي الدراسة بتطوير مناهج العلوم وفقاً لاستراتيجية التفكير التصميمي.

ويعتمد التفكير التصميمي في أسلوبه بشكل أساسى على البصائر العميقّة التي يتوصّل إليها عبر الانخراط في حياة المستفيد، والتعاطف معه، وبناء النماذج الأولية السريعة للحلول، التي تهدف بحملها للذهاب إلى ما هو أبعد من الافتراضات التي تحجب الحلول الفعالة. كما يضع التفكير التصميمي احتياجات الفئة المستفيدة في صلب عملية تصميم الحلول (هواري والمعلم، 2019).

وتعُد تطبيقات الويب التشاركيّة مجموعة من الخدمات المتكاملة، التي تعمل على أساس التعاون ونشر المحتوى بين المستخدمين وليس التحكم في عرض المعلومات، وتعمل على زيادة التواصل والتشارك بينهم بما يحقق سهولة النشر والتداول والتعليق، وكذلك تسهم في إعدادهم تربويًا ومهنيًا بشكل مستمر ومتتطور (العتبي، 2020). وتكمّن أهمية استخدام تطبيقات الويب التشاركيّة في العملية التعليمية في أنها تسهم في رفع طموح الطلبة وتشجعهم على المشاركة في التعليم والتعلم بشكل أقوى، وتحلّ المتعلّم متلقًياً ومرسلاً ومتفاعلاً ومشاركاً، لا مجرّد مستقبل ومتلق سلبي، كما أنها تجعل التعليم تعاونياً وتكاملياً بين الطلبة (فتح الله، 2019).

وتتيح هذه التطبيقات الفرصة للمتعلّمين للتفاعل الاجتماعي والمشاركة الجماعية من أجل بناء المعرفة الجديدة؛ حتى يصبحوا منتجين للمعرفة، بالإضافة إلى تبادل الآراء والأفكار والمعلومات بشكل يسمح بالتعلم المستمر، كما أنها تعمل على تحسين التشاركيّة في التعلم عبر الإنترنّت، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو التشاركيّة والعمل الجماعي من خلال العمل في مجموعات، وتنفيذ أنشطة التعلم التشاركيّة والاجتماعية من خلال التعليقات وتبادل وجهات النظر (المرادي وآخرون، 2019). وأسفرت نتائج دراسة القاضي (2016) عن وجود تأثير لاستخدام البرنامج القائم على الويب التشاركي في تنمية مستوى الطموح الأكاديمي والمهارات الحياتية لدى الطالبات. وأشارت نتائج دراسة عبد المجيد وإبراهيم (2018) إلى أن تصميم بيئة التعلم الإلكتروني القائمة على الويب التشاركي قد أسهمت في تحسين مستوى مهارات تصميم تطبيقات الهواتف الذكية وإناجها، وأسهمت بدرجة متوسطة في بناء الثقة في التعلم الرقمي.

ويوضح ما سبق أنه قد تسهم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين أدوات التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركيّة في إعداد معلمي التربية الفكرية وتدريبهم وتنمية مهاراتهم في إنتاج المعرفة، من أجل تحسين خبراتهم وتطوير مهاراتهم وقدراتهم، وزيادة معلوماتهم بكل جديد، وأداء أدوارهم في تعليم طلبتهم وتأهيلهم؛ لكي يصبحوا أفراداً منتجين في المجتمع.

مشكلة البحث:

تنطلق مرحلة الإحساس بالمشكلة من ملاحظة الباحثين أن هناك قصوراً في مستوى مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية؛ وذلك بوصف طلبة التربية الفكرية متعلّمين ليست لديهم القدرة على الاستفادة المثلثي من البرامج التعليمية التقليدية، فهم يحتاجون إلى برامج تعليمية خاصة للوصول بهم إلى أقصى ما يمكن من قدراتهم، والتي تلزم المعلمين أن يسعوا إلى تقليل ما يناسبهم من الأساليب والطرق والوسائل والأنشطة التي تتناسب مع مستوياتهم والتي تظهر القدرات الكامنة لديهم، فإن تنمية مهارات إنتاج المعرفة تساعدهم في المعرفة بالتقنيات الحديثة والأساليب التربوية والاستراتيجيات والأنشطة المناسبة، والمشاركة الفاعلة في تعديل المنهج ومواهمه بشكل يتناسب مع قدرات المتعلّم، والابتكار والإبداع في إنتاج الوسائل التعليمية المناسبة للمتعلّم؛ لكي يظهر طاقته الكامنة ويصبح فرداً منتجًا في مجتمعه.

وقد أشارت عديد من الدراسات والبحوث السابقة إلى احتياج المعلمين للتدريب وتوظيف نتائج البحث كما جاء في دراسة (سهيل، 2020؛ والقططاني، 2019؛ والباز، 2018؛ والعبيبي، 2020؛ والقططاني والعبيبي، 2018) والتي أوصت بضرورة إعداد معلمي التربية الفكرية وتدريبهم وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وتحفيزهم على التدريب، والبحث عن أهم المهارات وكيفية توظيف أدوات التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية في تدريبهم.

كما قام الباحثان بإجراء دراسة استكشافية استطلعا فيها آراء (37) ما بين معلم ومشرف تربوي للتربية الفكرية بإدارة تعليم جازان، حول مستوى مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، حيث أسفرت نتائج الدراسة عن ضرورة تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية بما يعود بالتأثير الإيجابي على قدراتهم التدريسية، حيث جاءت أبرز النتائج كما يلي: تأييد نسبة (97.3%) لسؤال: هل مهارات إنتاج المعرفة ضرورية لملمي التربية الفكرية؟ وبسؤال: اختر برنامجاً تدريسيًا من البرامج التدريسية الآتية: (مهارات إنتاج المعرفة، الوسائل التعليمية، التفكير التصعيمي، إعداد الخطة التربوية الفردية، التعرف على خصائص طلبة التربية الفكرية) حصلت على استجابات بنسب مئوية كانت على التوالي: (37.8%， 18.9%， 16.2%， 13.5%， 13.5%)، وبسؤال: ما نسبة احتياج معلمي التربية الفكرية لبرنامج تدريسي لتنمية مهارات إنتاج المعرفة؟ جاءت الاستجابات بنسبة: (48.6%) لـ (أكثر من 75%) وبنسبة (29.8%) لـ (أقل من 75%) وبنسبة (21.6%) لـ (أقل من 50%) وبنسبة (0.0%) لـ (أقل من 25%).

ما سبق يمكن تحديد مشكلة البحث في وجود قصور لدى معلمي التربية الفكرية في مهارات إنتاج المعرفة واحتياجهم إلى تنمية هذه المهارات، وسوف يكون علاجها من خلال الإجابة عن سؤال البحث.

سؤال البحث:

حاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال الآتي:

وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي: ما أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية؟

وانبعث من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة (مهارة اكتساب المعرفة) لدى معلمي التربية الفكرية؟
٢. ما أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة (مهارة مشاركة المعرفة) لدى معلمي التربية الفكرية؟
٣. ما أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة (مهارة استخدام المعرفة) لدى معلمي التربية الفكرية؟

وللإجابة عن هذا السؤال وضع الباحثان الفرض التالي: يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي.

أهداف البحث:

١. التعرف على أثر تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي فيما يأتي:

١. تقدّم نمط جديد في تدريب معلمي التربية الفكرية وإعدادهم.

٢. يساعد القائمين على تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية لتنمية مهارات المعلمين.

٣. يساعد على تصميم مقرر قائم على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية.

٤. يساعد تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى المعلمين بالاعتماد على التعلم الذاتي.

٥. يساعد الباحثين في فتح المجال أمام دراسات أخرى مشابهة في مجال إعداد المعلمين وتدريبهم.

حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على الحدود التالية:

الحدود الموضوعية: مهارات إنتاج المعرفة (اكتساب المعرفة، مشاركة المعرفة، استخدام المعرفة).

الحدود البشرية: يتكون مجتمع البحث الحالي من جميع معلمي التربية الفكرية، ويقصد بهم المعلمون الذين يقومون بالتدريس لنزوي الإعاقه الفكرية بمعاهد ومدارس التربية الفكرية التابعة للإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان في المملكة العربية السعودية، للفصل الدراسي الثالث لعام (1443هـ) وكان عددهم (109) معلماً.

وتقترن عينة البحث على عينة عشوائية بنسبة لا تقل عن (20%) من معلمي التربية الفكرية.

الحدود الزمنية: الفصل الدراسي الثالث من العام الدراسي 1443هـ.

الحدود المكانية: تم التطبيق بمنطقة جازان.

مصطلحات البحث:

بيئة تدريب إلكترونية (E-training Environment): وتعرف إجرائياً بأنها بيئة للتدريب الإلكتروني قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية، تُبنى وفق معايير معينة بقصد تدريب معلمي التربية الفكرية، وتتضمن مجموعة من الأنشطة والتقنيات وأدوات التقويم والإجراءات التدريبية المنظمة والمخطط لها، التي تهدف إلى تنمية مهارات إنتاج المعرفة.

التفكير التصميمي (Design Thinking): ويعرف إجرائياً بأنه: عبارة عن خرج إبداعي لحل المشكلات، يعتمد على مجموعة من المهارات والعمليات والخطوات، بهدف تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية لإيجاد حلول مبتكرة.

تطبيقات الويب التشاركية (Collaborative Web Applications): وتعرف إجرائياً بأنها: تطبيقات الجيل الثاني للويب، التي تدعم التواصل بين المستخدمين، وتعظيم دورهم في بناء المحتوى الرقمي على الإنترنت وإثرائه، والتعاون بينهم في بناء مجتمعات إلكترونية تشاركية؛ بهدف تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية.

مهارات إنتاج المعرفة (Knowledge Production skills): وتعرف إجرائياً بأنها: مجموعة من المهارات الناجحة عن ممارسة معلم التربية الفكرية للعمليات الابتكارية، والبنية على قواعد ومبادئ وضوابط، والتي تمتد بين تحدي الإبداع والبحث الجاد عن إيجاد حلول مبتكرة، والتي يُتوصل بها إلى استخراج، أو صياغة، أو تطوير، أو تنظيم، أو ابتكار أفكار ومناهج وأساليب ووسائل تناسب الطلبة.

منهج البحث وإجراءاته

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج التجريبي ذو تصميم المجموعة الواحدة الذي يستند على التطبيق القبلي والبعدي على عينة البحث، حيث استُخدمت معرفة أثر المتغير المستقل (بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية) على المتغير التابع (مهارات إنتاج المعرفة) لدى معلمي التربية الفكرية والذي يوضحه الجدول رقم (1) الآتي:

جدول ١

التصميم التجريبي ذو المجموعة الواحدة لتجربة البحث.

المجموعة	التطبيق القبلي	المعالجة التجريبية	التطبيق البعدي
المجموعة التجريبية	بطاقة تقييم المنتج	بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية	

إجراءات البحث:

أولاً: مجتمع البحث وعيّنته:

تكون مجتمع البحث من جميع معلمي التربية الفكرية التابعين للإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان خلال الفصل الدراسي الثالث لعام (١٤٤٣هـ) والبالغ عددهم (109) معلماً. وقد تكونت عينة البحث من (22) معلماً من معلمي التربية الفكرية بمعاهد ومدارس التربية الفكرية التابعين للإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان، اختياروا بطريقة عشوائية.

ثانياً: إعداد مواد البحث:

١) تصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميسي وتطبيقات الويب

الشاركيّة:

في ضوء الأديب التربوية والدراسات السابقة المتعلقة تم بناء بيئة تدريب إلكترونية والتي تناولت التدريب بصفة عامة، والتفكير التصميسي وتطبيقات الويب الشاركيّة بصفة خاصة، اتبع مجموعة من المراحل والخطوات لبناء بيئة تدريب إلكترونية وفق النموذج العام للتصميم التعليمي (ADDIE)، وبيانها كالتالي:

المرحلة الأولى: التحليل (Analysis): وشملت هذه المرحلة ما يأتي:

١. تحديد المهدف العام: تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية من خلال دمج التفكير التصميسي وتطبيقات الويب الشاركيّة.

٢. تحديد المشكلة: وجود قصور لدى معلمي التربية الفكرية في مهارات إنتاج المعرفة وحاجتهم إلى تنميتها.

٣. تحديد مهارات إنتاج المعرفة: تتمثل في (اكتساب المعرفة، مشاركة المعرفة، استخدام المعرفة).

٤. تحديد الحاجات التدريبيّة: تتمثل في حاجات معلمي التربية الفكرية إلى بيئة تدريب إلكترونية قائمة على دمج التفكير التصميسي وتطبيقات الويب لتنمية مهارات إنتاج المعرفة.

٥. تحديد المهام التدريبيّة: حددت المهام التدريبيّة لبيئة التدريب في ضوء المهدف العام في خمس مهام وهي:

(١) التعرف على مهارات إنتاج المعرفة.

(٢) التفكير التصميسي.

(٣) تطبيق خطوات التفكير التصميسي لإنتاج حلول مبتكرة.

(٤) تطبيقات الويب الشاركي.

(٥) استخدام تطبيقات الويب الشاركي لإنتاج المعرفة.

٦. تحديد خصائص المتدربين: المتدربون هم معلمو التربية الفكرية التابعون للإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان وسوف تقتصر عينة البحث على عينة عشوائية بنسبة لا تقل عن (٢٠%) من المعلمين.

٧. تحديد المصادر والموارد التدريبيّة: نظراً لأن التدريب سوف يتم عبر مزج بين التدريب التقليدي والتدريب الإلكتروني، وهو خليط بين أدوار المدرب التقليدي في القاعات التدريبيّة التقليدية مع أدوار المدرب الإلكتروني في القاعات التدريبيّة الافتراضية، وهذا يسهل على المدرب والمتدربين الاستفادة من مميزات التدريب التقليدي والتدريب الإلكتروني، فالتدريب يتم بشكل متزامن؛ حيث الالقاء في قاعة التدريب التقليدية بهدف دراسة الموضوعات المحددة بالبيئة، وتنفيذ الأنشطة المطلوبة وهذا يتطلب

قاعة مهيئة لإقامة التدريب ورميًّا محدداً بالتنسيق مع إدارة التدريب والابتعاث في الإدارة العامة للتعليم بمنطقة جازان، ومادة تدريبية متعلقة بالجانب النظري والعملي تشتمل على عديد من المصادر، كعرض تقديمية ومواد إثرائية، ويتم بشكل غير متزامن -وفقاً اختيار المتدرب- تلقى التدريب الإلكتروني بمختلف دراسة الموضوعات المحددة بالبيئة، وتنفيذ الأنشطة والمهام المطلوبة إلكترونياً، وهذا يتطلب أن يكون لدى جميع المتدربين أجهزة متصلة بشبكة الإنترنت ونظام إدارة المحتوى التدريسي.

٨. تحديد نظام إدارة التدريب: اختيار نظام *Canvas* بوصفه نظام إدارة المحتوى التدريسي الذي يحتوي على أدوات تساعد في التصميم والعرض والإدارة والمتابعة، ويتيح إمكانية رفع المحتوى من خالله وتصميم قاعدة بيانات خاصة بالمتدربين، وإمكانية إنشاء الاختبارات إلكترونياً من خالله، ورصد الدرجات وتحليلها، وإضافة تعليق على إجابات المتدربين، وكذلك أدوات تواصل متزامنة وغير متزامنة، ورفع الأنشطة بطريقة متزامنة وغير متزامنة، وتقدير جميع أنشطة التدريب الفردية والجماعية.
٩. تحديد طريقة التسجيل والدخول لبيئة التدريب: يتم التأكيد من إنشاء حساب في نظام *Canvas* لكل متدرب في أول لقاء مع المتدربين، وإطلاعهم على طريقة استخدام نظام *Canvas* وعمل تدريب تمهيدي لتهيئة من يخنق في استخدام النظام، ونظام *Canvas* نظام مجاني.
١٠. تحديد أنماط التدريب: نظراً لطبيعة بيئة التدريب المتمثل في دمج التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركي، والفقة المقدم لها (المعلمين)، فإنه يُمزج بين نمط التدريب الفردي ونمط التدريب الجماعي.

المرحلة الثانية: مرحلة التصميم (Design): وتتضمن هذه المرحلة ما يأتي:

١. تصميم عناصر المحتوى التدريسي: تحددت في خمسة أجزاء وفق المهام التدريبية، وهي:
 - (١) التعرف على مهارات إنتاج المعرفة.
 - (٢) توضيح المفاهيم الأساسية للتفكير التصعيمي.
 - (٣) تطبيق خطوات التفكير التصعيمي لإنتاج حلول مبتكرة.
 - (٤) تحديد المعلومات الأساسية عن تطبيقات الويب التشاركي.
 - (٥) استخدام تطبيقات الويب التشاركي لإنتاج المعرفة.
٢. تصميم الأهداف التدريبية لبيئة التدريب: صُممَت الأهداف التدريبية المرجو تحقيقها من بيئة التدريب في ضوء عناصر المحتوى التدريسي في خمس مهام تدريبية رئيسة، وصيغت الأهداف التدريبية الإجرائية (المعرفية، والأدائية) الخاصة بكل مهمة من المهام التدريبية، وأصبح عددها (١٧) هدفاً تدريسيًا إجرائيًا، وصنفت الأهداف التدريبية الإجرائية حسب مستويات بلوم، وأدرجت تلك الأهداف التدريبية الإجرائية في صفحات مستقلة داخل بيئة التدريب حسب عناصر المحتوى التدريسي، وهي موضحة في الجدول رقم (٢) الآتي:

جدول 2

الأهداف التدريبية الإجرائية لبيئة التدريب حسب عناصر المحتوى التدريسي

مستويات بلووم	عناصر المحتوى الأهداف التدريبية الإجرائية
	التدريسي
الفهم.	١. التعرف على ١. توضيح مفهوم إنتاج المعرفة.
الفهم.	٢. تمييز أهمية إنتاج المعرفة.
التحليل.	٣. تحديد مهارات إنتاج المعرفة.
الفهم.	٤. توضيح المفاهيم ١. توضيح مفهوم التفكير التصعيمي.
الفهم.	٢. تمييز مبادئ التفكير التصعيمي.
التحليل.	٣. تحديد خطوات التفكير التصعيمي.
التطبيق.	٤. اكتشاف تجربة المستفيد في محيطه للتعرف على مشكلاته.
التطبيق.	٥. تطبيق أدوات وإجراءات تحليلية لتحديد المشكلة.
التطبيق.	٦. توليد أفكار متعددة للعمل على حل المشكلة.
التركيب.	٧. إنتاج حلول مبتكرة.
التفoom.	٨. تجرب حلول المبتكرة للمشكلة تمحور حول المستفيد.
الفهم.	٩. تحديد المعلومات ١. توضيح مفهوم تطبيقات الويب التشاركي.
الفهم.	٢. تمييز أهمية تطبيقات الويب التشاركي.
التطبيق.	٣. تطبيق استخدامات تطبيقات الويب التشاركي في التعلم.
التطبيق.	٤. استخدام تطبيقات ١. ممارسة التعلم من خلال تطبيقات الويب التشاركي لاكتساب المعرفة.
التطبيق.	٢. مشاركة المعرفة مع فريق العمل في جو يسوده المتعة والتحديات.
التركيب.	٣. إنتاج حل مبتكر باستخدام المعرفة من خلال تطبيقات الويب التشاركي لتطبيقها في الواقع العملي.

٣. تصميم خبرات التدريب: صُممَت خبرات التدريب بحيث تكون متنوعة ومناسبة للأهداف المرجو تحقيقها، وتمثلت خبرات التدريب في خبرات مجردة مثل تفاعل المتدرب مع المفاهيم والمهارات والأنشطة، وخبرات بديلة تمثلت في تفاعل الأعضاء مع بيئة التدريب من خلال العروض التقديمية والنقاش الموجه والمهام، وخبرات مباشرة تمثلت في تفاعل المتدربين من خلال التطبيق العملي.

٤. تحديد الأنماط التفاعلية: تقوم التفاعلات التدريبية في بيئة التدريب على أساس دمج التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركي؛ حيث يتفاعل المتدربون مع البيئة التدريبية فردياً وجماعياً، واشتملت بيئة التدريب على ثلاثة أنماط من التفاعلات التدريبية هي: التفاعل بين المتدرب وبيئة التدريب، والتفاعل بين المتدرب والمدرب، والتفاعل بين المتدربين بعضهم مع بعض.

٥. تصميم الخريطة الانسidiافية لبيئة التدريب: يتم التدريب في بيئة التدريب عبر دمج التفكير التصعيمي وتطبيقات الويب التشاركية وتمثل في نمطين، النمط الأول خطى تتبعي وفيه يلتزم جميع المتدربين

بالسير في الخطوات نفسها، والنقط الثاني نحط تفريعي وفيه يتحرر المتدرب من قيود تحكم بيته التدريب؛ فيستطيع إعادة بعض عناصر المحتوى التدريسي واختيار أي جزء لإعادته دون الالتزام بترتيب معين.

٦. تصميم استراتيجية التدريب : صُممَتْ استراتيجيات التدريب والموضع في الجدول رقم (٣) الآتي:

جدول ٣

استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى التدريسي لبيئة التدريب

استراتيجيات ما قبل التدريب

البدء بالتطبيق القبلي لبطاقة تقييم المنتج المرتبطة بمهارات إنتاج المعرفة.	تطبيق قبلي
<p>السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... مرحبا بكم أيها المتدربون الأعزاء.</p> <p>سعيد بتقديم هذه البيئة التدريبية لكم؛ لتنمية مهارات إنتاج المعرفة من خلال التفكير التصعيبىي وتطبيقات الويب التشاركي. أرجو من الله العلي القدير أن ييسر لكم الابتكار والإبداع لخدمة الذات والمجتمع، فالابتكار والإبداع متوفران وموجودان في كل فرد، وبخاصة في هذه البيئة التدريبية التي تتضمن موضوعات نعيشها يومياً في الواقع داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها. فهيا بنا إلى الابتكار والإبداع من أجل تنمية قدراتنا ومهاراتنا.</p>	رسالة ترحيبية
<p>عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهائك أن تكون قادراً وبكفاءة على التعرف على مهارات إنتاج المعرفة؛ وتوضيح المفاهيم الأساسية للتفكير التصعيبىي؛ وتطبيق خطوات التفكير التصعيبىي لإنتاج حلول مبتكرة؛ وتحديد المعلومات الأساسية عن تطبيقات الويب التشاركي؛ واستخدام تطبيقات الويب التشاركي لإنتاج المعرفة.</p>	عرض الأهداف التدريبية العامة

<p>يمكن أن تسهم بيئة تدريب قائمة على الدمج بين التفكير التصعيبىي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة؛ من أجل تحسين خبرات معلم التربية الفكرية وتطوير مهاراته وقدراته، وتزويداته بكل جديد.</p>	مقدمة عامة (أهمية المحتوى)
<p>تساعد مهارات إنتاج المعرفة معلم التربية الفكرية في أداء أدواره في تعليم المتعلم وتأهيله، من خلال المعرفة بالتقنيات الحديثة والأساليب والاستراتيجيات المناسبة له، والمشاركة الفاعلة في تعديل المناهج ومواءمتها؛ لكي تتناسب مع قدراته، والابتكار والإبداع في تعديل وإنتاج الوسائل التعليمية والأنشطة التربوية المناسبة له لكي يظهر طاقته الكامنة ويصبح فرداً منتجًا في مجتمعه.</p>	مقدمة عامة (أهمية المحتوى)

<p>عزيزي المتدرب يجب عليك أخذ القاط الآتية بعين الاعتبار: قراءة الأهداف التدريبية والعمل على تحقيقها. الاطلاع على روابط الواقع وفيديوهات توضح طريقة استخدام نظام Canvas.</p> <p>الاطلاع على الملفات الداعمة للمحتوى مثل: العروض التقديمية، الفيديو، ملفات PDF، موقع إلكترونية وغيرها. سيتم تنزيل عناصر المحتوى وما يتبعها من أنشطة ومهام بشكل تتابعي. حل الأنشطة الخاصة بكل مهمة من عناصر المحتوى في الوقت المتأخر. رفع المهام حسب تعليمات رفع المهمة مع الالتزام بالمددة الزمنية المتأخرة لكل مهمة. التواصل مع المدرب في السؤال عن الأشياء غير الواضحة من خلال WhatsApp أو Email</p>	التوجيهات والتعليمات الالزمة
---	-------------------------------------

استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى (التعرف على مهارات إنتاج المعرفة)

عرض الأهداف التدريبية الخاصة عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهائك أن تكون قادراً وبكفاءة على:

<p>توضيح مفهوم إنتاج المعرفة.</p> <p>تمييز أهمية إنتاج المعرفة.</p> <p>تحديد مهارات إنتاج المعرفة.</p>	بالمحظوظ
<p>تحديد وسائل عرض محتوى عروض تقديمية.</p> <p>النقاش الموجه.</p> <p>العصف الذهني.</p>	التدريب
<p>تكليف المتدربين بالأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>تنفيذ المتدرب للمهام الموجودة على نظام Canvas.</p>	تعزيز وإثراء المتدرب
<p>تنزيل المتدرب بملخص ومراجع وكتب.</p> <p>تصحيح استجابة المتدرب من خلال المهام المرسلة من نظام Canvas.</p>	تقديم تغذية راجعة
<p>الأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>المهام على نظام Canvas.</p>	أسلوب التقويم
<p>استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى (التفكير التصميمي)</p>	
<p>عرض الأهداف التدريبية الخاصة عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهاءك أن تكون قادراً وبكفاءة على:</p> <p>توضيح مفهوم التفكير التصميمي.</p> <p>تمييز مبادئ التفكير التصميمي.</p> <p>تحديد خطوات التفكير التصميمي.</p>	بالمحظوظ
<p>تحديد وسائل عرض محتوى عروض تقديمية.</p> <p>النقاش الموجه.</p> <p>التفكير الإبداعي والنقدi</p>	التدريب
<p>تكليف المتدربين بالأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>تنفيذ المتدرب للمهام الموجودة على نظام Canvas.</p>	تعزيز وإثراء المتدرب
<p>تنزيل المتدرب بملخص ومراجع وكتب.</p> <p>تصحيح استجابة المتدرب من خلال المهام المرسلة من نظام Canvas.</p>	تقديم تغذية راجعة
<p>الأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>المهام على نظام Canvas.</p>	أسلوب التقويم
<p>استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى (تطبيق خطوات التفكير التصميمي لإنتاج حلول مبتكرة)</p>	
<p>عرض الأهداف التدريبية الخاصة عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهاءك أن تكون قادراً وبكفاءة على:</p> <p>اكتشاف بحيرة المستفيد في بيئته لتعرف على مشكلاته.</p> <p>تطبيق أدوات وإجراءات تحليلية لتحديد المشكلة.</p> <p>توليد أفكار متعددة للعمل على حل المشكلة.</p> <p>إنتاج حلول مبتكرة للمشكلة تتمحور حول المستفيد.</p> <p>تجرب الحلول المبتكرة للتعرف على مدى احتياجه لتعديل.</p>	بالمحظوظ
<p>تحديد وسائل عرض محتوى عروض تقديمية.</p> <p>النقاش الموجه.</p> <p>العصف الذهني.</p> <p>التفكير الإبداعي والنقدi</p>	التدريب

التطبيق العملي.

تعزيز وإثراء المتدرب

تنفيذ المتدرب للمهام الموجودة على نظام Canvas.

تزويد المتدرب بملخص ومراجع وكتب.

تقديم تغذية راجعة

تصحيح استجابة المتدرب من خلال المهام المرسلة من نظام Canvas.

أسلوب التقويم

الأنشطة من خلال فرق الحوار.

المهام على نظام Canvas.

استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى (تطبيقات الويب الشاركي)

عرض الأهداف التدريبية الخاصة عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهائك أن تكون قادرًا وبكفاءة على:

بالمحتوى

توضيح مفهوم تطبيقات الويب الشاركي.

تعزيز أهمية تطبيقات الويب الشاركي.

تطبيق استخدامات تطبيقات الويب الشاركي في التعلم.

تحديد وسائل عرض محتوى عروض تقديمية.

التدريب

النقاش الموجه.

التطبيق العملي.

تعزيز وإثراء المتدرب

تنفيذ المتدرب للمهام الموجودة على نظام Canvas.

تزويد المتدرب بملخص ومراجع وكتب.

تقديم تغذية راجعة

تصحيح استجابة المتدرب من خلال المهام المرسلة من نظام Canvas.

أسلوب التقويم

الأنشطة من خلال فرق الحوار.

المهام على نظام Canvas.

استراتيجيات التدريب لتقديم المحتوى (استخدام تطبيقات الويب الشاركي لإنتاج المعرفة)

عرض الأهداف التدريبية الخاصة عزيزي المتدرب، من المتوقع بعد انتهائك أن تكون قادرًا وبكفاءة على:

بالمحتوى

مارسة التعلم من خلال تطبيقات الويب الشاركي لاكتساب المعرفة.

مشاركة المعرفة مع فريق العمل في جو يسوده المتعة والتحديات.

إنتاج حل مبتكر باستخدام المعرفة من خلال تطبيقات الويب الشاركي لتطبيقها في الواقع العملي.

تحديد وسائل عرض محتوى عروض تقديمية.

التدريب

النقاش الموجه.

العصف الذهني.

التفكير الإبداعي والنقدية.

التطبيق العملي.

تعزيز وإثراء المتدرب

تنفيذ المتدرب للمهام الموجودة على نظام Canvas.

تزويد المتدرب بملخص ومراجع وكتب.

تقديم تغذية راجعة

تصحيح استجابة المتدرب من خلال المهام المرسلة من نظام Canvas.

أسلوب التقويم

الأنشطة من خلال فرق الحوار.

المهام على نظام Canvas.

٧. **تصميم أدوات القياس والتقويم:** صُمم تقويم تكويني أثناء التدريب يتمثل في تقويم الأنشطة من خلال فرق الحوار والمهام على نظام Canvas، وكذلك بطاقة تقييم المنتج المرتبطة بمهارات إنتاج المعرفة، حيث سيتم عمل تطبيق قبلي في بداية التدريب في بيئة التدريب وستطبق في نهاية التدريب كتقويم نهائي.

٨. **تصميم سيناريو التدريب:** صُمم السيناريو الخاص ببيئة التدريب والموضح في الجدول رقم (٤) الآتي:

جدول ٤

سيناريو التدريب			
المهام التدريبية	محظوظ	كيفية تطبيق استراتيجيات التدريب المستخدمة	الشاشة
الأهداف التدريبية	استخدم صفحة المناقشة في Canvas	١. الأهداف التدريبية ومقدمة عن المحتويات: كتابة الأهداف التدريبية للمهمة باستخدام صفحة في Canvas. كتابة ترحيب ومقدمة للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.	الأهداف
للمهمة الأولى:	١. توضيح مفهوم إنتاج المعرفة. ٢. تمييز أهمية إنتاج المعرفة.	٢. تعلم المحتوى: استخدام أدوات Canvas حول مفهوم إنتاج المعرفة. استخدام العرض التقديمي لتوضيح مفهوم إنتاج المعرفة. استخدام أدوات Canvas حول أهمية إنتاج المعرفة. استخدام العرض التقديمي لتمييز أهمية إنتاج المعرفة. استخدام أدوات Canvas حول مهارات إنتاج المعرفة. استخدام العرض التقديمي لتحديد مهارات إنتاج المعرفة.	١. أدوات Canvas للمناقشة والتعليقات على المعلومات.
٣. تحديد تقديمي.	٣. توفير عرض تدريسي.	٣. تلميحات (إشارات): تسليط الضوء على المعلومات الرئيسية بصرياً في العرض التقديمي. تقديم المتدربين ملخص النقاط المهمة بنهاية كل نقاش. ٤. تعزيز وإثراء المتدرب: تكليف المتدرب بالأنشطة من خلال فرق الحوار. تنفيذ المهام الموجدة على Canvas.	٣. توفير مهام وأنشطة تدريبية.
٤. التقويم:	٤. موارد إضافية: ملخصات وموارد إضافية: ملخصات ومواضيع وروابط.	٥. التغذية الراجعة: تقديم الملاحظات أثناء المناقشة مع فرق الحوار. مراجعة المهام المرسلة على Canvas وإرجاع التغذية الراجعة.	
للمهمة الثانية:	٥. استخدام صفة المناقشة في Canvas	٦. التقويم: استخدام ملف إنجاز المهام على Canvas. استخدام التفاعل مع الأنشطة من خلال فرق الحوار. إنجاز المهام في وقتها المحدد.	٦. التقويم

															</																																						

<p>تقديم المتدربين ملخص النقاط المهمة بنهاية كل نقاش.</p> <p>٤. تعزيز وإثراء المتدرب:</p> <p>تكليف المتدرب بالأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>تنفيذ المتدرب المهام الموجودة على Canvas.</p> <p>٥. التغذية الراجعة:</p> <p>تقديم الملاحظات أثناء المناقشة مع فرق الحوار.</p> <p>مراجعة المهام المرسلة على Canvas وإرجاع التغذية الراجعة.</p> <p>٦. التقويم:</p> <p>استخدام ملف إنجاز المهام على Canvas.</p> <p>استخدام التفاعل مع الأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>إنجاز المهام في وقتها المحدد.</p>	<p>تتحول حول المستفيد.</p> <p>٥. تجريب الحلول المبتكرة للتعرف على مدى الاحتياج لتعديل.</p>
<p>١. الأهداف التدريبية ومقدمة عن المحتويات:</p> <p>كتابة الأهداف التدريبية للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.</p> <p>كتابة ترحيب ومقدمة للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.</p> <p>٢. تقليل المحتوى:</p> <p>استخدام أدوات Canvas للمناقشة لتوضيح مفهوم تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>استخدام العرض التقديمي لتوضيح مفهوم تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>استخدام أدوات Canvas حول أهمية تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>استخدام العرض التقديمي لتوضيح ميزات وأهمية تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>استخدام أدوات Canvas حول تطبيق استخدامات تطبيقات الويب التشاركي في التعليم.</p> <p>استخدام العرض التقديمي لتحديد استخدامات تطبيقات الويب التشاركي في التعليم.</p> <p>التطبيق العملي لاستخدامات تطبيقات الويب التشاركي في التعليم.</p> <p>٣. تلميحات (إشارات):</p> <p>تسليط الضوء على المعلومات الرئيسية بصرياً في العرض التقديمي.</p> <p>تقديم المتدربين ملخص النقاط المهمة بنهاية كل نقاش.</p> <p>٤. تعزيز وإثراء المتدرب:</p> <p>تكليف المتدرب بالأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>تنفيذ المتدرب المهام الموجودة على صفحة أدوات Canvas.</p> <p>٥. التغذية الراجعة:</p> <p>تقديم الملاحظات أثناء المناقشة مع فرق الحوار.</p> <p>مراجعة المهام المرسلة على Canvas وإرجاع التغذية الراجعة.</p> <p>٦. التقويم:</p> <p>استخدام ملف إنجاز المهام على Canvas.</p> <p>استخدام التفاعل مع الأنشطة من خلال فرق الحوار.</p> <p>إنجاز المهام في وقتها المحدد.</p>	<p>الأهداف</p> <p>التدريبية</p> <p>للمهمة الرابعة</p> <p>١. توضيح مفهوم تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>٢. تمييز أهمية تطبيقات الويب التشاركي.</p> <p>٣. تطبيق تطبيقات الويب التشاركي في التعليم.</p>
<p>استخدام صفة المناقشة في أدوات Canvas للمناقشة والتعليقات على المعلومات.</p> <p>توفير عرض تقديمي.</p> <p>توفير مهام وأنشطة تدريبية.</p> <p>موارد إضافية: ملخصات وبرامج وروابط.</p>	<p>استخدم صفة المناقشة في أدوات Canvas للمناقشة والتعليقات على المعلومات.</p> <p>توفير عرض تقديمي.</p> <p>استخدامات وأنشطة تدريبية.</p> <p>تطبيقات الويب التشاركي في التعليم.</p>

الأهداف	استخدم صفحة	المناقشة في	كتابه الأهداف التدريبية ومقدمة عن المحتويات:
التدريبية للمهمة	أدوات	Canvas	كتابه ترحيب ومقدمة للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.
الخامسة	للمهمة	للمناقشة	كتابه ترحيب ومقدمة للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.
١. ممارسة التعلم من خلال تطبيقات الويب	Canvas	والتعليمات على	كتابه ترحيب ومقدمة للمهمة باستخدام صفحة في Canvas.
تطبيقات الويب	ال الخامسة	ال المناقشة	استخدام أدوات Canvas حول كيفية اكتساب المعرفة بممارسة التعلم الذاتي من خلال تطبيقات الويب.
ال الشاركي لاكتساب المعرفة.	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام أدوات Canvas حول كيفية اكتساب المعرفة.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام العرض التقديمي لتوضيح كيفية اكتساب المعرفة.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام أدوات Canvas حول أهمية مشاركة المعرفة.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام العرض التقديمي لتوضيح كيفية مشاركة المعرفة مع فريق.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام أدوات Canvas حول إنتاج حل مبتكر باستخدام المعرفة من خلال تطبيقات الويب الشاركي لتطبيقها بالواقع العملي.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام العرض التقديمي لتوضيح كيفية استخدام المعرفة.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	ال التطبيق العملي لاستخدامات تطبيقات الويب الشاركي في التعلم.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	٣. تلميحات (إشارات):
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	تسليط الضوء على المعلومات الرئيسية بصرياً في العرض التقديمي.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	تقديم المتدربين ملخص النقاط المهمة بنهاية كل نقاش.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	٤. تعزيز وإثراء المتدرب:
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	تكليف المتدرب بالأنشطة من خلال فرق الحوار.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	تنفيذ المتدرب المهام الموجودة على صفحة أدوات Canvas.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	٥. التغذية الراجعة:
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	تقديم الملاحظات أثناء المناقشة مع فرق الحوار.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	مراجعة المهام المرسلة على صفحة أدوات Canvas وإرجاع التغذية الراجعة.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	٦. التقويم:
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام ملف إنجاز المهام على صفحة أدوات Canvas.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	استخدام التفاعل مع الأنشطة من خلال فرق الحوار.
ال ثالثة	ال ثالثة	ال ثالثة	إنجاز المهام في وقتها المحدد.

المرحلة الثالثة: مرحلة التطوير (Development): وفي هذه المرحلة تم التحضير لبناء مكونات بيئة التدريب الإلكترونية على نظام Canvas، التي سبق تحديدها و اختيارها في مرحلتي التحليل والتصميم في صورته المبدئية، وعرض على مجموعة من الحكمين المتخصصين في مجال تقنيات التعليم؛ لاستطلاع آرائهم في تصميم بيئة التدريب الإلكترونية، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن اتفاق السادة الحكمين على صلاحية تصميم بيئة التدريب الإلكترونية، ومناسبتها لتحقيق أهداف البحث، وعلى إجراء بعض التعديلات، وقد أدخلت بعض التعديلات على البيئة في ضوء ملاحظات السادة الحكمين، وتحديد المهام والوقت، وتحديد المصادر التعليمية. وبنىت على نظام Canvas في ضوء ما حدد في السيناريو.

المرحلة الرابعة: مرحلة التنفيذ (Implementation): وفي هذه المرحلة بُنيت الصورة النهائية لمكونات بيئة التدريب الإلكترونية على نظام Canvas لتدريب عينة البحث، وفق عدد من الخطوات سبق تحديدها

في المراحل السابقة لتصميم البيئة، وفي ضوء ملاحظات السادة الحكمين وأرائهم، حددت المهام والوقت، وحددت المصادر التعليمية، ونُقدِّرت بيئة التدريب الإلكترونية على نظام Canvas، وأُتبع جدول زمني للتنفيذ.

المرحلة الخامسة: مرحلة التقويم (Evaluation): وهي عملية ملزمة لجميع مراحل تصميم بيئة التدريب الإلكترونية، وهو على جزئين: تقويم تكويني وهو تقويم لكل مرحلة من المراحل، وتقويم نهائي وهو تقويم يتم بعد انتهاء تنفيذ بيئة التدريب، ويتم في تقييم جودة البيئة ورضا المتدربين عنها وعن التدريب، والتي يتبعها عمليات التطوير والصيانة في ضوء التغذية الراجعة؛ لتحديد مستوى ومدى أثر بيئة التدريب وتحليل ما نُفذ لتحسين بيئة التدريب. وكذلك حُكمت بيئة التدريب الإلكترونية بعرضها على مجموعة من المتخصصين في مجال تقنيات التعليم، الذين أكدوا صلاحية بيئة التدريب الإلكترونية للتطبيق على العينة، وبذلك أصبحت صالحة للاستخدام والتطبيق على عينة البحث.

ثالثاً: إعداد أداة البحث:

١. إعداد بطاقة تقييم المنتج المرتبطة بمهارات إنتاج المعرفة:

أعدت هذه البطاقة بهدف قياس مدى أثر بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التَّصْمِيمِيِّ وتطبيقات الويب التشاركي في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، وفقاً للخطوات الآتية:

١) تحديد المدف من بطاقة تقييم المنتج: هدفت بطاقة تقييم المنتج لقياس مدى تنمية مهارات إنتاج المعرفة من خلال تقييم منتجات عينة البحث في التطبيق القبلي والتطبيق البعدى.

٢) صياغة مفردات بطاقة تقييم المنتج: قام الباحثان بناءً مفردات بطاقة تقييم المنتج في مجموعة من مؤشرات التقييم وعددها (20) وصيغت في ضوء ثلاثة محاور مرتبطة بمهارات إنتاج المعرفة والتي تتمثل في (اكتساب المعرفة، مشاركة المعرفة، استخدام المعرفة).

٣) وضع سُلم تقدير درجات بطاقة تقييم المنتج: ووضع نظام تقدير لمدى تحقق المؤشرات في المنتج التي عددها (20) مؤشراً، بحيث تكون الدرجة القصوى لكل مؤشر هي الدرجة (5)؛ إذ تمثل الدرجة (1) الدرجة الأقل، وتشير الدرجة (5) إلى الدرجة القصوى؛ ومن ثم تمثل الدرجة الكلية مؤشرات بطاقة تقييم المنتج (100) درجة.

٤) تحكيم بطاقة تقييم المنتج: بعد الانتهاء من إعداد بطاقة تقييم المنتج في صورته المبدئية عرض على مجموعة من الحكمين المتخصصين في مجال تقنيات التعليم؛ وذلك لاستطلاع آرائهم في صلاحية بطاقة تقييم المنتج و المناسبتها لقياس مدى تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن اتفاق السادة الحكمين على صلاحية بطاقة تقييم المنتج

ومناسبتها لقياس مدى تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، وأُخْرِيَتْ بعض التعديلات في صياغة المؤشرات وفق ما اتفق عليه السادة المحكمون.

٥) صدق بطاقة تقييم المنتج: استُخدِّمَ صدق المحكمين؛ وذلك من خلال عرض بطاقة تقييم المنتج على مجموعة من المحكمين المتخصصين في مجال تقنيات التعليم؛ وذلك لاستطلاع آرائهم في صلاحية بطاقة تقييم المنتج ومناسبتها لقياس مدى تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، حيث أسفرت نتائج التحكيم عن اتفاق السادة المحكمين على صلاحية البطاقة، ومناسبتها لقياس مدى تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى المعلمين.

٦) ثبات بطاقة تقييم المنتج: استخدم الباحثان معامل ألفا كرونباخ باستخدام برنامج SPSS الإحصائي للتحقق من ثبات بطاقة تقييم المنتج، والجدول رقم (5) يوضح ذلك:

جدول ٥

معامل ألفا كرونباخ لقياس معامل ثبات بطاقة تقييم المنتج

معامل الثبات	عدد العينة	عدد المؤشرات	القيمة
معامل ألفا كرونباخ	15	20	0.987

ملاحظة. يوضح الجدول رقم (5) أنَّ قيمة معامل ألفا كرونباخ هي (0.987)، وهي قيمة أكبر من (0.70)، مما يدل على أنَّ البطاقة تمتَّع بقيمة ثبات عالية ويمكن الوثوق بها في تطبيق أداة البحث الحالي.

٧) الصورة النهائية لبطاقة تقييم المنتج: بعد أن قام الباحثان بإدخال بعض التعديلات في صياغة المؤشرات لبطاقة تقييم المنتج في ضوء ملاحظات السادة المحكمين وآرائهم، وبعد التأكيد من صدق البطاقة وثباتها، أصبحت بطاقة تقييم المنتج في الصورة النهائية في ضوء ثلاثة محاور، تتمثل في: (اكتساب المعرفة، مشاركة المعرفة، استخدام المعرفة)، ومجموعة مؤشرات وعددتها (20) مؤشرًا.

رابعاً: أساليب التحليل الإحصائية المستخدمة في البحث:

لتحقيق أغراض البحث استخدم الباحثان المعاجلات الإحصائية التالية:

- ١) معامل ألفا كرونباخ: باستخدام برنامج SPSS الإحصائي للتحقق من ثبات أداة البحث.
- ٢) اختبار (شابيرو ويلك): باستخدام برنامج SPSS الإحصائي للتحقق من اعتدالية توزيع الدرجات.
- ٣) المتوسط الحسابي: باستخدام برنامج SPSS الإحصائي للمقارنة بين متوسطي درجات عينة البحث في التطبيقات القبلي والبعدي لأداة البحث.
- ٤) اختبار (ت) لعينتين مرتبتين: باستخدام برنامج SPSS الإحصائي للتحقق من وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدى.

نتائج البحث، ومناقشتها:

أولاً: عرض نتائج البحث:

التحقق من اعتدالية توزيع الدرجات: استخدم اختبار (شايبرو ويلك) لأجل التحقق من اعتدالية توزيع درجات التطبيق القبلي والبعدي.

(H_0) الفرضية الصفرية الأولى: درجات التطبيق القبلي تتبع التوزيع الطبيعي.

جدول 6

نتائج اختبار (شايبرو ويلك) لدرجات التطبيق القبلي

اختبار (شايبرو ويلك)	Sig.	Df	Statistic
	0.170	15	0.916

يتضح من الجدول (6) أن قيمة دلالة الاختبار (0.170) أكبر من (0.05)، وهذا يعني نقبل الفرضية الصفرية ونستنتج أن درجات التطبيق القبلي تتبع التوزيع الطبيعي.

(H_0) الفرضية الصفرية الثاني: درجات التطبيق البعدى تتبع التوزيع الطبيعي.

جدول 7

نتائج اختبار (شايبرو ويلك) لدرجات التطبيق البعدى

اختبار (شايبرو ويلك)	Sig.	Df	Statistic
	0.098	15	0.901

يتضح من الجدول (7) أن قيمة دلالة الاختبار (0.098) أكبر من (0.05)، وهذا يعني نقبل الفرضية الصفرية ونستنتج أن درجات التطبيق البعدى تتبع التوزيع الطبيعي؛ وبالتالي فإن تلك الدرجات تخضع للتوزيع الطبيعي، وهو ما يعني استخدام الباحث الإحصاء البارومترى واختبار قيمة (ت).

ثانياً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن سؤال البحث وفرض البحث.

للإجابة عن سؤال البحث الذي ينص على "ما أثر بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التَّصْسِيْمي وتطبيقات الويب التشاركية في تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمى التربية الفكرية؟" حُلّلت النتائج الإحصائية الخاصة بأداء عينة البحث في التطبيق القبلي والبعدي، وذلك لاختبار صحة فرض البحث الذي نص على أنه "يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمى المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدى".

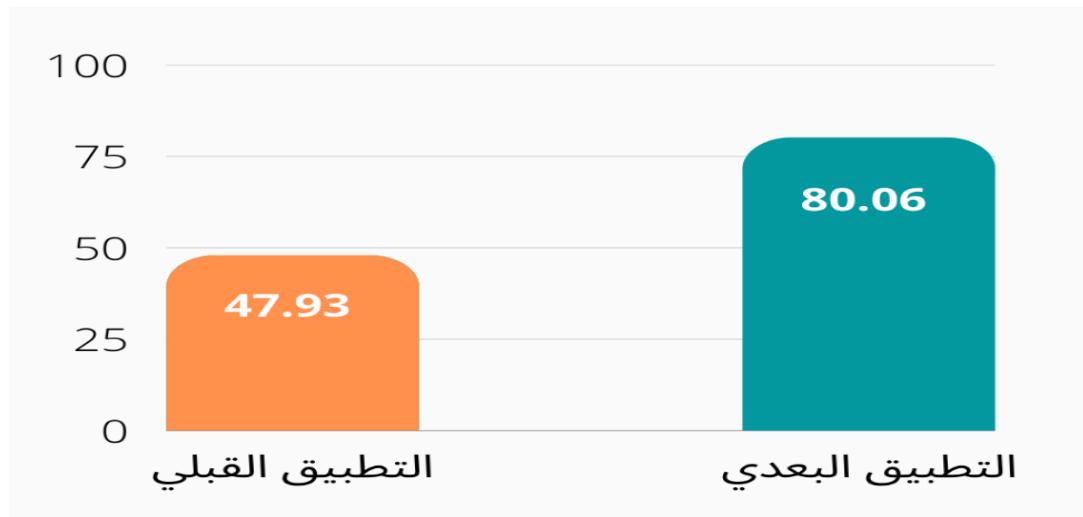
جدول 8

مقارنة بين متوسطي درجات عينة البحث في التطبيقات القبلي والبعدي لأداة البحث

الفرق	المتوسط البعدي بينهما	المتوسط القبلي	المؤشرات في بطاقة تقييم المنتج	م
1.33	4.9333	3.6000	تصف المشكلة بأنها ذات عمق وفيها قدر كاف من التحدي.	١
1.80	4.6667	2.8667	الإحساس والوعي بالمشكلة والمعرفة الدقيقة به وإدراك مواطن الضعف.	٢
1.67	3.8000	2.1333	استخدام الأساليب التحليلية لجمع المعلومات، وتصنيفها، وعرضها وتفسيرها.	٣
1.80	4.0000	2.2000	مراعاة خصطلوات الأسلوب العلمي والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي.	٤
1.53	4.0667	2.5333	المرنة في تغيير الاتجاهات الفكرية في مواجهة المشكلة ووضع الحلول لها.	٥
1.33	3.3333	2.0000	مراجعة الأدبيات واستكشاف التجارب الماثلة والاستفادة من نتائجها.	٦
0.93	4.0000	3.0667	تميز الأفكار بالجدة والتفرد والواقعية التي يمكن لمسها وإدراكتها.	٧
10.40	28.80	18.40	اكتساب المعرفة	محور
1.67	4.0000	2.3333	توفّر جسور تفاهم وتلاقي فكري مع الآخرين.	٨
1.80	4.1333	2.3333	التبادل المستمر للمعارف والخبرات السابقة ومناقشتها بغرض رفع قيمة الفكرة.	٩
1.60	3.9333	2.3333	تقديم إضافات وتفاصيل جديدة ومتعددة لتوضيح الفكرة بدقة.	١٠
1.47	3.5333	2.0667	دعم الفكرة بالشواهد والأدلة التربوية التي تؤكدتها وتفسرها.	١١
2.07	4.2000	2.1333	توفر مهارات إدارة المعرفة وتوزيعها للوصول إليها وتحويلها واستثمارها ونشرها.	١٢
1.40	3.9333	2.5333	وضوح المهام وخطة سير العمل وطرق التواصل والتعاون بين الأشخاص.	١٣
10.00	23.73	13.73	مشاركة المعرفة	محور
1.20	3.2000	2.0000	الاستخدام البناء لمصادر المعرفة الحديثة والملوثقة بها.	١٤
1.73	3.9333	2.2000	يمثل المنتج قيمة يمكن الاعتماد عليها في إجراء تغييرات إيجابية لتطوير الواقع.	١٥
1.73	3.8000	2.0667	يقدم قدراً من الإبداع والابتكار يجعل من المنتج إضافة علمية وعملية.	١٦
1.76	3.9333	2.2667	توظيف تقنية المعلومات والاتصال في إخراج المنتج.	١٧
1.80	4.0000	2.2000	الاستمرارية للمنتج في مجالي واستمرارية التغيرات التي تبين ما يمثله من إضافة.	١٨
1.80	4.6000	2.8000	وجود ارتباطٍ بين المنتج وما وضع من أجله.	١٩
1.80	4.0667	2.2667	يراعي مبادئ التصميم البصري بحيث يكون مقبولاً وجذاباً وجميلاً.	٢٠
11.73	27.53	15.80	استخدام المعرفة	محور
32.13	80.06	47.93	المجموع	

يوضح الجدول (8) أن درجات عينة البحث في التطبيق البعدى أفضل من درجات التطبيق القبلى لكل الفقرات، حيث إنه كان متوسط درجات محور اكتساب المعرفة للتطبيق البعدى يساوى (28.80) وللتطبيق القبلى يساوى (18.40) أي أن متوسط درجات محور اكتساب المعرفة زاد بمقدار (10.40) بعد إجراء التجربة. أما بالنسبة لمتوسط درجات محور مشاركة المعرفة للتطبيق البعدى فإنه يساوى (23.73) وللتطبيق القبلى يساوى (13.73) أي أن متوسط درجات محور مشاركة المعرفة زاد بمقدار (10.00) بعد إجراء التجربة. أما بالنسبة لمتوسط درجات محور استخدام المعرفة للتطبيق البعدى فإنه يساوى (27.53) وللتطبيق القبلى يساوى (15.80) أي أن متوسط درجات محور استخدام المعرفة زاد بمقدار (11.73) بعد

إجراء التجربة. أما بشكل عام يتضح أن متوسط درجات العينة للتطبيق البعدى يساوى (80.06) وللتطبيق القبلى يساوى (47.93) أي أن متوسط درجات العينة زاد بمقدار (32.13) بعد إجراء التجربة.



ويوضح الشكل التالي متوسط درجات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والتطبيق البعدى.

وللتتأكد من وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التطبيقين البعدى والقبلى لعينة البحث استخدام الباحثان اختبار (ت) لعيتين مرتبتين باستخدام برنامج SPSS الإحصائى للتحقق من وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمى المجموعة التجريبية في التطبيق القبلى والمجموعة التجريبية في التطبيق البعدى على بطاقة تقييم المنتج والجدول رقم (9) يوضح النتائج كالتالي:

جدول 9

نتائج اختبار (ت) لعيتين مرتبتين للمقارنة بين متوسطي درجات معلمى المجموعة التجريبية في التطبيق القبلى والبعدى على بطاقة تقييم المنتج.

الدلاله	قيمة (ت)	الفرق بين التطبيق		اختبار بين:	
		الانحراف	المعيارى		
		البعدى	القبلى		
لفرقوات المحور					
.000	19.522	0.3138	10.40000	محور اكتساب المعرفة للتطبيق البعدى والقبلى	
.000	22.913	0.2428	10.00000	محور مشاركة المعرفة للتطبيق البعدى والقبلى	
.000	29.629	0.2125	11.73333	محور استخدام المعرفة للتطبيق البعدى والقبلى	
.000	39.114	0.2641	32.13333	درجات العينة للكل بين التطبيق البعدى والقبلى	

ويتضح من الجدول (9) أنه يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى أقل (0.05) بين متوسطي درجات معلمى المجموعة التجريبية في التطبيق القبلى والبعدى على بطاقة تقييم المنتج صالح التطبيق

البعدي، لخوار اكتساب المعرفة، و لخوار مشاركة المعرفة، و لخوار استخدام المعرفة، حيث إنه كانت قيمة الدلالة (0.000) للمحاور الثلاثة، وهي أقل من (0.05).

ولاختبار الفرضية الصفرية (H_0): التي تنص على أنه "لا يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي" قام الباحثان باستخدام اختبار (ت) لعيتين مرتبطتين لدرجات العينة بين التطبيق البعدي والقبلي فوجدا أن قيمة الدلالة (0.000) وهي أقل من (0.05) وهذا يعني رفض الفرضية الصفرية (H_0)، ومنها نستنتج أنه يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي.

وبهذه النتيجة يمكن قبول فرضية البحث الذي تنص على الآتي: "يوجد فرق دال إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية، في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي".

ثالثاً: مناقشة النتائج

أسفرت نتائج التحليل الإحصائي عن وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطي درجات معلمي المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي على بطاقة تقييم المنتج لصالح التطبيق البعدي، كما أظهرت النتائج أثر بيئة التدريب الإلكترونية القائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية لتنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية، وقد اتفقت مع نتائج الدراسة السابقة عن أثر بيئة التدريب الإلكترونية، كدراسة: (سهيل، 2020؛ والمولى، 2020؛ والباز، 2018)، وأثر التفكير التصميمي كما جاء في دراسة (معاورى، 2020؛ والزبيدي وبني خلف، 2019؛ ورزق، 2018)، وأثر تطبيقات الويب التشاركية كما جاء في دراسة (العتبى، 2020؛ وعدوان، 2018؛ والقاضى، 2016). ويمكن إرجاع تلك النتائج إلى ما يتميز به التفكير التصميمي من مهارات إبداعية وابتكارية، تهدف لإيجاد فرصة لفهم الأفراد، وتطوير منتجات مبتكرة تلبي احتياجاتهم، وقدرت تجميع المعرفة من مجموعة متنوعة من المصادر، واستخدام النماذج الأولية والمحاكاة، فجوهر التفكير التصميمي يكمن في التحول من فكرة التصميم وعملية الإنتاج إلى منهج يقوم على التجربة واللحظة والاستماع والتطبيق العملي للتعرف على المشكلة؛ ومن ثم حلها، وأصبح المعلم من خلال التفكير التصميمي يفكر كمصمم، حيث ينطلق من خطوات منهجة، تساعده في تنفيذ عملية تعليمية شيقية ومثمرة.

وكذلك يمكن إرجاع تلك النتائج أيضاً إلى ما تتيحها تطبيقات الويب التشاركية من فرصة لتبادل الآراء والأفكار والمعلومات والمشاركة في التحرير، والنشر والإضافة بشكل يسمح بالتعلم المستمر من أجل بناء المعرفة، كما أنها تميز بتوظيف تنوع الأساليب في تنفيذ أنشطة التعلم، و بتقدیم خدمات تقنية متطرفة

واسعة الانتشار وغير مكلفة، وتسهل الوصول إلى الاكتشافات والاختراعات الجديدة، كما أنها تتيح إمكانية التحقق من المعلومات، والمقارنة بين وجهات النظر المختلفة، والإبحار والبحث لرفع قيمة المنتج.

رابعاً: توصيات البحث:

بناء على نتائج البحث الحالي يمكن التوصية بالآتي:

- ١) ضرورة استخدام التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركي في تدريب معلمي التربية الفكرية.
- ٢) الاستمرار بتصميم بيئة تدريب إلكترونية قائمة على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية لتنمية مهارات المعلمين.
- ٣) تطوير مقرر في كليات التربية، قائم على الدمج بين التفكير التصميمي وتطبيقات الويب التشاركية.
- ٤) الاستفادة من خدمات تطبيقات الويب التشاركية في العملية التعليمية.
- ٥) التوسيع في استخدام منهج التفكير التصميمي في المجال التعليمي.

بحوث مقترحة:

في ضوء نتائج الدراسة، يمكن اقتراح بعض الدراسات الآتية:

- ١) إجراء مزيد من البحوث حول استخدام بيئة التدريب الإلكترونية القائمة على التفكير التصميمي ضمن مجتمعات ومواد دراسية أخرى.
- ٢) بحث تنمية مهارات إنتاج المعرفة لدى معلمي التربية الفكرية باستخدام تقنيات أخرى.
- ٣) إجراء مزيد من البحوث حول استخدام بيئة التدريب الإلكترونية القائمة على تطبيقات الويب التشاركية ضمن مجتمعات ومواد دراسية أخرى.
- ٤) دراسة معوقات استخدام التفكير التصميمي في الحالات التعليمية.
- ٥) إجراء مزيد من البحوث حول تنمية مهارات إنتاج المعرفة للمعلمين باستخدام تقنيات أخرى.
- ٦) بحث واقع استخدام معلمي التربية الفكرية لتطبيقات الويب التشاركية.

المصادر والمراجع:

- الباز، مروة. (2018). فعالية برنامج تدريبي في تعليم STEM لتنمية عمق المعرفة والممارسات التدريسية والتفكير التصميمي لدى معلمي العلوم أثناء الخدمة. مجلة كلية التربية، 34(12)، 54-1.
- بن لخضر، مقداد، ومناصرية، رشيد. (2018). أثر التفكير الإبداعي على توليد المعرفة لدى الأستاذ الباحث دراسة ميدانية بالقطب الجامعي الثاني بجامعة ورقلة [رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرياح ورقلة].
- <http://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/handle/123456789/16901>
- رزق، حنان. (2018). أثر استراتيجية قائمة على مدخل التفكير التصميمي في تدريس الرياضيات على الكفاءة الذاتية لدى طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة مكة المكرمة. دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 100، 223-240.

الزيدي، نانسي، بني خلف، محمود. (2020). أثر تدريس وحدة تعليمية في العلوم قائمة على التفكير التصميمي في اكتساب المفاهيم الفيزيائية لدى طالبات الصف الثامن الأساسي في ضوء التفكير الشكلي لديهن. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 28(6)، 1045-1065.

سهيل، تامر. (2020). فاعلية برنامج تدريسي في أثناء الخدمة لتطوير الأداء المهني للمعلمين المتدربين في جمع التربية الخاصة جامعة القدس المفتوحة. دراسات التعليم التربوية، 47(3)، 34-17.

الشريدة، صابرين. (2017). درجة إنتاج المعرفة وعلاقتها بدرجة الإبداع الإداري لرؤساء الأقسام في الجامعات الأردنية الخاصة في العاصمة عمان من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس [رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط].

<http://search.mandumah.com/Record/856594>

عبد الحميد، أحمد، وإبراهيم، عاصم. (2018). تصميم بيئة تعلم إلكترونية قائمة على الويب التشاركي لتنمية مهارات تصميم وإنتاج تطبيقات المواتف الذكية والثقة في التعلم الرقمي لدى طلاب جامعة الملك خالد. المجلة الدولية للتربية المتخصصة، 7(1)، 58-73.

العتبي، محمد. (2020). فاعلية توظيف أدوات الجيل الثاني للويب في اكتساب طلاب كلية إدارة الأعمال بعريف لمهارات استخدام الحوسبة السحابية واتجاهاتهم نحو هذه الأدوات. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، 28(4)، 185-217.

عدوان، إيمان. (2018). دور شبكات التواصل الاجتماعي في عملية توليد المعرفة وأثرها على الإبداع الوظيفي في مؤسسات التعليم العالي الفلسطيني في غزة [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة].

<http://search.mandumah.com/Record/1009634>

العماوي، صهيب. (2018). أثر عمليات توليد المعرفة على سلوك الأداء الابتكاري: الدور الوسيط لرأس المال النفسي في البنك التجاري الأردني [رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط].

<http://search.mandumah.com/Record/903095>

عيشوش، عواطف. (2018). أثر قدرات العاملين في إنتاج المعرفة دراسة حالة مجمع صيدا [أطروحة دكتوراه غير مننشورة]. جامعة محمد خضر بسكرة.

فتح الله، مندور. (2019). تطبيقات استخدام الحاسوب والإنترنت في التعليم. دار النشر الدولي.

القاضي، مليأء. (2016). برنامج قائم على الويب 2.0 وأثره في تنمية مستوى الطموح الأكاديمي وبعض المهارات الحياتية لدى طالبات كلية الاقتصاد المنزلي. مجلة كلية التربية جامعة الأزهر، 35(170)، 231-288.

القطاطي، محمد، والعبي، بدر. (2018). تقييم الخدمات المساعدة للتلاميذ ذوي الإعاقة العقلية في معاهد وبرامج التربية الفكرية من وجهة نظر العاملين بها. مجلة التربية الخاصة والتأهيل، 6(23)، 73-108.

القطاطي، نوره. (2019). مدى استفادة معلمات التربية الخاصة بالمازك الأهلية في مدينة الرياض من نتائج الأبحاث العلمية ومعوقات استفادتهم منها. مجلة العلوم التربوية والنفسية، 3(14)، 28-46.

المرادي، محمد، ومراد، محمد، والشيخ، محمد. (2019). استراتيجية مهام الويب التشاركية في تنمية مهارات تصميم وإنتاج ونشر موقع الويب. مجلة كلية التربية جامعة كفر الشيخ، 19(1)، 599-620.

معاوري، هالة. (2020). استخدام الإدارة الجامعية للتفكير التصميمي في تحقيق الجامعات الذكية بمصر. مجلة البحث العلمي في التربية، 8(21)، 156-182.

- المولى، أحمد. (2020). فعالية برنامج لتنمية مهارات المعلمين في استخدام تطبيقات الآياد الملائمة لتعليم الطلبة ذوي الإعاقة الفكرية. *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية*, 28(5), 261-282.
- المولى، إيمان، ومحمد، شرين. (2021). بيئة تعلم إلكترونية قائمة على كفايات الاقتصاد المعرفي لتنمية مهارات القرن الحادي والعشرين لدى الطلاب معلمى العلوم شعبة التربية الخاصة (إعاقة عقلية). *المجلة التربوية*. ١٣، 1328-1269.
- هواري، غيث، والمعمار، كندة. (2019). *التفكير التصميمي في الابتكار الاجتماعي*. الراجحي الإنسانية.

Abdul Majeed, A., & Ibrahim, A. (2018). Designing an e-learning environment based on the participatory web to develop the skills of designing and producing smartphone applications and confidence in digital learning among King Khalid University students (in Arabic) .*International Journal of Specialized Education*, 7(1),58-73.

Adwan, I. (2018). *The role of social networks in the process of generating knowledge and its impact on job creation in Palestinian higher education institutions in Gaza* (in Arabic) [Master's thesis, The Islamic University of Gaza].
<http://search.mandumah.com/Record/1009634>

Ahmed, M.S.A. (2022). Qualitative competencies are needed for teachers with intellectual disabilities from their point of view in light of some variables in the Qassim region (in Arabic) . *Arab Studies in Education and Psychology*, 144(3), 23 -52.

Aichouch, A. (2018). *The impact of the capabilities of workers in the production of knowledge, a case study of the Saidal complex* [Unpublished Doctoral Dissertation] (in Arabic) .University Mohamed Khider Biskra.

Al-Maradani, M., Murad, M., & Sheikh, M. (2019). The participatory web tasks strategy is developing the skills of designing, producing, and publishing websites (in Arabic) .*Journal of the Faculty of Education, Kafrelsheikh University*, 19 (1),599-620.

Al-Otaibi, M. (2020). The effectiveness of employing the second-generation tools for the web in acquiring the Afif College of Business Administration students' skills in using cloud computing and their attitudes towards these tools (in Arabic) . *Journal of the Islamic University for Educational and Psychological Studies*. 28(4),185-217.

Al-Qahtani, M., & Al-Otaibi, B. (2018). Evaluation of support services for students with mental disabilities in intellectual education institutes and programs from the point of view of their employees (in Arabic) .*Journal of Special Education and Rehabilitation*, 6(23), 73-108.

Al-Qahtani, N. (2019). The extent to which special education teachers in private centers in Riyadh benefit from the results of scientific research and the obstacles to benefiting from them (in Arabic) .*Journal of Educational and Psychological Sciences*, 3(14),28-46

Al-Zubaidi, N., & Bani Khalaf, M. (2020). The impact of teaching an educational unit in science based on design thinking on the acquisition of physical concepts among eighth-grade female students in the light of their formal review (in Arabic) . *Journal of Educational and Psychological Studies [JEPS]*. 28(6),1045-1065

Alkadhi, L. (2016). A program based on Web 2.0 and its impact on developing academic ambition and some life skills among Faculty of Home Economics students (in Arabic) . *Journal of the College of Education, Al-Azhar University*, 35 (170), 231-288

Alrawi, G. (2018). Evaluating the professional competencies of teachers of students with intellectual disabilities in the Asir region in light of the national professional standards for teachers in the Kingdom of Saudi Arabia (in Arabic) . *Educational Journal*, 51,482-514.

Amawi, S. (2018). *The Impact of Knowledge Generation Processes on Innovative Performance Behavior: The Mediating Role of Psychological Capital in Jordanian Commercial Banks* [Master's Thesis, Middle East University]. (in Arabic) <http://search.mandumah.com/Record/903095>

Aodah, R. (2018). *The impact of process design management on decision-making through design thinking* [Master's thesis, Al-Azhar University, Gaza] (in Arabic) <https://ssrn.com/abstract=3417620>.

Bin Lakhdar, M., & Manasiriyah, R. (2018). *The impact of creative thinking on the generation of knowledge of the researcher professor, a field study in the second university pole at the University of Ouargla* (in Arabic) [Master's thesis, Kasdi Merbah Ouargla University].

Boudreau, K. J., & Lakhani, K. R. (2015). “open” disclosure of Innovations, incentives, and follow-on reuse: Theory on processes of cumulative innovation and a field experiment in Computational Biology. *Research Policy*, 44(1), 4–19. <https://doi.org/10.1016/j.respol.2014.08.001>

Chon, H., & Sim, J. (2019). From design, thinking to design knowing: An educational perspective. *Art, Design & Communication in Higher Education*, 18(2), 187–200. https://doi.org/10.1386/adch_00006_1

El-Baz, M. (2018). The effectiveness of a training program in STEM education to develop the depth of knowledge, teaching practices, and design thinking among in-service science teachers (in Arabic) . *Journal of the College of Education*, 34 (12), 54-1.

Fathallah, Mandour. (2019). *Computer and Internet applications in education*. International publishing house.

Goldman, S., & Kabayadondo, Z. (2017). *Taking design thinking to school: How the design technology can transform teachers, learners, and classrooms*. Routledge.

Hawari, G., & Al-Mimar, K. (2019). *Design thinking in social innovation*. Al-Rajhi Humanitarian.

Maghawry, H. (2020). Using the university administration to design thinking in achieving smart universities in Egypt (in Arabic) . *Journal of Scientific Research in Education*, 8 (21),156-182

Mawla, A. (2020). The effectiveness of a program to develop teachers' skills in using iPad applications suitable for teaching students with intellectual disabilities. (in Arabic) . *Journal of the Islamic University for Educational and Psychological Studies*, 28(5), 261-282.

Mawla, Iman, and Muhammed, Shereen. (2021). An e-learning environment based on the competencies of the knowledge economy to develop twenty-first-century skills among students, science teachers, and the special education division (mental disability) (in Arabic) . *Educational Journal*. 83, 1269-1328

Mount, M., Round, H., & Pitsis, T. (2020). Design Thinking Inspired Crowdsourcing: Toward a Generative Model of Complex Problem Solving. *California Management Review*, 62(3), 103-120.
<https://doi.org/10.1177/0008125620918626>

Nonaka, I., & Takeuchi, H. (1995). *The knowledge-creating company how Japanese companies create the dynamics of Innovation*. Oxford University Press.

Nonaka, I., Toyama, R., & Konno, N. (2001). Seci, BA, and leadership: A unified model of dynamic knowledge creation. *Managing Industrial Knowledge: Creation, Transfer and Utilization*, 14–43.
<https://doi.org/10.4135/9781446217573.n2>

Rizk, H. (2018). The impact of a strategy based on the design thinking approach in teaching mathematics on the self-efficacy of intermediate school students in Makkah Al-Mukarramah (in Arabic) . *Journal of Arabic Studies in Education & Psychology (ASEP)*, (100),223-240

Schalock, R. L., Luckasson, R., & Tassé, M. J. (2021). Twenty questions and answers regarding the 12th edition of the AAIDD manual: Intellectual disability: definition, diagnosis, classification, and systems of supports. *American Association on Intellectual and Developmental Disabilities* Retrieved February 15, 2023, from https://www.aaidd.org/docs/default-source/intellectualdisability/12th-ed-twenty-questions-faq.pdf?sfvrsn=a6403421_4.

Sheridan, S. (2017). *The degree of knowledge production and its relationship to the degree of administrative creativity of department heads in Jordanian private universities in the capital, Amman, from the perspective of faculty members* [Master's thesis, Middle East University.] (in Arabic)
<http://search.mandumah.com/Record/856594>

Soomro, K. A., Zai, S. Y., & Jafri, I. H. (2015). Competence and usage of web 2.0 technologies by Higher Education Faculty. *Educational Media International*, 52(4), 284–295. <https://doi.org/10.1080/09523987.2015.1095522>

Suhail, T. (2020). The effectiveness of an in-service training program to develop the professional performance of the trainee teachers in the Special Education Complex, Al-Quds Open University (in Arabic) . *Educational Science Studies*, 47(3), 17-34

Vu, N. T. (2020). A case study of constructivist learning and intercultural communicative competence in English-majoring pre-service teachers. *Journal of English as an International Language*, 15(2), 52-76.

أثر الفلسفة على المعتزلة في محنة خلق القرآن

د. فاطمة بنت عبد العزيز العبلاني

أستاذ مساعد في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية التربية ، جامعة المجمعة ، قسم الدراسات الإسلامية

الملخص

تناول هذا البحث بيان أثر الفلسفة على المعتزلة في محنة خلق القرآن، ويهدف إلى بيان أثر ترجمة الفلسفة على عقيدة المعتزلة في محنة خلق القرآن، وتوضيح قول المعتزلة بخلق القرآن من خلال كتبهم ومؤلفاتهم، وتأكيد بطلان قول المعتزلة بخلق القرآن، والتعريف بموقف الإمام أحمد بن حنبل من المحنة، وذكر موقف المستشرقين ومقلديهم من المفكرين العرب والمسلمين من المحنة، ونقد آرائهم.

وأسير في هذا البحث وفقاً للمنهج التحليلي، التاريخي، النبدي، الوصفي، الاستقرائي، وسأختتم بالنتائج التي توصلت إليها، ومنها: أثّرت ترجمة كتب الفلسفة اليونانية ومحالطة العرب لغيرهم على تشكيل آراء فرق المعتزلة، وقد ابتدأت محنة خلق القرآن الكريم في عصر الخليفة المأمون، وقد أعلن صراحةً القول: بخلق القرآن الكريم، وأجبر المسلمين على الإيمان بمذهب المعتزلة، بيان آراء الحافظ من المعتزلة من المحنة، وبيان موقف الإمام أحمد بن حنبل من محنة خلق القرآن، فقد أنكر القول بخلقه، وثبت على موقفه حتى نصر الله به السنة، تبني المستشرقون وبعضُ من المفكرين موقفَ المعتزلة من المحنة.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، المعتزلة، محنة خلق القرآن، أهل السنة والجماعة.

The Impact of Philosophy on Mu'tazila in Quranic Createdness

Dr. Fatima Abdul Aziz Al Ablani

Assistant Professor of Doctrine and Contemporary Creeds Majmaah University College of Education Department of Islamic Studies

Abstract

This research demonstrates the impact of philosophy on Mu'tazila in Quranic createdness controversy. The research aims to explain the impact of translating philosophy on the belief of Mu'tazila in the Quranic createdness controversy. It also aims to clarify the Mu'tazila's belief of Quranic createdness through their books and writings. It emphasizes the invalidity of the Mu'tazila's belief of Quranic createdness, while introducing the position of Imam Ahmed bin Hanbal of such controversy. In this research, I mentioned the position of orientalists and their Arab and Muslim followers regarding the controversy, while criticizing their views.

In this research, I will follow the analytical, historical and critical approach. I will conclude with the results I reach. Such conclusions include: the Mu'tazila doctrine was influenced by the translations of Greek philosophy books as well as the Arabs' contact with other peoples and cultures. The Quranic Createdness debate dates back to the reign of Caliph Abi Jafar Al-Ma'mun, who explicitly said and believed that the Holy Qur'an was created, and forced Muslims to believe in the Mu'tazila doctrine. Al-Jahiz comes at the top of Mu'tazila scholars. The study also highlights the position of Imam Ahmed bin Hanbal regarding the debate, as he opposed the Quranic createdness belief, and remained steadfast in his position until the Sunnah doctrine prevailed with Allah's help. The orientalists and some other thinkers were of belief of Mu'tazila.

Keywords: Philosophy, Mu'tazila, Quranic Createdness, Ahl al-Sunnah wal-Jama'ah.

المقدمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، تأثرت الفرق الإسلامية في نشأتها بعدِّ من العوامل التي أثَّرت لاحقًا على آرائها الاعتقادية، ومن أبرز الفرق التي تأثرت بذلك فرقُ المعتزلة - التي تُعدُّ من أوائل الفرق الإسلامية - التي تأثرت بترجمة كتب الفلسفة اليونانية ونقلها إلى اللغة العربية، وقد أسمهم ذلك في ظهورِ محنَّة القول بخلق القرآن الكريم وما تبنته الخلافة العباسية من آراء المعتزلة والإعجاب بتقدِّيمهم العقل على أدلة الكتاب والسنة، وفيما ولَّ ذلك من امتحان المسلمين - علمائهم وعامتهم - بالقول بخلق القرآن الكريم من قِبَل الخلفاء وأعوانهم من وزرائهم من المعتزلة، ومناظرة العلماء الريانياين كالإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) الذي أنكر القول بخلق القرآن وهي الناس عن القول به، فنُوِّظرَ من قِبَل ثلاثة خلفاء عباسيين، وحبس وضرب، فصبر ودافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة وقال - بكل شجاعة - إنَّ القرآن الكريم كلامُ الله وصفته، وهو غير مخلوق. وقد نصر الله به الأمة وحفظ به عقيدة أهل السنة والجماعة.

مشكلة البحث: يعالج هذا البحث بيان تأثير ترجمة كتب الفلسفة اليونانية ونقلها إلى اللغة العربية على فرق المعتزلة مما أسمهم في ظهورِ محنَّة القول بخلق القرآن الكريم في ضوء ما تبنته الخلافة العباسية لآراء المعتزلة، وتقدِّيمهم العقل على أدلة الكتاب والسنة، وقد أدى ذلك إلى القول بخلق القرآن، ومن أبرز من امتحن في هذه المحنَّة الإمام أحمد بن حنبل الذي ثبت على عقيدة أهل السنة والجماعة.

أسئلة البحث:

- ما أثر الفلسفة اليونانية على قول المعتزلة بخلق القرآن الكريم؟
- ما قول المعتزلة في القرآن الكريم من خالل كتبهم ومؤلفاتهم؟
- ما حكم القول بخلق القرآن؟
- ما موقف الإمام أحمد بن حنبل من القول بخلق القرآن؟
- ما موقف المستشرقين ومن قلدهم من المفكرين من محنَّة القول بخلق القرآن؟

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث لطريقه قضيَّة مهمَّة تتعلق بالعقيدة الإسلامية، وهي محنَّة خلق القرآن الكريم، وبيان موقف أهل السنة والجماعة منها.

أهداف البحث:

- بيان أثر الفلسفة اليونانية على قول المعتزلة بخلق القرآن الكريم.
- توضيح قول المعتزلة بخلق القرآن من خالل كتبهم ومؤلفاتهم.
- تأكيد بطلان قول المعتزلة بخلق القرآن.

- التعريف بموقف الإمام أحمد بن حنبل من المحنّة.

● ذكر موقف المستشرقين ومقلّديهم من المفكرين العرب والمسلمين من المحنّة، ونقد آرائهم.

الدراسات السابقة: تعددت الكتب والدراسات التي كتبت عن موضوع مهنة خلق القرآن بشكل عام، سواءً أكانت الكتابة بشكل عام عن المعتزلة ودورهم في المحنّة، أم عن مسألة خلق القرآن من ناحية عقدية وبيان حكم القول بخلق القرآن الكريم، أو عن موقف الإمام أحمد بن حنبل في المحنّة وصبره وشجاعته ودفاعه عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وسوف اقتصر هنا على ذكر الدراسات السابقة التي ترتبط بموضوع بحثي: وهو بيانُ أثرِ الفلسفة على الفرق الكلامية بشكل عام، وتأثيرها على آرائهم العقدية لاحقاً، وهي ما يأتي:

● **أولاً:** "أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي في نظر المستشرقين"، للباحثين محمد أمين برکاني، وشافية صديق، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٦/العدد ١، (٢٠٢٢)، ص ٤٧٩-٥٠٧.

فقد كان موضوع الدراسة: بيان "علاقة الفلسفة اليونانية بعلم الكلام الإسلامي من خلال تحليل أهم الأطروحات والآراء التي تضمنتها الدراسات الاستشرافية، وتكمّن أهمية البحث في إبراز موضوعية وعلمية الأبحاث والأراء الاستشرافية المتعلقة بعلم الكلام"، ومن أهم توصيات الدراسة: "يتطلب الوقت الحاضر بحثًّا موضوعاتًّا عن مدى تأثُّر علم الكلام بالفلسفات والثقافات الوافدة، وتحصيصًّا لأبحاثٍ دقيقةٍ عن كلٍّ متكلِّم أو مدرسةٍ كلاميةٍ"، وهو ما تمت دراسته في هذا البحث وبيانُ أثرِ الفلسفة على المعتزلة في مهنة خلق القرآن الكريم.

● **ثانياً:** "أثر المعتزلة في الحياة السياسية للدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ/٨٣٣-٨١٣ م)", وهي رسالة ماجستير، معدَّةٌ من الطالب: حالد مسir القعيطي الطفيري، في جامعة آل البيت، في كلية التربية، قسم التاريخ لعام ٢٠١٦-٢٠١٧ م. وهذه الدراسات مختلفة عن موضوع هذا البحث وهو بيانُ أثرِ الفلسفة على المعتزلة في مهنة خلق القرآن.

وقد تناول الباحث في دراسته أثر المعتزلة في الحياة السياسية في عهد الخليفة المأمون، وأنَّ المحنّة قد شَكَّلت منعطافاً تاريخياً مهمًا في الفترة العباسية، ويُتضح الفرق بين هذه الدراسة وبين هذا البحث حيث إنَّ هنا أوضحَ أثر الفلسفة اليونانية على المعتزلة في مهنة خلق القرآن من منظورٍ عقدي.

منهج البحث: التحليلي، والتاريخي، والنقدِي الوصفي، والاستقرائي.

إجراءات البحث:

- جمع المادة العلمية للبحث من المصادر والمراجع، وتوثيقها علمياً.
- قسمت البحث وفق المنهج المتبعة في البحوث العلمية.
- قسمت البحث بحسب المادة العلمية المتاحة إلى مطالب، بحسب ما هو موضوع بالخطة.
- عزوّت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- عرفت بالأعلام غير المشهورين، والفرق، والمدن، والألفاظ الغربية، والفوائد.
- عملت الفهارس الالزمة للبحث.

خطّة البحث:

المقدمة: تشتمل على: مشكلة البحث وأسئلته، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وإجراءاته، وحيطته.

المطلب الأول: تأثير المعتزلة بترجمة كتب الفلسفة للعربية في عصر الخليفة المأمون.

المطلب الثاني: مخنة خلق القرآن الكريم.

المطلب الثالث: عرض آراء المعتزلة في مخنة خلق القرآن من خلال كتابهم.

المطلب الرابع: موقف الإمام أحمد بن حنبل من مخنة خلق القرآن.

المطلب الخامس: موقف المستشرقين ومقلّديهم من المفكرين العرب والمسلمين من المخنة.

الخاتمة: تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

المطلب الأول:

تأثير المعتزلة بترجمة كتب الفلسفة للعربية في عصر الخليفة المأمون.

يتَّفق مؤرِّحو الفكر الإسلامي عامَّةً على تأثير الفلسفة في تشكيل آراء الفرق الإسلامية وليس بينهم نزاعٌ في ذلك^(١)، ويظهر ذلك جلياً في الفرق الكلامية التي منها فرقَةُ المعتزلة^(٢)، ويعود تاريخ ذلك إلى الفتوحات الإسلامية، ومخالطة المسلمين العرب لغيرهم من الفرس والروم، وتقبُّل العرب للميراث الثقافي

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق، (ص ٩٥-٩٤).

(٢) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي حتى القرن السادس المجري - دراسة تحليلية نقدية -، د. محمود نفيسي، (ص ٢٣).

المعتزلة هي فرقَة من الفرق الضالة، مؤسسها هو واصل بن عطاء، تتبع منهجاً عقلياً، لها خمسة أصول، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المترتبين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحت كل أصل معنى باطل.

ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص ٩٣)، الملل والنحل، للشهريستاني، (٤٩/١).

للأمم الأخرى، وصفاء عقولهم وأذهانهم مع سرعة فهمهم، وتوفّر القابلية للتطور والإبداع في اللغة العربية^(٣)، إضافةً إلى المناظرات والجدل الديني الدائر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى في البلاد المفتوحة. وقد ذكر العلماء أنّ "علوم الأوائل دخلت إلى بلاد المسلمين في القرن الأول لِمَا فتحوا بلاد الأعاجم"^(٤)، وقد نفذت الآراء الفلسفية إلى المسلمين بسبب اختلاطهم بغير المسلمين من أهل الأديان الأخرى، فقد تأثّر المعتزلة في نشأتهم بـ"اللاهوت اليوناني"^(٥)، وـ"اللاهوت المسيحي واللاهوت اليهودي"، كما تأثّروا كذلك بأصول "الفلسفة اليونانية والديانات الفارسية"^(٦).

وقد ابتدأ هذا التأثّر في عصر الدولة الأموية عن طريق المناقشات الدينية بين اليهود والنصارى في الشام، فقد انتقلت بعض تعاليم هذه الديانات إلى المسلمين^(٧)، وكانت بدايةً لبناء آراء الفرق الإسلامية التي استمدّت أصولها من مصادر الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى المؤثرات الأخرى من الفلسفة اليونانية^(٨)، وبهذا يتّضح أثر هذه الديانات على الفرق الإسلامية في عهد الدولة الأموية.

وفي عصر الدولة العباسية ابتدأت حركة ترجمة كتب الفلسفة اليونانية بشكلٍ خاصٍ، ويعزو المؤلفون أنّ من أهمّ الأسّابيّات التي دعت الخلفاء العباسيين إلى الترجمة هي أنّ الخليفة المنصور (ت ١٥٨ هـ) أُصيب بداعٍ في المعدة وعجز أطباؤه عن مداواته فأحضروا له طبيباً يدعى "جورجيس بن بختيشوع"^(٩)، وهو رئيس أطباء مدينة جنديسابور، فعالجـه فشـفيـ وعادـ إلى صـحتـهـ، وبعد ذلك بـقـيـ "جورجـيسـ"ـ في خـدـمةـ المنـصـورـ،ـ وـقـدـ كانـتـ

(٣) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي حتى القرن السادس الهجري - دراسة تحليلية نقدية-، د. محمود نفيسة، (ص ١٥٩).

ولم تقم حركة الترجمة استجابةً لدافع الحاجة الملحة وحده، وإنما كانت هناك أسّابيّات أخرى استحوذت المسلمين على الاشتغال بها، فقد كانت اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام، وحين جاء العصر العباسى كانت قد تغلبت على ألسن أهل البلاد التي دخلت فيها، وأصبحت لغة الإنشاء والتاليف" ، السريان والحضارة الإسلامية، د. الشحات سيد زغلول، (ص ١٧٩).

(٤) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطى، (ص ٤٥-٤٦).

ومقصوده هنا بـ: "علوم الأوائل" الفلسفة اليونانية.

(٥) أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. عبد الحكيم بلبع، (ص ١٢٧)، وانظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرزاق، (ص ٩٥).

(٦) ينظر: أصول الفلسفة العربية، يوحنا قمیر، (ص ٣٣٦).

(٧) فجر الإسلام، أحمد أمين، (ص ١٤٩-١٥٠).

(٨) السريان والحضارة الإسلامية، د. الشحات سيد زغلول، (ص ١٦٢).

فقد ألهـ بـعـضـ عـلـمـاءـ النـصـارـىـ كـتـبـاـ لـلـنـصـارـىـ يـسـتـهـدوـنـ بـهـاـ فـيـ جـدـالـهـمـ مـعـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ عـصـرـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ.

انظر: المعتزلة، زهدي جار الله، (ص ٢٥).

(٩) هو: جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري المنطّب الماهر المسيحي، المتوفى بعد سنة اثنين وخمسين ومائة. وكان رئيس الأطباء بجنديسابور، ولما مرض المنصور أشخصه إلى بغداد فعالجه ويرئ، وكان يتكلّم بالفارسية والعربية. وله مصنفات حلية منها "كتاب الكُنَاش"، كذا في "تاريخ ابن القفطي". وذكر في "عيون الأخبار" أنه جورجيس بن جريل، خدم بالطب المنصور، وكان رفيع المنزلة عنده، ونال منه أموالاً حزيلة، ووَلَدُهُ بختيشوع أيضاً طبيب ماهر، وـ"كُنَاش جورجيس" مشهور، نقله حينين بن إسحاق من اللغة السريانية إلى اللغة العربية. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي، (ص ١٢٣).

له مكانة عالية عند حتي إنّه بني له مستشفي مثلاً المستشفيات في جنديسابر^(١٠)، وقد نقل للمنصور كتاباً كثيرةً من كتب اليونانيين إلى اللغة العربية^(١١)، وفعل الخلفاء: المهدى (ت ١٦٩ هـ) والرشيد (ت ١٩٣ هـ) مِنْ بعده مثله^(١٢)، وقد أعلى الخلفاء العباسيون ورجال الدولة مكانته لما له مِنْ العلم؛ وذلك بسبب النجاح الذي حققه، و"كذلك استرعى الأنظار -أي أنظار الخلفاء العباسيين- ما كانوا عليه مِنْ علم غزير، فاتجه الاهتمام إليه، وتولّدت الرغبة في الاشتغال به، والبحث فيه، ونقله إلى اللغة العربية"^(١٣).

وأول من غنى بالعلوم مِنْ الخلفاء العباسيين هو أبو جعفر المنصور، وقد كان مهتماً في علم الفلسفة^(١٤)، وقد ذكر الإمام السيوطي أنه مِنْ أوائل الخلفاء العباسيين الذين بدؤوا بالترجمة^(١٥). وفي عصر الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ) نشطت حركة الترجمة وبلغت ذروها، وقد أثرى "بيت الحكمة" الذي أسسه الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ) حركة الترجمة، وبدأت ترجمة كتب الفلسفة اليونانية بعد أن أخذها الخليفة المأمون مِنْ مملكة الروم، ومثلما كانت الحاجة وحدها هي التي دفعت إلى نقل كتب الطب وترجمتها، وكذلك نفسه في كتب الفلسفة والمنطق. وسبب عزوف المسلمين عن هذه الكتب وتركها في صدر الإسلام والدولة الأموية هو مِنْ حرص الخلفاء واجتهادهم في آلا يُشيع في العقيدة ويدخل في الدين ما ليس منهما، فقد كان "المقصود مِنَ المنع هو إحكام قواعد الإسلام، ورسوخ عقائد الأئمّة"^(١٦).

وبناءً على ما سبق: فقد كان الاشتغال بالفلسفة هو وسيلةً استعان بها المعتزلة بشكلٍ خاصٍ في نصرة الإسلام، وللهذا على مَنْ خالفهم مِنْ أهل الفلسفات^(١٧).

ويرى بعض مؤرخي الفكر الإسلامي أن الترجمة والنقل في العصر العباسي كانت بسبب "أن دعائم الإسلام قد ثبتت وتوطّدت، وأصبحت عقائد الناس لا يخشى عليها مِنْ أن تتألّف منها آراءٌ غريبةٌ على بيتهما، فتغيرت المكانة التي كان يضع فيها المسلمون الفلسفة، بل علوم الأوائل كلّها، لقد وجدوا أنّهم في حاجة إلى

(١٠) إنجاز العلماء بأنجاز الحكماء، للقفطي، (ص ١٢٣).

(١١) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبيعة، (ص ١٨٣).

(١٢) إنجاز العلماء بأنجاز الحكماء، للقفطي، (ص ١٠٧).

(١٣) السريان والحضارة الإسلامية، د. الشحات سيد زغلول، (ص ١٦٩-١٧٠).

(١٤) كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، حاجي خليفة، (ص ٣٤).

(١٥) تاريخ الخلفاء، للسيوطى، (ص ٢٠٠).

(١٦) كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون، حاجي خليفة، (ص ٣٤).

(١٧) وأشار محمد عبده في رسالة التوحيد إلى ذلك فقال: "تفرقـت السـيل بـأثـيـاع وـأـصـلـ، وـتـنـاـولـوا مـنـ كـتـبـ اليـونـانـ ماـ لـاقـ بـعـقـوـطـ وـظـنـوا مـنـ التـقـوىـ أنـ تـؤـيـدـ العـقـائـدـ بـمـاـ أـتـيـهـ الـعـلـمـ بـدـوـنـ تـقـرـيـةـ بـيـنـ مـاـ كـانـ مـنـهـ رـاجـعـاـ إـلـيـ أولـيـاتـ الـعـقـلـ وـمـاـ كـانـ سـرـاـبـاـ فـخـلـطـوا بـعـارـفـ الـدـيـنـ مـاـ لـيـنـطـبـقـ عـلـىـ أـصـلـ مـنـ أـصـولـ النـَّـاظـرـ وـجـلـواـ فـيـ ذـلـكـ".

رسالة التوحيد، محمد عبده، (ص ١٠).

البحث فيها ودراستها، والتزود بما تتيحه من وسائل في الجدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات، ومقارعة الخصوم، والدفاع عن الإسلام^(١٨). وقد بَرُروا ذلك بأن المعتزلة أرادوا التسلح بأسلحة الثقافة اليونانية التي تسلح بها اليهود والنصارى وقد تبيّنت لهم من خلال المناقشات معهم؛ ومن هنا حصل الاشتباك بين الدين الإسلامي من جهة والفلسفة والمنطق اليونانيين من جهة أخرى، وابتدا ظهور ما يُسمى "علم الكلام الإسلامي" لدى الفرق^(١٩). وقد ذكر هذا الاتجاه عدد من العلماء قديماً، فقد ذكر المقرizi (ت ٨٤٥ هـ) أن المعتزلة أقبلت على كتب الفلاسفة فأكثروا تصفحها والنظر فيها^(٢٠)، وقد سبق المعتزلة في الدولة العباسية في نقل الفلسفة كلاً من اليهود والنصارى في محاولة تطبيق المبادئ الفلسفية في الحالات الدينية^(٢١)، وهكذا نشأت المعتزلة وتتأثرت بما تأثرت به... فقادت متسلحةً بالأدلة العقلية، تدافع عن آرائها وعن الدين الإسلامي بنظوري: علم الكلام و الفلسفة، وقد انصرفت إلى دراسة الفلسفة اليونانية والدراسات النظرية التي قادتهم إلى البحث في موضوعات الفلسفة: كالحركة، والسكن، والجوهر، والعرض، وما إلى ذلك^(٢٢)، وهذا يظهر جلياً في استخدامهم مفراداتها، وتطبيقاتها لها في مسائل الاعتقاد ومنها صفات الله تعالى كما سيأتي بيانه في المطالع الآتية.

المطلب الثاني:

مهنة خلق القرآن الكريم

ابتدأت مهنة خلق القرآن الكريم في عصر الخليفة المأمون(ت ٢١٨ هـ)؛ وذلك بسبب اتصاله بعده من علماء المعتزلة، وكان أول من تأثر به الخليفة المأمون من المعتزلة هو ثامن بن أشرس التميري (ت ٢٢٨ هـ)، وقد كان هذا هو بداية اختلاط الخليفة المأمون بالمعزلة وإدخالهم في السياسة، وكان يثق به ويستشيره في أمره ويستأمنه في أمور السياسية ويكلّفه بعض المهام^(٢٣)، وأمام أبو هذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ) -أكثر الشيوخ الذين اتصلوا بالخليفة المأمون فكان يحضر مجالس الخليفة للمناظرة في الأديان والمقالات^(٢٤)، وقد أثر العلاف

(١٨) السريان والحضارة الإسلامية، د. الشحات سيد زغلول، (ص ١٧٢).

(١٩) انظر: ابن سينا بين الدين والفلسفة، لحمودة غربة، (ص ٢٦).

السريان والحضارة الإسلامية، د. الشحات سيد زغلول، (ص ١٧٤).

(٢٠) خطط المقرizi، للمقرizi، (١٩١/٤).

(٢١) يقول بول ماسون في كتابه الفلسفة في الشرق: "ولما كان أفالاطون وأرسطو قد سادا على كل تفكيرٍ منظمٍ، ما كان بد من تأسيس فلسفة يهودية وفلسفة مسيحية، ثم بعدئذ فلسفة إسلامية للتوفيق بين العقل والدين، وما يجدر ملاحظته أن هذه الضرورة الملحة، التي اعتبرها كثيرون منا مشكلة المشكلات، لم تفرض نفسها على الإنسانية في العالم اليونياني السامي، فكانت شغله الشاغل".

الفلسفة في الشرق، لـ بول ماسون، (ص ٤٣).

(٢٢) تاريخ الفلسفة العربية، لـ حنا فاخوري وآخر، (١٤٤/١).

(٢٣) العقد الفريد، لابن عبد ربه، (١٦٧/٢).

(٢٤) الفهرست، لابن النديم، (ص ٢٠٩-٢١٠).

على عقيدة الخليفة المأمونإذ أخذ برأه في القدرية^(٢٥) في مناظرة أهل السنة والجماعة على أكْمَم جحْرِيَّة^(٢٦)، وقد أدى أحمد بن أبي دؤاد الإيادي (ت ٢٤٠ هـ) دوراً كبيراً في بلاط الخليفة المأمون واستطاع أن يجعله يجبر الناس على الإيمان بمذهب المعتزلة، فقد ابتدأ سنة (٢١١ هـ)^(٢٧)، وقد ارتفع شأن المعتزلة في عصر الخليفة المأمون؛ لأنَّه أيدَ عقیدَهَا و اعتنقتها بين سنتي (٢١٨ هـ / ٢١١ هـ)^(٢٨)، وأمرَ ونادى بتفضيل علي بن أبي طالب صراحةً على أبي بكر وعمر سنة (٢١١ هـ)^(٢٩)، وأنكرت عليه الناس ذلك في هذه الفترة، ولم يتم له ما أراد فكفَ عن إعلانه هذا سنة (٢١٢ هـ)، ثم أظهر المأمون (ت ٢١٨ هـ) القول بخلق القرآن فعليًا سنة (٢١٨ هـ) قبيل وفاته ، وأعلن بشكلٍ صريحٍ اعتنافه لمذهب المعتزلة وامتحانَ الناس بالقول بخلق القرآن بعد ذلك، سنة (٢١٨ هـ)^(٣٠).

وقد تبَّئَّ مسألة خلق القرآن وامتحانَ الناس فيها ثلاثةٌ مِن خلفاء الدولة العباسية، فقد ابتدأت من عصر الخليفة المأمون، ثم الواثق (ت ٢٣٢ هـ)، والموكل (ت ٢٤٧ هـ) مِن بعده، وقد حملوا الفقهاء والمحدثين مِن أهل السنة والجماعة وعامة الناس على القول بخلق القرآن الكريم، وأكْرَهُوا وأجْبَرُوا على ذلكمك؛ ومن هنا ابتدأت المحنة وبها اضطررت العقول والنفوس^(٣١)، وأجمع العلماء - ومنهم الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) - على دورِ أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠ هـ) في المحنة، والذي ابتدأ حين توَّلَ منصب قاضي القضاة في عهد الخليفة المعتصم (ت ٢٢٧ هـ)، ثم الواثق (ت ٢٣٢ هـ)، وبعضٍ مِن عصر الموكل (ت ٢٤٧ هـ)، وأصبح دورُه هو امتحانَ العلماء والفقهاء في مسألة خلق القرآن بحكم منصبه كقاضي القضاة^(٣٢).

وقد تبَّئَّ المعتزلة مسألة القول بخلق القرآن الكريم على أصل التوحيد لديهم، وتقوم شبهُهم على أكْمَم خلطوا بين أنواع توحيد الربوبية والألوهية، بحيث جعلوا توحيد الربوبية هو الغاية مِن الخلق وإرسال الرسل وإنزالِ

(٢٥) القدرية اسم عام يجمع كل من نفي القدر، وهو طائفتان:

الأولى: القدرية الغلاة، وهو الذين ينفون العلم عن الله تعالى.

الثانية: القدرية غير الغلاة، وهو من ينفي الإرادة عند الله.

يُنظر: الملل والنحل، للشهرستاني، (١/٣٩)، مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية، (١٣/٣٦-٣٧).

(٢٦) المحنة، لفهمي جدعان، (ص ٨٣-٨٤).

الجبرية: هم من نفي الأفعال عن العباد، وأضافوها إلى الله ﷺ؛ أي أن العباد محبورون على أفعالهم فليس لهم اختيار ولا قدرة.

ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص ٩٣)، الملل والنحل، للشهرستاني، (١/ص ٨٥).

(٢٧) الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص ١٥٩).

(٢٨) المعتزلة، لزهدي حار الله، (ص ١٦٤).

(٢٩) تاريخ الرسل والملوك، للطبرى، (٨/٦١٨).

(٣٠) طبقات الشافعية، السبكي، (٢/٣٩).

(٣١) ضحي الإسلام، لأحمد أمين، (٣/٨٥).

(٣٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان، (١/٨٤).

الكتب، وجعلوا توحيد الألوهية بمعنى القدرة على الاختراع^(٣٣)، وقد فسّروا توحيد الأسماء والصفات أنْ يصير الشيء واحداً، وهو: "العلم بأنَّ الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحقّ من الصفات نفياً وإثباتاً على الحدّ الذي يستحقّه، والإقرار به"^(٣٤)، يقول القاضي عبد الجبار(ت ١٥٤٥هـ) : "إِنَّمَا مَنْ خَالَفَ فِي التَّوْحِيدِ، وَنَفَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُجَبُ إِثْبَاتُهُ، وَأَثَبَتَ مَا يُجَبُ نَفِيَهُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ كافِراً"^(٣٥)، وقد أخطأوا بذلك في فهمهم التوحيد، وبالغوا في الغلو في ذلك حتى إِنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا مَنْ يَخْالِفُهُمْ"^(٣٦).

وبسبب فهمهم السابق فقد وقعوا في أحطاء عقدية عديدة مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ومنها: نفي الصفات عن الله تعالى وإثبات الأسماء دون الصفات؛ لأنَّ إثباتها له يستلزم تعدد الذات؛ فقد نفوا الصفات الذاتية عن الله، وأؤلوا الصفات الخبرية، وعلى ذلك فقد أنكروا صفة الكلام لله وقالوا: بخلق القرآن الكريم. وقد استندوا في استدلالهم العقلي على وجود الله تعالى بدليل "حدوث الأجسام" ، ثم توصّلوا به إلى نفي الصفات عن الله تعالى والقول بخلق القرآن الكريم، وخلاصته: "أنَّ الأجسام يوجد بها أعراضٌ معينةٌ كالحركة والسكن، والاجتماع والافتراق وصفات الأجسام، فالجسم يتحرك ثم يسكن أو العكس، وهذه الأعراض حادثة لا تتغير، والقسم^(٣٧) - الذي هو الله سبحانه - لا يتغير ولا يطرأ عليه تبديل، وبما أنَّ كلَّ جسم لا يخلو من الأعراض في كلِّ وقتٍ، فال أجسام أيضاً محدثة وليس قديمة، وإذا ثبت أنَّ الأجسام محدثة فلا بدَّ لها مِنْ مُوجِدٍ؛ لأنَّها لا تخلو أن تكون أحد ثلاثة أقسام: إِنَّما مستحيلة الوجود، وهذا مستحيل؛ لأنَّ واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم. وإنَّ مكنة الوجود، وعلى هذا التقدير يكون المحدث دائراً بين احتمالين: إمكان وجوده، أو إمكان عدم وجوده، وكلاهما متساويان. وحدوث المحدث، وإيجاده بعد العدم يحتاج إلى مرجح ليرجح إيجاده في وقتٍ وزمانٍ مخصوص، وهذا المرجح هو الله"^(٣٨).

وبعد أن أثبتوا وجود الله بهذا الدليل نظروا إلى الصفات التي أثبّتها الله لنفسه، أو على لسان نبيه ﷺ فبنّوا على الأصل السابق "حدوث الأجسام" أنَّ الله لا تقوم به الصفات ولا الأفعال، فإِنَّما حوادث وأعراض لا تقوم إلا بالأجسام، والأجسام محدثة فيلزم من ذلك نفي الصفات عن الله، وعلى ذلك فإنَّه سبحانه لا يقوم به عِلْمٌ ولا قدرة، ولا كلام، ولا مشيئة، ولا رحمة، ولا رضا، ولا غضب، ولا غيرها مِنَ الصفات، بل إنَّ كلَّ ما يُوصف به مِنَ الصفات فإِنَّما مخلوقةٌ منفصلةٌ عنه^(٣٩).

(٣٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٩٨/٣).

(٣٤) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، (ص ٦٨).

(٣٥) المرجع السابق، (ص ٦٨).

(٣٦) المرجع السابق، (ص ٦٨).

(٣٧) القسم: ليس اسمًا من أسماء الله الحسنى، ولا صفةً من صفاته، فالواحد هو التوقيف في باب الأسماء والصفات، وإنَّما يجوز إطلاقه على الله تعالى في مقام الإخبار عنه، لا مقام التسمية والوصف، والأولى تسمية الله تعالى بما ورد في القرآن الكريم وهو الأول.

ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، (١٦٢/١).

(٣٨) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، (ص ٦٩).

(٣٩) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، (٣١١/١).

وبناءً على ما سبق من تقرير مذهبهم في الصفات: فإنه لا بد من تأويل آيات الصفات عموماً، حتى لا ثنا في التنزية الالائق بالله كما يزعمون، وبذلك نفوا الصفات عن الله وقالوا: بخلق القرآن الكريم لنفي صفة الكلام عن الله، وأن كلام الله هو فعلٌ من أفعاله يُخلق في الأجسام إذا أراد مخاطبة الخلق^(٤٠).

وقد تأثر المعتزلة في أقوالهم السابقة بالفلسفة اليونانية، فقد كان "أثر أسطو واضحًا في قولهم بالمادة وفكرة القديم وهي شبيهة جدًا بكلامه فيها"^(٤١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٦٧٢٨هـ): "ومن العجب أن المعتزلة يفتخرن بأهم أهل التوحيد والعدل، وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيًا يستلزم التعطيل والإشراك"^(٤٢)، وفي ضوء ما سبق لحقيقة القول بخلق القرآن الكريم امتحن الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) ومن تبعه من الخلفاء بهذا القول المسلمين علماء وعامّة، وقد أودي بعض العلماء وأكده الناس على ذلك، وقد دأب الخليفة المأمون على المجالس والمناقشة بين من يخالفه من علماء أهل السنة والجماعة وبين قضايه المعتزلة، وقد مكّن المعتزلة وأولاً لهم العناية والرعاية وجعل أغلب حاشيته ووزرائه منهم.

وقد كتب الخليفة المأمون إلى نائبه بإلزام الناس بالقول بخلق القرآن الكريم، وأمر بامتحان الفقهاء والقضاء فيه، وخصص في البداية سبعة من العلماء والفقهاء وامتحنهم بخلق القرآن، وقد أقرّوا بخلقه فأُخلي سبيلهم^(٤٣) -على تقديره منهم-، ثم امتحن جماعةً ثانيةً، وقد أقرّوا بخلقه أيضًا -على تقديره منهم-، ثم امتحن جماعةً ثالثةً وكان منهم الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) فأجاب بعضهم -على تقديره منهم-، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل^(٤٤) من الجماعة الثالثة التي قالت بأن القرآن كلام الله، وأنكرت القول بخلق القرآن الكريم، فكتب نائب الخليفة المأمون (ت ٢١٨هـ) له كتاباً بإحبابهم^(٤٥)، فطلب الخليفة المأمون منه استتابة من أصرّ منهم على قوله، وحكم على من رفض الرجوع عن قوله بأن يُضرب عنقه، وعرض نائب الخليفة المأمون أمر الخليفة عليهم فأقرّ أغلبهم إلا أربعةً، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) وعدّبوا، وشدّدوا وثاقهم بالحديد وأرسلوا من بغداد إلى طرسوس للمأمون، وفي طريقهم إليه جاءهم نبأ وفاة الخليفة المأمون فأعيدوا إلى بغداد^(٤٦).

(٤٠) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، (ص ٦٩-٧٠).

(٤١) المنية والأمل، ابن المرضي، (ص ١٤).

فحقيقة مذهبهم وتوحيدهم: هو تعطيل صفات الله وإنكارها، وهو على عكس التوحيد في الحقيقة، بل هو تلبيس وقلب للمفاهيم وتلاعيب بالألفاظ، وذلك لإبعاد أنفسهم عن التحريف وإيهام الناس بأنهم على حق.

(٤٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٤٩٣/٧).

(٤٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبرى، (٦٣١/٨).

(٤٤) مختن الإمام أحمد بن حنبل، لعبد الغنى المقدسى، (ص ٤٥-٤٥).

(٤٥) تاريخ الرسل والملوك، الطبرى، (٦٣٧/٨).

(٤٦) طبقات الشافعية، السبكى، (٤١-٣٩/٢).

وسار الخليفة المعتصم (ت ٢٦٧ هـ) على نفس طريقة أخيه الخليفة المأمون وأخذ بوصيّته، وشدّد في المخنة حتى أُنِّه قُتل بعضاً من الفقهاء، وناظر علماء المعتزلة - وعلى رأسهم أمِّد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠ هـ) - الإمام أمِّد بن حنبل بحضور الخليفة المعتصم ملَّة ثلاثة أيام، وضرب الإمام أمِّد بن حنبل حتى سال منه الدم^(٤٧). وبعد موت الخليفة المعتصم سنة أخذت البيعة لابنه الخليفة الواشق (ت ٢٣٢ هـ) الذي سلك مذهب أبيه في مسألة خلق القرآن، وتشدّد في المخنة مثل الخليفة المأمون^(٤٨).

ولمّا توفي الخليفة الواشق سنة (٢٣٢ هـ) بُويع من بعده الخليفة المتكول (ت ٢٤٧ هـ)، الذي كان على طريقة أهل السنة والجماعة، فأظهر السنة وأبطل مسألة خلق القرآن، ونفى عن امتحان الناس والجداول فيها^(٤٩)، وعزل أمِّد بن أبي دؤاد عن المظالم، ومكّن أهل السنة والجماعة^(٥٠)، واستقدم العلماء والمحدثين والفقهاء وأكرمهم، وأمرهم بأن يجلسوا للناس ويحدّثوا بأحاديث الصفات وأن يردّدوا على المعتزلة^(٥١)، وكتب كتاباً وأرسله إلى نوابه في الأمصار بأن يُكفّ عن الكلام وعن القول بخلق القرآن الكريم، وألا يشغّل الناس إلا بكتاب الله وسنة رسوله^(٥٢)، ورفع مهنة خلق القرآن الكريم، وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة وأبعد المعتزلة، وظهر بغضّ الناس الشديد لمذهب المعتزلة^(٥٣).

المطلب الثالث:

عرض آراء المعتزلة في مهنة خلق القرآن من خلال كتبهم

ارتبطت عقيدة المعتزلة في صفات الله تعالى بمسألة خلق القرآن عامةً، وذلك بسبب قولهم بتعدي القدماء، وأنّ وصف الله تعالى بالصفات الذاتية والفعلية يستلزم التجسيم، وما يتربّ على ذلك من القول بعدم التركيب شبيهة بأقوال أرسطو، وقد ذهب جمهور المعتزلة^(٥٤) إلى أنّ الوجود غير الماهية في كلّ من الواجب والممكّن، واستدلّوا على ذلك بأنّا نتصوّر الماهيات الممكّنة ونشكّ في وجودها حتّى يقوم البرهان على وجودها، وعليه فإن لم يكن الوجود زائداً على الماهية لم نشكّ في وجودها عند تصوّرها^(٥٥). وممّا يؤكّد ذهابهم إلى القول بأنّ وجود الممكّن زائد على ماهيته: هو قول أكثرهم بأنّ الماهية تسبق الوجود؛ مما دعاهم إلى القول بشيئية

(٤٧) مروج الذهب، المسعودي، (٤/٧٩-٨٠).

(٤٨) المرجع السابق، (٤/٥٥).

(٤٩) المرجع السابق ، (٤/٢٥٤).

(٥٠) وفيات الأعيان، لابن خلkan، (١/٨٥).

(٥١) تاريخ بغداد، للبغدادي، (٨/٤٥).

(٥٢) المختصر في أخبار البشر، لابن كثير، (٢/٣٨).

(٥٣) تاريخ بغداد، للبغدادي، (٧/١٧٠).

(٥٤) ينظر: شرح المواقف، للحرجاني، (ص ٦٥).

(٥٥) ينظر: يانع الأزهار مختصر طوال الأنوار، لسليمان العبد، (ص ٢٧).

المعروف. وقد رأى بعض الدارسين أن القول بأن الماهية غير الوجود وأنّها تسبق الوجود؛ يؤدّي إلى اعتقاد أن العدم شيءٌ تنشأ منه الأشياء، وأن له ذاتاً وحقيقةً؛ إذ قالوا: إن العدم ذاتٌ وإنّه يحتوي على الجوهر والأعراض قبل حدوثها، وأن المعتزلة لم يستطيعوا التغلب على ما يفضي إليه هذا الرأي من القول بوجود مادةٍ قديمة مع الخالق، وهذا ما وقع فيه فلاسفة الإغريق من قبل^(٥٦). وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) إلى أن القول بزيادة الوجود على الماهية يؤدّي إلى القول بشيء المعروض^(٥٧).

وقد شابت آراء المعتزلة بنفي الصفات طلباً للتتنزيه آراء الفيلسوف أكسيونوفان^(٥٨)، فقد آمن بأن الإله واحد كامل العلم والحكمة، صالح أخلاقيًّا أبدبيًّا، مكتفٍ بنفسه، ثابتٌ، تامُ القدرة^(٥٩). وتؤدي هذه الصفات التي أطلقها أكسيونوفان على الإله بشيءٍ من التتنزيه، ولكنها ليست كذلك في حقيقة الأمر، فهو يذكر أن الإله ذو جسم، وهكذا^(٦٠).

وقد اتجهت الأفلاطونية الحديثة ممثلةً بأفلاطون (ت ٢٧٠ م) إلى نفي كل صفةٍ حسيةٍ للإله، فهو المبدأ الأول البسيط، وصفاته هي أثرٌ وفعلٌ الظاهر، وهو ليس خاصاً لفواصل الزمان والمكان^(٦١)، ولا يحتمل زيادةً ونقصاناً ولا امتداداً معيناً^(٦٢)، ولذلك جزم أفلاطون بعدم جواز إطلاق الصفات على الإله؛ بحججة التتنزيه وأنه مبدع الصفات كما أنه مبدع الكائنات، فإذا أطلقنا الصفات عليه صار كالأشياء الرمانية، ولا يتميّز عنها إلا كما يتميّز كائنٌ زمانيٌ عن آخر^(٦٣)... وقد خلص أفلاطون إلى أنه لا يمكنه الحديث عن الإله بدون الصفات^(٦٤)، وبهذا تكون كل صفةٍ صفةٌ ذاتيةٌ فيه وليس إضافيةً، وحتى عندما يفعل يكون فعله ذاته، لا

(٥٦) ينظر: ابن رشد وفلسفته الدينية، د. محمود قاسم، (ص ٨٩ - ٩٠).

(٥٧) الرد على المنطقين، لابن تيمية، (ص ٦٤).

(٥٨) أكسيونوفان (٥٧٠ - ٤٨٠ ق. م) ولد في قيوفون إحدى مدن أيونة وغادرها بسبب غزو الفرس لبلاده واستقر في إيليا، كان شاعراً حكيماً، انتقد فيشاغورث لاعتقاده بالتناسخ، وقد ارتفع بعقله فوق حكايات قدماء الشعراء وصرف جهده إلى القول بنظام أسمى من التجربة المحسوسة، فقد تصوّر الوجود تصوّراً روحيّاً.

ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص ٤٣ - ٤٤).

(٥٩) وقال: "هناك إلهٌ واحد، الأسمى بين كل الألة والبشر، لا يشبه البشر لا في الجسم ولا في العقل، كله بصرٌ وسمعٌ، وكله عقلٌ، يسير الأشياء بقوّة عقله ليس باستخدام أداؤه، وهذا الإله موجودٌ في كل مكانٍ من غير أن يتحرك على الإطلاق؛ إذ لا يليق به أن يتحرك من مكانٍ إلى آخر أو أن يغيّر موضعه".

ينظر: فهر الفلسفة اليونانية، لأحمد الأهواي، (ص ٩٦)، تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص ٤).

(٦٠) ينظر: فهر الفلسفة اليونانية، لأحمد الأهواي، (ص ٩٦).

(٦١) ينظر: تاسوعات أفلاطون، (ص ٦١).

(٦٢) ينظر: المرجع السابق، (ص ٨٤).

(٦٣) ينظر: المرجع السابق، (ص ٤٧١ - ٤٧٢).

(٦٤) ينظر: المرجع السابق، (ص ٦٦٣).

عملاً متميزاً عنه كالصفة الإضافية، فعندما نقول: إن فعله ذاته، نقصد أنّ فعله وذاته متلازمان، أي: كيانه ونتاجه واحد^(٦٥). كما أنه خلص إلى أنه لا يمكن أن يتحرر من التصورات البشرية، التي تضيّف الصفات على الإله، فقد وجد أن ذلك يعرض المبدأ الأول البسيط للإله ووحدانيته لمنزق، ولذلك فقد فضل الطريقة السلبية في الحديث عنه، وهذه الطريقة التي من شأنها أن تثبت عجز العقل الإنساني عن إدراك الذات الإلهية، وهو يرى أن هذا الكلام بهذا الأسلوب من شأنه أن يدفعنا إلى التأمل، على أنه لا يوصلنا إليه، بل يوقفنا على الممر المؤدي إلى الاتحاد به والقول بوحدة الوجود^(٦٦).

وبهذا يتبيّن التشابه الكبير فيما يتعلق بإثبات الصفات لله تعالى -الذاتية والفعالية- بين المعتزلة والأفلاطونية المحدثة، من حيث تفضيل طريقة النفي، أي إضافة السُّلوب لله -تعالى الله عن ذلك^(٦٧).

وممّا تأثّرت به المعتزلة من الفلسفة اليونانية، الانتقال من مفهوم النفي الكامل للصفات إلى التوحيد بين الذات والصفات^(٦٨)، وتتضح آراء المعتزلة سابقة الذكر بشكلٍ خاصٍ في مهنة خلق القرآن بما كتبه علماؤهم، ومن أبرزهم الحافظ^(٦٩) (ت ٢٥٥) الذي أجمع أهل العلم على أنه من روّوس المعتزلة^(٧٠)، فقد انتهى كثيرٌ من كتب عن مهنة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) لبيان دوره البارز فيها، وقد توّلَ فيها الدور الإعلامي والتاليف والنشر والدفاع عن المعتزلة ومناصرتهم في مهنة خلق القرآن، إضافةً إلى أن المستشرقين اعتمدوا على رواياته في نقلهم أحاديث المحنّة، وتبرّز أهمية آراء الحافظ^(٧١) (ت ٢٥٥) في المحنّة لكونه من المعتزلة المعاصرين لها، ومن المؤلفين في سبب المحنّة وهو خلق القرآن الكريم^(٧٢)، إضافةً لكونه أدرك اثنين عشر خليفةً من الخلفاء

قال أفلوطين: "إن الصفة عندما تذكر فليس ذلك لأن الذات مفترضة إليها، وإنما تستعمل للدلالة عليها، فعندما نقول موجودٌ؛ فإننا نستخدم هذه الكلمة للدلالة فقط على الذي هو موجود، ثم إن الصفة ليست مضافةً إلى كيانه، بل تكون هي ذاته، فعندما نقول: إنه حيّ، لا تذكر صفة لكيانه، بل تعني أنه هو الخير بالذات".

TASOOGHAT AFLOOTIN, (ص ٨٤).

(٦٥) ينظر: المرجع السابق، (ص ٦٨٧).

(٦٦) المرجع السابق، (ص ٤٥٢).

(٦٧) ينظر: أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، د. محمود نقيسة، (ص ٤٠٦).

(٦٨) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني، (١/٤٦).

(٦٩) ينظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع المجري، د. محمد الشیخ علیو، (ص ٥٠٣-٥١٤).

(٧٠) ينظر: الفرق بين الفرق، للشهرستاني، (ص ١٧٥)، الملل والنحل، لابن حزم، (١/٦٥).

وقد أفصح الحافظ بنفسه في غير موضعٍ من كتبه بأنه معتزلٌ المذهب، وبفضيله له على سائر المذاهب والنحل، وقد عدَّ المصطفون في طبقاتهم من المعتزلة.

ينظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، (ص ٢٧٥)، طبقات المعتزلة، (ص ٨٨).

(٧١) ألف الحافظ كتاب (خلق القرآن) بناءً على طلب أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دجاد، الذي "كان يمثل المعتزلة رسمياً بعد مرض أبيه وصرفه عن القضاء؛ وذلك بعد ما شعر أبو الوليد بأفول نجم المعتزلة بموت المعتصم وحييٍّ المتوكل، وارتفاع شأنِ أهل السنة فأراده أن يكتب كتاباً في خلق القرآن، يبرّز فيه أدلة المعتزلة، وأصولهم العقدية في الصفات، ويرد على مناوئهم، فبادر الحافظ بذلك، وألف الكتاب.

العباسين، "وفي بغداد عرفه الخلفاء والعلماء والأمراء"^(٧٢)، ولقد سلك الجاحظ في مخنة خلق القرآن مسلك التهويين مما حصل من المعتزلة تجاه مخنة الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه، واعتراضه بفعلهم، وقد نقل المستشرقون عن الجاحظ فكرة أن الإمام أحمد بن حنبل استسلم، وطورها^(٧٣).

ويقف الجاحظ موقفاً في غاية الخطورة في عرضه المخنة، ويوضح انتقامه للمعتزلة^(٧٤)، فلم يكن ينظر لنفسه وللمعتزلة بوصفهم طرفاً خارجياً في مخنة الإمام أحمد بن حنبل، ويظهر ذلك جلياً في خطابه لأهل السنة والحديث في كتابه خلق القرآن بقوله: "ونحن لم نكفر إلا من أوسعناه حجة، ولم نتحن إلا أهل التهمة"^(٧٥)، ويقول مخاطباً أهل الحديث بعد عرضه مجادلة ابن أبي دؤاد للإمام أحمد وضرب الخليفة المعتصم (ت ٢٦٧ هـ) للإمام أحمد بن حنبل: "وأيّة حجّة لكم في امتحانا إياكم، وفي إكفارنا لكم"^(٧٦)، ويظهر في عباراته الاستقواء بالسلطة في الترغيب والترهيب، فيقول في خاتم رسالته في خلق القرآن: "النابتة اليوم في التشبيه مع الرافضة، وهم دائبون في التألم من المعتزلة، غدرُهم كثير، ونصبِهم شديد... إلا أنَّ معك أمرٌ: السلطان، وميلهم إليه وخوفهم منه"^(٧٧)، وفي رسالة في "نفي التشبيه" التي بعثها الجاحظ لابن أبي دؤاد (ت ٤٢٠ هـ) كان الجاحظ يحرّضه على أهل السنة والحديث، ويشير عليه بشدةٍ عليهم لأنهم مشبهة، يقول: "كيف صاروا في باطلهم أيام قدركم أقوى منا في حقّنا أيام قدرتنا"^(٧٨).

تبين الموقف السابق موقف الجاحظ (ت ٥٢٥ هـ) من أهل السنة والحديث وتنقصه منهم، بل عدم عنايته بالحديث، وقد وصفه المحدثون بأنه ليس بثقة فيما يروي وينقل، بل إنه مطعون في عدالته^(٧٩)، قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) عن الجاحظ: "كان ماجنا، قليل الدين، له نوادر"^(٨٠). وبالنسبة لموقف المعتزلة من خلفاء المخنة، فالجاحظ يري حالي العوام لأنهم مشبهة يثبتون الصفات الإلهية، وأن ولادة الأمر على مذهب المعتزلة في نفيهم للصفات، فيقول: "أرجو أن يكون الله قد أغاث الحسينين ورحمهم، وقوى ضعفهم وكثُر قتلهم،

(٧٢) ينظر: كتابة الجاحظ في ضوء نظرية الحجاج، لعلي سلمان، (ص ١١٦).

(٧٣) Two Abbasid trials: Ahmad Ibn Hanbal and Hunayn b Ishaq، Cooperson, Al-Qantara, (2001), p.375.

(٧٤) ينظر: جدول التنزيل مع كتب خلق القرآن للجاحظ، د. رشيد الحيون، (ص ١٦١).

(٧٥) رسالة خلق القرآن، للجاحظ، (٢٩٢/٣).

وينظر: آراء الجاحظ في مخنة خلق القرآن وأهميتها لدى المستشرقين، موقع سلف للبحوث والدراسات، مركز بحثي بإشراف: د. محمد بن إبراهيم السعدي، الاثنين، ٣ رمضان ١٤٤٣ هـ.

<https://salafcenter.org/5789/>

(٧٦) رسالة خلق القرآن، للجاحظ، (٢٩٢/٣).

ينظر: جدول التنزيل مع كتب خلق القرآن للجاحظ، د. رشيد الحيون، (ص ١٤٥).

(٧٧) رسالة خلق القرآن، للجاحظ، (٣٠٠/٣).

وينظر: آراء الجاحظ في مخنة خلق القرآن وأهميتها لدى المستشرقين، موقع سلف للبحوث والدراسات، مركز بحثي بإشراف: د. محمد بن إبراهيم السعدي، الاثنين، ٣ رمضان ١٤٤٣ هـ.

<https://salafcenter.org/5789/>

(٧٨) رسالة نفي التشبيه، للجاحظ، (٢٨٧/١).

(٧٩) كتاب الضعفاء والمترونkin، لابن الجوزي، (٢٢٣/٢).

(٨٠) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥٢٧/١١).

حتى صار ولاه أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا، وأعلم بما يلزم فيه منا، وأكشف للقناع من رؤوسنا،...^(٨١)، وعقيدة العوام كانت بشكل جمل هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وبهذا يكون الجاحظ يعيّب على العوام معتقدهم الموفق للسنة^(٨٢).

وقد اتفق مؤرخو المعتزلة وكتاب التراجم لديهم، على وضع خلفاء الحنة في طبقاتٍ علياً في كتبهم، ومثاله: وضع القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ) مع الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة^(٨٣)، وقد نقلوا شكر بعض أصحابهم لخلفاء الحنة^(٨٤)، وبعد ما انتهت الحنة وانتصر أهل السنة والجماعة وحصل عكس مراد المعتزلة فقد اغتاظ الجاحظ ، وصرف رواية الحنة وأكثر من تزويعه لها بطريقه ظهر الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) وكأنه كان في مجرد زيارة تكريمية لقصر المعتصم (ت ٢٢٧ هـ)، يقول: "وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين إعذاراً وإنذاراً: امتحتنني وأنت تعرف ما في الحنة، وما فيها من الفتنة، ثم امتحنني من بين جميع هذه الأمة! قال المعتصم: أخطأت، بل كذبت، وحدث الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك، ولو لم يكن حبسك على تحمة لأمضي الحكم فيك، ولو لم يخفك على الإسلام ما عرض لك... وما زال به ريفياً عليه رقيقاً، ويقول: لأن أستحييك بحق أحب إلى من أن أقتلك بحق! حتى رأه يعند الحجة، ويكتب صراحةً عند الجواب ... وأماماً الموضوع الذي واجه فيه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاقتراض وشدة التصميم فهو حين قال له أحمد بن أبي دواد: تزعم أن الله رب القرآن؟ قال: لو سمعت أحداً يقول ذلك لقلت، قال: ألم سمعت ذلك قط من حالف ولا سائل، ولا من قاصٌ، ولا في شعرٍ، ولا في حديث؟! قال: فعرف الخليفة كذبه عند المسألة، كما عرف عنده عند الحجة،... فعند ذلك ضربه الخليفة، وأيّة حجّة لكم في امتحانا إياكم وفي إكفارنا لكم... على أنه لم ير شيئاً مشهوراً، ولا ضرب ضرباً كثيراً، ولا ضرب إلا ثلاثين سوطاً مقطوعة الشمار، مشعة الأطراف، حتى أفصح بالإقرار مراراً، ولا كان في مجلس ضيق، ولا كانت حاله حال مؤيسة، ولا كان مثقالاً بالحديد، ولا خلع قلبه بشدة الوعيد، ولقد كان ينماز باللين الكلام، ويجبب بأغاظه الجواب، ويرزون ويخفف، ويحلمون ويطيش، وعబتم علينا إكفارنا إياكم"^(٨٥).

(٨١) رسالة خلق القرآن، للجاحظ، (٢٩٢/٣).

وينظر: آراء الجاحظ في مهنة خلق القرآن وأهميتها لدى المستشرقين، موقع سلف للبحوث والدراسات، مركز بخشى بإشراف: د. محمد بن إبراهيم السعدي، الاثنين، ٣ رمضان ١٤٤٣ هـ.

<https://salafcenter.org/5789/>

(٨٢) ينظر: المرجع السابق.

(٨٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، (ص ١٨٠).

(٨٤) طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، (ص ١٢٣)، (ص ١٢٩).

(٨٥) خلق القرآن، للجاحظ، (٢٩٢-٢٩٦/٣).

وقال له معاذنا له: "أحمد الله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام... وأحسن إليه، وصدره في المجلس، وقال: هات الآن يا أبو عثمان حديثك".

وقد حَرَّفَ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) هذه الرواية، وقد نقلها المؤرخون المتأخرون من المعتزلة من بعده، وأدرجوها تسلیماً بما ورد فيها في كتبهم، والجاحظ معروف بتزويقه للكلام، بل إنَّ أَحمد بن أبي دؤاد -هذا الذي مدحه الجاحظ- لَمَّا حُملَ إِلَيْهِ مَقِيدًا ، فلما دخل القاضي عليه ونحره، استطاع الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بحسن تزويقه للكلام أن ينال عفو أَحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠ هـ) عنه وحلَّ عنه الغلَّ والقید^(٨٦)، وقد شهد أَحمد بن أبي دؤاد على الجاحظ، وأَحْمَمَه بتزويق الكلام، وقد بقيت هذه النسخة في كتب التاريخ والتراجم وهي غير معتمدة ، حتى جاء من المستشرقين مَن اختصَّ بموضوع المحنَّة، وعلى رأسهم "فان إس"، فنشرها واعتمد عليها في تزويرِ حقائق المحنَّة^(٨٧).

وبشكل عام فقد أثَرَتْ عقيدة الجاحظ المعتزلية على نظرته للمحدثين عموماً، وللإمام أَحمد (ت ٢٤١ هـ) خصوصاً في موقفه في المحنَّة، فقد امْتَحَنَ وأُوذى من المعتزلة والخلفاء، فيرى الجاحظ أنَّ الإمام أَحمد بن حنبل كان يكذب ويستعمل التقيَّة في حواره مع المأمون (ت ٢١٨ هـ) والمعتصم (ت ٢٢٧ هـ)، وأنَّه قد أجاب في خلق القرآن، ووافق على القول بأنَّه مخلوق، وقد وصفه بأوصافٍ لا تليق به كـ"رأس الحشوية"^(٨٨)، وـ"النابتة"^(٨٩)، وغيرها.

المطلب الرابع:

موقف الإمام أَحمد بن حنبل من محنَّة خلق القرآن

تُعدُّ هذه المحنَّة من أعظم المحن وأخطرها؛ لأنَّها مرتبطة بمسألةٍ عقديةٍ وهي إثبات صفة الكلام الله، ولخطورة القول بأنَّ كلام الله مخلوقٌ وهو صفةٌ من صفاته؛ فهي من أُسس العقيدة. ومن المواقف التي تبيَّن تأثُّر الإمام أَحمد في هذه المسألة بالكتاب والسنَّة هو ما نُقلَ عنه في مناظرته الخلفاء والمعتزلة في غير موضعٍ في كتاب "محنة الإمام أَحمد بن حنبل"، للإمام عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ)، فقد ذكر المقدسي أنَّه: "قيل للإمام أَحمد في المسألة بعد أن ضربه الخليفة المعتصم (ت ٢٢٧ هـ) في إنكاره خلق القرآن في المنازلة: ويحك إنَّ أمير المؤمنين مشفقٌ عليك، وهو ذا بين يديك، فأجبه إلى ما يريده منك. فقال الإمام أَحمد (ت ٢٤١ هـ):

(٨٦) طبقات المعتزلة، لابن المرتضى، (ص ٦٩-٧٠).

ينظر: آراء الجاحظ في محنَّة خلق القرآن وأهليتها لدى المستشرقين، موقع سلف للبحوث والدراسات، مركز بحثي بإشراف: د. محمد بن إبراهيم السعدي، الاثنين، ٣ رمضان ١٤٤٣ هـ.

<https://salafcenter.org/5789/>

(٨٧) ينظر: المرجع السابق.

(٨٨) ينظر: موقف الجاحظ (المعتزلي) من الحديث النبوي والصحابة -دراسة نقدية-، ثامر عبد المهيدي حتملة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مجلد (٢٨)، عدد (٤)، ٢٠٢٠ م، (ص ٩٩).

(٨٩) وهذه جملةٌ من المثالب المنسوبة إلى الجاحظ: القدح في عداته، واتهامه بالكذب، ووضع الأحاديث على النبي ﷺ، ورده للأخبار والأحاديث، والاستهزاء بالدين، والتشنيع على الصحابة والطعن فيهم، ووصفه بالتهويل والمباغة في الأمور، والهراء، والجحود، وقلة المروءة.

ينظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، محمد الشيخ علي بن محمد، (ص ٥٢٣-٥٢٩).

ما رأيت أوضح مِن كتابٍ ولا سنة^(٩٠)، وفي موضع آخر قال: "ما أتيموني ببيانِ من كتابِ الله، ولا مِن سنةٍ عن رسولِ الله"^(٩١)، وغيرها مِن الموضع في الكتاب الدالة على تمسُّك الإمام أحمد بالكتاب والسنة. وفيما يأتي سوف أعرض عقيدة الإمام أحمد مِن كتابه أصول السنة، فقد قال تحت عنوان (والقرآن كلام الله وليس بمحلوق): "ولا يصف ولا يصح أن يقول ليس بمحلوقي، قال: فإن كلام الله ليس ببيانٍ منه وليس منه شيءٌ مخلوقًا، وإياك ومناظرةً مَنْ أخذل فيه ومَنْ قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال لا أدرى مخلوق أو ليس بمحلوقي، وإنما هو كلامُ الله، فهذا صاحبُ بدعةٍ، مثل مَنْ قال هو مخلوق وإنما هو كلامُ الله ليس بمحلوقي"^(٩٢).

ونقل الإمام الالكائي (ت ١٨٥ هـ) -صاحب كتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"- عقيدة الإمام أحمد في القرآن الكريم، فروي في باب -في جماع توحيد الله وصفاته وأسمائه وأنه حي قادر عالم سميح بصير متكلم مريد باق- عن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عمن يقول: القرآن مخلوق؟ فقال: "كافر"، وفي رواية أخرى قال: سألهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: "كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ" ، قَالَ: قَلْتَ: مَا تَقُولُ فِيهِنَّ قَالَ: مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: "كَافِرٌ" ، قَلْتَ: بِمِنْ أَكْفَرْتَهُ؟ قَالَ: بِآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ أُلَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] ، و﴿مَنْ بَعَدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥] ، فالقرآن عالم الله، فمن زعم أن عالم الله مخلوق فقد كفر. وفي رواية أخرى قيل للإمام أحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في أمر القرآن، فكيف أقول؟ قالوا أنت مخلوقاً؟ قلت: نعم، قال: فكلامك منك مخلوق؟ قلت: نعم، قال: أوليس القرآن مِنْ كلامِ الله؟ قلت: نعم، قال: وكلامُ الله؟ قلت: نعم، قال: فيكون مِنَ الله شيءٌ مخلوق^(٩٣)؟

وقد نقل الإمام الخلال (ت ٩٢٣ هـ) عقيدة الإمام أحمد في مهنة خلق القرآن وموقعه مِن المعتزلة فيها، وقد قسم أبواب المسألة وعنوانها بقوله: (تفريع أبواب مقالة الجهمية^(٩٤) وما افترقت عليه في أقوالهم في القرآن وغيره)، وقد نقل فيها النصوص المنقولة عن الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن، وسوف أذكر بعضًا منها: قال الإمام أحمد: "افترقت الجهمية على ثلاثة فرق: الذين قالوا مخلوق، والذين شكوا، والذين قالوا ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فقال أبو عبد الله: ولا نقول هؤلاء واقفة، نقول: هؤلاء شاككة"، قوله: "الجهمية على ثلاثة ضروب: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، فهم عندي في المقالة

(٩٠) مهنة الإمام أحمد بن حنبل، لعبد الغني المقدسي، (ص ١١٣).

(٩١) المرجع السابق، (ص ١١٤-١١٥).

(٩٢) أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل، (ص ٢٢-٢٣).

(٩٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الالكائي، (١٩٠/٢-١٩٢).

(٩٤) الجهمية: هي فرقة كلامية بدعاية ينسبون إلى الجهم بن صفوان، يقولون بنفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن العباد مجبورون على أفعالهم، لا قدرة لهم ولا اختيار. ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص ١٨٧)، الملل والنحل، للشهرستاني، (٦٨/١).

واحد^(٩٥). وبعد هذه المسألة عنون الإمام الخالل بقوله: (الرد والإنكار على من وقف في القرآن): وفيما يأتي أنقل بعض النصوص عن الإمام أحمد، فقد سُئل عن: الواقفة؟ قال: "هم شرّ من الجهمية، استروا بالوقف"، وسئل: ما تقول فيمن وقف وقال: لا أقول خالق ولا مخلوق؟ قال: "هو مثل من قال: القرآن مخلوق، وهو جهمي". وسئل: عن رجلٍ من الواقفة يقف في الموضع ويتكلّم، قال: "هذا داعية، هذا جهمي"، لا نشك في هذا". وسئل أيضًا: عن من وقف، لا يقول غير مخلوق؟ قال: أنا أقول: كلام الله، قال: "يقال له: إن العلماء يقولون: غير مخلوق، فإن أبي فهو جهمي"، وقال: "من كان في أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام، فأمسك عن أن يقول: القرآن ليس بمخلوق، فهو جهمي". وقيل للإمام أحمد: أي شيء يقول في القرآن؟ قال: "كلام الله، وهو غير مخلوق"، قلت: إن بعض الناس يحكى عنك أنت تقول: كلام الله وتستكّت. قال: "من قال ذا فقد أبطل"^(٩٦).

ومن المسائل التي أوردها الإمام الخالل مسألة: (محابية الواقفة، وترك السلام عليهم، أو الرد): سُئل الإمام أحمد عن رجل له والدٌ واقفي، فقال: "يأمره ويرفق به"، قلت: فإن أبي، يقطع لسانه عنه؟ قال: "نعم". وسئل الإمام أحمد: سُئلت أبا عبد الله عن رجل له أخت، أو عمة، ولها زوجٌ واقفي، قال: "يلتقى بها، ويسلم عليها"، قلت: فإن كانت الدار له؟ قال: "يقف على الباب، ولا يدخل". وقد سُئل الإمام أحمد عن اللفظية، فقال: "لا يجالسون، ولا يكلّمون". وقيل له فمن وقف؟ قال: "يقال له، ويكلّم في ذاك، فإن أبي هجر"^(٩٧). وقد أفرد الإمام ابن الحوزي (ت ٥٩٧هـ) مؤلًّفًا في: (مناقب الإمام أحمد بن حنبل)، وقد بين فيه عقيدة الإمام أحمد في عددٍ من الأبواب^(٩٨).

وقد نقل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) إجماع العلماء في مسألة أن القرآن كلام الله غير مخلوق^(٩٩) وبين عقيدة أهل السنة والجماعة فيه فقال: "من اعتقد أن المداد الذي في المصحف وأصوات العباد قديةٌ أزليةٌ فهو ضالٌ مخطئٌ مخالفٌ للكتاب والسنة وإنجاتِ السابقين الأولين وسائرِ علماء الإسلام، ولم يقل أحدٌ قطٌ من علماء المسلمين إن ذلك قديمٌ لا من أصحاب الإمام أحمد ولا من غيرهم، ومن نقل قيدهم عن أحدٍ من علماء أصحاب الإمام أحمد ونحوهم فهو مخطئٌ في هذا النقل، أو متعمدٌ للكذب؛ بل المنصوص عن الإمام أحمد وعامة أصحابه تبديعٌ من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق. كما جهّموا من قال: اللفظ بالقرآن مخلوق، وقد صنف أبو بكر المروذى -أخصُّ أصحاب الإمام أحمد به- في ذلك رسالةً كبيرةً مبسوطةً ونقلها عنه أبو بكر الخالل في (كتاب السنة) الذي جمع فيه كلام الإمام أحمد وغيره من آئمة السنة في أبواب

(٩٥) السنة، للخلاف، (١٢٥/٥-١٢٨).

(٩٦) المرجع السابق، (١٢٩/٥-١٤٣).

(٩٧) المرجع السابق، (١٤٣/٥-١٤٦).

(٩٨) مناقب الإمام أحمد، لابن الحوزي، (ص ١٠٦-١٥٠).

(٩٩) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (١٢/٢٣٧-٢٣٩).

الاعتقاد، وكان بعض أهل الحديث إذ ذاك أطلق القول بأن لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ معارضه لمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، بل ذلك الإمام أحمد، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً وبذع من قال ذلك، وأخبر أن أحداً من العلماء لم يقل ذلك، فكيف يزعم أن صوت العبد قديم! وأصبح من ذلك من يحكي عن بعض العلماء أن المداد الذي في المصحف قديم، وجميع أئمة أصحاب الإمام أحمد وغيرهم أنكروا ذلك، وما علمت أن عالماً يقول ذلك إلا ما يبلغنا عن بعض الجهال: من الأكراد ونحوهم، وقد ميز الله في كتابه بين الكلام والمداد فقال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَّدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِإِثْلِهِ مَدَادًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، فهذا خطأ من هذا الجانب، وكذلك من زعم أن القرآن محفوظ في الصدور كما أن الله معلوم بالقلوب، وأنه متلو بالألسن كما أن الله مذكور بالألسن، وأنه مكتوب في المصحف كما أن الله مكتوب، وجعل ثبوت القرآن في الصدور والألسنة والمصاحف مثل ثبوت ذات الله تعالى في هذه الموضع؛ فهذا - أيضاً - خطأ في ذلك؛ فإن الفرق بين ثبوت الأعيان في المصحف وبين ثبوت الكلام فيها بين واضح؛ فإن الموجودات لها أربع مراتب: مرتبة في الأعيان، ومرتبة في الأذهان، ومرتبة في اللسان، ومرتبة في البناء. فالعلم يطابق العين، واللفظ يطابق العلم، والخط يطابق اللفظ، فإذا قيل: إن العين في كتاب الله كما في قوله: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوْهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢]، فقد علم أن الذي في الزبر إنما هو الخط المطابق لللفظ المطابق للعلم، وبين الأعيان وبين المصحف مرتبان، وهي اللفظ والخط، وأما الكلام نفسه فليس بينه وبين المصحف مرتبة، بل نفس الكلام يجعل في الكتاب، وإن كان بين الحرف الملفوظ والحرف المكتوب فرق من وجه آخر، إلا إذا أرد أن الذي في المصحف هو ذكره والخبر عنه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] (١٠٠).

المطلب الخامس:

موقف المستشرقين ومقلديهم من المفكرين العرب والمسلمين من المحنـة

تعددت مواقف المستشرقون من المحنـة على موقفين فال الأول وهم من دافعوا عن فرقـة المعتزلة و أعجبوا بها وبآرائـها العقلـية المعادية للكتاب والسنة وعقـيدة أهل السـنة والجماعـة، وقد تحـاملوا في نـقل تراـثـهم - الفلـسـفة اليـونـانية - إلى العـرب - و زـعمـوا - "أن يـغـروا شـعـوبـا جـديـدـاً، ويـكـسـبـها لـنـفـسـهـ شـيـئـاً فـشـيـئـاً وـبـقـوـةـ مـتـزاـيدـةـ،...، فإـنهـ كانـ لاـ بـدـ لـلـطـبـقـةـ الـحـامـلـةـ لـمـشـعـلـ الـحـضـارـةـ الـهـلـيـنـيـةـ فـيـ الشـرـقـ مـنـ أـنـ تـصـبـحـ إـسـلـامـيـةـ، وـ "الـبـلـادـ الـتـيـ فـتـحـهاـ العـربـ كـانـتـ شـعـوبـاـ هـلـيـنـيـةـ أـسـاسـاـ" (١٠١) ثم دـخـلـهـاـ إـسـلـامـ بـعـدـ ذـلـكـ، وـبـمـذـاـ تـكـوـنـ قدـ اـمـتـزـجـتـ الـرـوـحـ الـيـونـانـيـةـ

(١٠٠) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٣٧-٢٣٩/١٢).

(١٠١) ظهر التراث الهلـيـنـيـ المـتأـخـرـ عـلـىـ الشـعـوبـ الـهـلـيـنـيـةـ فـيـ صـورـةـ الـمـسـيـحـيـةـ الـشـرـقـيـةـ وـالـيـهـوـدـيـةـ الـلـاحـقـةـ عـلـىـ التـوـرـاـةـ ثـمـ فـيـ صـورـةـ الـمـانـوـيـةـ وـالـزـرـادـشـيـةـ الـمـشـبـعـةـ بـرـوحـ الـيـونـانـيـةـ.

والروح الشرقية مع بعضهما، وقد حارب أهل السنة والجماعة -دينياً وسياسياً- دخول أفكار الغنوصية^(١٠٢) في دينهم، وهي تلك الأفكار التي أدخلها المعتزلة وهي الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين، وعني بـ"إيجاد عالم من العلوم الدينية العقلية، وبهذا يكون الإسلام الرسمي قد تحالف إذًا مع التفكير اليوناني والفلسفة اليونانية، وبهذا تكون الفلسفة المخلنية اليونانية قد تغلغلت إلى الإسلام الرسمي على الرغم من محاربة أهل السنة والجماعة لها، إلا أنه -واقعياً وعملياً- قد سمح لها المعتزلة بالتدخل إلى معتقدات الجمهور، ووقفوا بينها وبين مذهبهم"^(١٠٣). وقد مررت مواقف المستشرقين بشكل عام من محنّة خلق القرآن الكريم بمراحل مختلفة، وابتدأت الدراسات الاستشرافية في دراسة الفرق العقدية الإسلامية في تاريخ الإسلام في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد لاحظوا أن المعتزلة يُعلّون من مكانة العقل وينكرون القدر ويقولون: بأن الإنسان مجرّد على فعله، فرأى المستشرقون أن "المعتزلة قريبون من ليبراليتهم الغربية من حيث تعظيمهم للعقل وقوّلهم بحرية الإنسان، فكان المعتزلة يُحسّد آراء المستشرقين في تاريخ التراث الإسلامي، بل كان المعتزلة النسخة الفكرية من الليبرالية^(١٠٤) الغربية في عصر السلف الصالح"^(١٠٥).

وقد أقرَّ الفريق الأول من المستشرقين بشكلٍ صريح بإعجابهم وميلهم لآراء المعتزلة دون مراعاتهم للإنصاف والصدق في الدراسات الاستشرافية، فقد صرّح بذلك المستشرق النمساوي (الفرد فون كير): "بأن الشرق قد كشف لنا النزاع الفكري ذاته بين الحافظين والليبراليين، ...، وهو كما نسميه في لغتنا الحديثة، أو كما كان يسميه العرب قبل آلاف السنين: بين أهل السنة والمعتزلة"، بل أصبحت الليبرالية والمعتزلة شكلاً من أشكال الترافق اللغوي في خطاب الحقبة الاستشرافية في (القرن التاسع عشر الميلادي).

وتردّد هذا الربط بين (الليبرالية) و (المعتزلة) حتى لدى من اعتبروا عناءً خاصةً بالمعزلة في تلك المرحلة^(١٠٦)، وقد صوَّر المستشرق "مونتغمري وات" شيوخ هذه المفهوم لدى مستشرقي القرن التاسع عشر، وأفاد بوصول الدراسات الاستشرافية إلى "حدّ التطابق الكامل بين الفكرين المعتزلي والليبرالي في أوروبا القرن التاسع عشر"^(١٠٧).

(١٠٢) الغنوصية: وهو اسم يطلقه النصارى على فرق عدديدة، تجمع في عقيدتها بين إثنين أو أكثر، وتبني مطالبتها على المعرفة.

[/https://dorar.net/adyan/357](https://dorar.net/adyan/357)

ينظر: الملل والنحل، للشهريستاني، (٢/١٦).

(١٠٣) ينظر: تراث الأوائل في الشرق والغرب، لكارل هيترش بكر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (ص ٥-١٣).

(١٠٤) الليبرالية: هي مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية و (Libéralisme) في الفرنسية، وهي تعني التحررية، ومعناها الحرية، وهي: "منصب سياسي فلسفى يقر أن وحدة الدين ليست ضرورة للتنظيم الاجتماعى الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأى والاعتقاد".

ينظر: المعجم الفلسفى، جميل صليبا، (١/٤٦٤-٤٦٥).

(١٠٥) القضاء والقدر في فخر الإسلام وضحاياه القرون الثلاثة الأولى، مونتغمري وات، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، (ص ١٢١).

(١٠٦) ينظر: القضاء والقدر في فخر الإسلام وضحاياه القرون الثلاثة الأولى، مونتغمري وات، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، (ص ١٢١).

(١٠٧) المرجع السابق، (ص ١٢١).

وفي نهاية القرن التاسع عشر، ابتدأ ظهور أهل الموقف الثاني من المستشرقين وهم من درس المخنة بموضوعية ودون التحيز للمعتزلة ولآرائهم فقد نشر المستشرق (ولتر باتون) عام ١٨٩٧ م رسالته لدكتوراه بعنوان (أحمد بن حنبل والمخنة)، وتعُد دراسته هذه أول دراسة تخصصت وتوسّع حول مهنة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، وأبرز ملامحها: "أنّا قد اعتمدنا على المعطيات التاريخية الإسلامية، ورجعت للمصادر والمراجع، وقد قلل الباحث فيها من التحليلات التخيالية للمستشرقين من أهل الموقف الأول، وهي تلك التي تسعى إلى إكراه المعطيات التاريخية وتحجّيرها إلى أفق دلائل آخر"^(١٠٨). وقد انتهت دراسته بتبيّن تفسير للمخنة يستوعب جميع أطرافها، وتعُد دراسته من أقل الدراسات الاستشراقية تحيّراً في موضوع المخنة، وقد اشتهرت بين المستشرقين، بل كان لها الصدارة بين الدراسات في موضوع المخنة، ومنّا ثنى عليها من المستشرق جولدسيهير فقال: "وقد صوّر عام ١٨٩٧ م عامًّا أمريكيًّا، وهو ولتر باتون، في مؤلّف قيّم، سَيِّرَ هذه الحركة التفتيشية العقلية فيما يختص بأحد ضحاياها الشهيرين، معتمداً على الوثائق القيمة: الاضطهادات التي قاساها الرجل الذي صار اسمه الشديد بالإيمان، وهو الإمام أحمد بن حنبل"^(١٠٩)، وقد بقي المستشرقون زميّاً مديداً يبدؤون بدراسة باتون في دراسة مخنة الإمام أحمد وما يتصل بها، وقد كانت دراسة باتون عاملاً مهماً في كشف ما قام به المعتزلة تفصيليًّا، وقد ذكر المستشرق جولدسيهير تساؤلاً وهو : "هل يمكن أن نسمّي المعتزلة أحراراً؟" وقد أجاب عن تساؤله بأنه: "يجب أن نأبى عليهم هذه التسمية..." وبرره بقوله: "وذلك لأنّه حينما كان للمعتزلة الحظُّ الأوفر في أن يكون مذهبُهم هو المذهب الرسمي في عهد الخلفاء الثلاثة العباسيين، وقد فرض فيه مذهبُ المعتزلة على الناس بالقوّة وبالتفتيش وبالتحقيق وبالإرهاّب"^(١١٠).

واستمر الموقف الثاني للمستشرقين في القرن العشرين وهو الموقف السليبي ضد المعتزلة في ما كتبه المستشرق نيرج في "دائرة المعارف الاستشراقية الأولى" عام (١٩٣٤)؛ حيث لَّحَّصَ النتائج النقدية الجديدة الاستشراكية حول مشاركتهم في الاضطهاد، وأنّ هذا يتنافي مع فكرة الحرية في الليبرالية"^(١١١) ، قال المستشرق مونتغمري وات في تصويره تأثير دراسة المستشرق نيرج: "لقد ذهب هؤلاء الدارسون في كثير من الحالات إلى حدّ التطابق بين الفكرتين المعتزلي والليبرالي في أوروبا في القرن التاسع عشر... وقد أدى أعمالُ الدكتور "نيرج" ، إلى تخليصنا من هذه الأوهام"^(١١٢)، ففي هذه الفترة أزال المستشرقون عن المعتزلة صفة "العقلية العلمية" و"الحرية الليبرالية". وبعد المستشرق "نيرج" بقيت صورة المعتزلة مهزوزةً في عقول المستشرقين إلى نهاية السبعينيات في

(١٠٨) ينظر: أحمد بن حنبل والمخنة، ولتر باتون، ترجمة: عبد العزيز الحق، (ص ٤٨-٢٦٣).

(١٠٩) ينظر: المرجع السابق ، (ص ١٠٣).

(١١٠) ينظر: المرجع السابق ، (ص ١٠٥).

(١١١) ينظر: القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحايا القرون الثلاثة الأولى، مونتغمري وات، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، (ص ١٢١).

(١١٢) القضاء والقدر في فجر الإسلام وضحايا القرون الثلاثة الأولى، مونتغمري وات، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، (ص ١٢١).

القرن العشرين" (١١٣).

وعاد موقف الفريق الأول من المستشرقين بالبروز مرة آخرى على يد المستشرق الألماني "جوزيف فان إس" المتخصص في علم الكلام، فقد كان منحازاً جداً للمعتزلة في طرحة، وقد أراد قلب الصورة التاريخية، وتحويل المعتزلة إلى صحيحة، وعليه فقد نفى صفة الاعتزال عن أي شخصٍ ممن شارك في التعسف من المعتزلة ورمى عبء المخنة على عددٍ من الشخصيات الجهمية المرجئة^(١١٤).

وقد سعى بشكل عام لإظهار من يقول بخلق القرآن من غير المعتزلة للهدف ذاته، وهو البحث عن متهمين آخرين لكي يُلقي عليهم عبء المخنة، وتخرج المعتزلة منها بأقل الأضرار، إضافةً إلى أن مادته العلمية في أبحاثه ليست من المصادر الرئيسية "بل مصادرها معتمدة على كتب التاريخ والتراجم والأدب والرحلات وفهارس الوراقين".

وفيما يأتي ملخصٌ أهم عناصر أبحاث "جوزيف فان إس" ، وهي: أن المعتزلة لم يشاركا في المخنة، وأن المؤمنون (ت ٢١٨ هـ) لم يمكنهم من السلطة، وأن الشخصية الرئيسية في المخنة هو الجهمي بشر المريسي، وأن من دخل من المعتزلة في المخنة إنما كان يقوم بواجباتِ وظيفته فقط، وأن بقية المعتزلة هم من الصوفية^(١١٥) المجانين للسلطان، وأن ابن أبي ذاود كان طيباً يخفى من المخنة، وأن الخنابلة هم من ضحّموا البلاء الذي أصاب الإمام أحمد من المخنة، كما ادعى أن الروايات التاريخية السننية متضاربة، وشكك في عدد جلدات الإمام أحمد ، بل ادعى أن الإمام أحمد رضخ وأقرَّ بأنَّ القرآن مخلوقٌ، وأنَّ المغزى الحقيقي للمخنة ليس صراعاً وخلافاً عقدياً، بل هو محاولةٌ من المؤمنون (ت ٢١٨ هـ) كسر سلطة أهل السنة. ونستنتج من ذلك: "تبير المعتزلة من العار في المخنة، والتشكيك في شجاعة الإمام أحمد، وتسيس المخنة"^(١١٦).

وما شكّك به المستشرقون: الفروق في روايات المخنة، ومنها الاختلاف في عدد الجلدات التي عُدّب بها الإمام أحمد بهدف التقليل من البلاء الذي أصابه ، وأنه من تضخيم الخنابلة، وفي هذا يقول المستشرق اليهودي "نرود هور فيتز": "الدراسات المعاصرة للمخنة قد وصلت الاهتمام بالمصادر والمراجع السننية والحنبلية، وقد وصلت إلى رؤية مهمّة بهذه الدراسات". إضافةً إلى أن المستشرقين اهتموا الإمام أحمد وعائلته

(١١٣) المرجع السابق ، (ص ١٢١).

(١١٤) الجهمية المرجئة: هم طائفة بدعاية كلامية، سبب تسميتهم بهذا الاسم أنهم يؤخرون العمل عن الإيمان، من بدعهم: القول بأن الإيمان مجرد قول بلا عمل، ويقولون بتعطيل الصفات عن الله تعالى، فالجهمية طائفة من فرقة المرجئة.

ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص ١٨٧)، الملل والنحل، للشهريستاني، (١/٦٨).

(١١٥) الصوفية: اختلف الباحثون في اشتقاء كلمة الوانصوفية، والراجح أنها مشتقة من الصوف. والصوفية هي تيار ديني منحرف في التناول الفكري والعقدي، طريقهم في ذلك التأويل الباطني متسترين عليه باسم أعمال القلوب والروحانيات، مرادهم بذلك الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة. ينظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً، صابر طعيمة، (ص ٣١-٣٢).

(١١٦) ينظر: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة - الجزء الأول، فان اس، ترجمة د. سالمه صالح، (١/١٣).

بأنهم فَبَرَكُوا الْحَنَّةَ حَتَّى يَتَمْ تَبْرِئَةُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ يَتَمَلَّقُ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ (ت ٢٢٧ هـ) وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ اخْتَذَ قَرَارَهُ عَلَى أَسَابِيلِ الدُّولَةِ، وَلَيْسَ عَلَى أَسَابِيلِ عَقَائِدِهِ^(١١٧).

وقد بين المستشرق الأمريكي "مايكيل كوبرسون" التطور في فكرة اهتمام الإمام أحمد بأنه استسلم^(١١٨)، ومن أكثر اعتذارات المستشرقين غرابةً اعتذارهم للمعتزلة بأنهم دخلوا في امتحان الناس بخلق القرآن بسبب قيامهم بواجباتهم الوظيفية وليس عن دافع عقدي^(١١٩).

وحقيقةً إنَّ أطروحة المستشرقين في تسييس الحنة تغلغلت في الاستشراق، وقد أجمع المستشرقون فيما نقله "ولتر باتون" على تسييس بوعث وأسباب وداعِيَ المأمون (ت ٢١٨ هـ) في إشعالِ الحنة، حيث نقل إجماع جميع الباحثين الأوربيين بنسبةٍ سبب كلٌّ من الخليفتين: المأمون والمتوكل (ت ٢٤٧ هـ) في الحنة، على اختلاف منهجيهما فيها إلى بوعث وداعِيَ سياسية^(١٢٠).

ولقد قللَ بعضُ المفكّرين العرب والمسلمين موقفَ المستشرق "فان إس" السليبي مِنْ مهنة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) أمثالَ الأستاذِ رضوان السيد، تلميذِ المستشرق "فان إس"^(١٢١)، وفهمي جدعان، فقد أعدَا بحوثًا عن المعتزلة وخلق القرآن، وقد درس فهمي جدعان تحت إشراف "فان إس" وعمل معه، وقد بدأ بتأليفِ كتابٍ حول مهنة الإمام أحمد والمعزلة، وهو عبارةٌ عن آراء "فان إس" حول الحنة، وقد أسماه: "الحننة": بحث في جدلية الدين والسياسي في الإسلام" وقد نُشر في عام ١٩٨٩ م^(١٢٢)، وقد بينَ في مقدمته الغرضَ مِنْ كتابِهِ، وهو: "تبَرِئَةُ الْمَعْتَزِلَةِ مِنْ عَارِ الْحَنَّةِ، وَتَسْيِيسُ مُحَرَّكَاتِ الْحَنَّةِ" يقول: "إنني أسير تمامًا في الاتجاه المعاكس لمجرى التيار، وذلك عند أمرين اثنين على الأقل: الأول: أنني أريد أن أتّأبّل بالمعزلة نأيًا يشبهه أن يكون تمامًا عن عملية الامتحان التي تُسبّب إليهم... الثاني: أنني أريد أن أنظر في مسألة الحنة لا بما هي قضية كلامية أو اعتقادية حالصة، وإنما بما هي حالة تبيّن صيغة العلاقة بين السلطة والطاعة"^(١٢٣)، وقد أراد بتأليفه هذا الكتاب "مذهبًا جديداً في النظر إلى مادة التراث"^(١٢٤)، ثم ما إن أنهى فهمي جدعان مقدمته هذه حتى نقل الفكرة الأساسية لـ"فان إس" في تبرئة المعتزلة مِنْ الحنة، وتحميلِ تبعتها للجهنمي بشر المريسي، كما هي تمامًا فقال: "وَمَمَا الْمَعْتَزِلَةُ فَلَيْسَ لَدِينَا أَيُّ دَلِيلٍ عَلَى أَيِّ دُورٍ لَهُمْ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ (ت

Two Abbasid trials: Ahmad Ibn Hanbal and Hunayn b Ishaq, Coopersson,p ,385 (١١٧)

.Ibid: p :375 (١١٨)

Ibn Kullab und die Mihna,Oriens(18-19,1965-1966).p.133 (١١٩)

(١٢٠) ينظر: أحمد بن حنبل والحننة، ولتر باتون، ترجمة: عبد العزيز الحق، (ص ١٧٩ - ١٨٠).

(١٢١) ينظر: المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، سعيد النيسابوري، (ص ٣).

(١٢٢) ينظر: الحنة: بحث في جدلية الدين والسياسي في الإسلام، فهمي جدعان، (ص ١٨).

(١٢٣) المرجع السابق، (ص ١٨).

(١٢٤) الحنة: بحث في جدلية الدين والسياسي في الإسلام، فهمي جدعان، (ص ٥٣).

٢١٨)... والحقيقة أن كلّ القراءن تدلّ على أنّ الجهمي بشرًا المريسي هو "الشيطان" في بدعة خلق القرآن"^(١٢٥)، وقد تبيّنَ فهمي جدعان أفكار المستشرق "فان إس" في التناقض الوارد -بزعمهم- في عدد الجلدات التي مجلد بها الإمام أحمد؛ وذلك بهدف التهويين من البلاء الذي أصابه فقال: "إذ يذكر بعضهم أنّه قد ضرب ثمانين سوطاً، ويذكر آخر أنّه قد ضرب ستة وثلاثين، ويورد ثالث: أنّه قد ضرب ثمانية وثلاثين سوطاً، ويبالغُ بعضهم فيتكلّم على خمسين ومائة حلة... و على كلّ حال فإنّها مسألة غير جليلة لكنّها تدلّ على أنّ محنة الإمام أحمد لم تكن حقاً جسيمةً، وأنّ ما جرى له لا يتناسب إطلاقاً مع تلك الضجة التي أثارها أصحاب وسائل الاتصال والبثّ الحنبليّة"، وقد وصف أهل الإمام أحمد بن حنبل بأنّهم قاموا بعملٍ دعائيٍ وهو تضخيم المحنة، يقول: "من الواضح أنّ أقرباء وأبناء الإمام بن حنبل - صالحًا وحبلاً على الخصوص - هم الذين أفضوا وزادوا القول في محنة الإمام، بل توسعوا فيها، ثم جاء كتاب سير الحنابلة بعد ذلك ليزيدوا فيها على نحوٍ مثيرٍ، بل خيالي"^(١٢٦)، وقد اعتذر فهمي جدعان عن المعتزلة وعن ابن أبي دؤاد أئمّهم كانوا يقومون بمهام أعمالهم، فقال: "حالات أخرى لمعتزلة واقعية، قد عملوا في خدمة السلطان بتراهةٍ وتجويدٍ، والأرجح أن يكون مبدأ عملهم هو التسليم والعمل بالواقع القائم على علاته، والعمل على أن يكون على أفضل صورة ممكنة، وهذا هو بلا شكّ حائل للمعتزلة الذين استخدمتهم الخلافة في الدواعين"^(١٢٧)، أحمد بن أبي دؤاد ودافع عنه ووصفه بالرجل الورع وأنّ مذهب العقديّ هو أنّه جهميٌ وليس معتزليًّا^(١٢٨).

يتّضح مما سبق: أنّ فهمي جدعان في موقفه من المحنة قد تبيّنَ ونقل فيها آراء المستشرق "فان إس".

وختاماً فإنّ فهمي جدعان حَوَّلَ محنة الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) من مسألة عقدية خلافية إلى مسألة جدلية تاريخية بحسب زعمه^(١٢٩). وبعد صدور كتاب فهمي جدعان السابق الذكر بسنواتٍ كتب المفكّر محمد عابد الجابري الذي تبيّنَ نفس أفكار فهمي جدعان عام (١٩٩٥ م) سلسلةً من المقالات عن محنة الإمام أحمد بن حنبل، وكتب بشكلٍ صريح بأنه سيأخذ ببعضها من النصوص التاريخية التي كتبها فهمي جدعان في كتابه السابق، وقد جمع المفكّر محمد عابد الجابري هذه المقالات في كتابٍ سماه: "كتاب المثقفون في الحضارة: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد"، يقول مبيّناً مصدره وأهدافه من الكتاب: "أَمَّا نحنُ الظِّينَ اسْتَفَدْنَا مِنْ دراسةِ فهمي جدعان، وبكيفيّةٍ خاصّةٍ مِنْ نصوصه الكثيرة والمفيّدةِ التي في كتابه، فإنّا لا نريد أن نكرر ما حقّقه... وإنّا نريد تفسير هذه المحنة بما يجعلها بصورةٍ معقولَةً وذلك بالكشف عن أساليبها وتعريّة ملابساتها"^(١٣٠)، وكتابُ الجابري لا يختلف بتاتاً عن كتاب فهمي جدعان إلّا بطريقَةٍ ترتيبية.

(١٢٥) المرجع السابق ، (ص ٩٢).

(١٢٦) المرجع السابق ، (ص ١٧٠-١٧١).

(١٢٧) المرجع السابق ، (ص ٢٨١).

(١٢٨) المرجع السابق ، (ص ٣٠٥-٣٠٦).

(١٢٩) المرجع السابق ، (ص ٣٢٣-٣٩٨).

(١٣٠) المثقفون في الحضارة: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، محمد عابد الجابري، (ص ٨٩).

وفي سنة ٢٠١٩ م كتب رائد السمهوري كتاب: "السلف المتخيل: مقاربة تاريخية تحليلية في سلف المخنة؛ أحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل المتخيل"، وقد ذكر الباحث موضوع الكتاب في مقدمته، وهو الإجابة عن السؤال الآتي: "هل مفهوم السلف يعبر عن جماعةٍ حقيقةٍ أم متخيلة؟ إذ دائمًا ما يُحتج بالسلف الصالحة وأفعالهم على الإطلاق، من دون تمييزٍ بين متّفقٍ عليه وهو موطن إجماعٍ، ومتّختلفٍ فيه وهو محلٌّ نظرٍ واجتهاد، ويتحذّل الكاتب ما يسمّيه: سلف المخنة، أنموذجًا لدراسته"^(١٣١)، ويدور كتابه حول مخنة الإمام أحمد وفق رؤية الحداثيين العرب، وقد استمدَّ مادَّته العلمية من المستشرقين.

الخاتمة

تشتمل الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- أثّرت ترجمة كتب الفلسفة اليونانية على تشكيل آراء فرق المعتزلة، كما تأثّرت أيضًا بمخالفطة غير العرب من الفرس والعجم واليهود والنصارى، وقد ظهر تأثّرهم جليًّا في استخدامهم موضوعات الفلسفة اليونانية ومفرداتها: كالحركة والسكنون والجوهر والعرض.
- ابتدأت مخنة خلق القرآن الكريم في عصر الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ)؛ وذلك بسبب اتصاله بعدِّ علماء المعتزلة وتأثّره بهم، حتى أعلن صراحةً القول بخلق القرآن الكريم، وقد أجبر الناس على الإيمان بمذهب المعتزلة، والقول بخلق القرآن الكريم.
- تبنَّى المعتزلة مسألة القول بخلق القرآن الكريم على أصل التوحيد لديهم، وتقوم شبّهُهم على أنَّهم خلطوا بين أنواع توحيد الربوبية والألوهية، بحيث جعلوا توحيد الربوبية هو الغاية من الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعلوا توحيد الألوهية معنى القدرة على الاختراع، وقد أخطأوا بذلك، وبالغوا في الغلو حتى إنَّهم كفروا مَن يخالفهم.
- شابت آراء المعتزلة في الصفات آراء الفلسفه اليونانيين، وخاصةً الفيلسوف أكسيونوفان، وأفلوطين ببني الصفات طلباً للتنتزه وعدم جواز إطلاق الصفات على الإله؛ وبهذا يتبيَّن التشابه الكبير فيما يتعلق بإثبات الصفات لله تعالى الذاتية والفعالية بين المعتزلة والأفلاطونية المحدثة، من حيث تفضيل طريقة النفي، أي إضافة السُّلوب لله -تعالى الله عن ذلك-.
- يُعدُّ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) من أبرز علماء المعتزلة، وقد أجمع العلماء على ذلك، وقد برع دوره في عرضه لمخنة الإمام أحمد بن حنبل وكونه من المعاصرين لها، وقد تولَّ فيها الدور الإعلامي للمعتزلة ومناصرهم في المخنة، إضافةً إلى أنَّ المستشرقين اعتمدوا على روایاته في نقلهم أحاديث المخنة.
- مثل الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) موقفَ أهل السنة والجماعة من مخنة خلق القرآن، وقد أنكر القول بخلق القرآن، وأثبت أنَّ القرآن كلامُ الله، وهو صفةٌ من صفاتِه غير مخلوق، وأنَّ القول بخلقِه بدعةٌ.

(١٣١) ينظر: السلف المتخيل: مقاربة تاريخية تحليلية في سلف المخنة، أحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل المتخيل، رائد السمهوري/المقدمة، (ص ٧).

وقد ناظر المعتزلة في ذلك وثبت على موقفه حتى نصر الله به السنة.

- تعددت مواقف المستشرقين من الحنة فالفريق الأول من وقف مدافع عن فرق المعتزلة والمعجب بها وبآرائها العقلية المعادية للكتاب والسنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، وأما الفريق الثاني من وقف بشكل موضوعي تجاه الحنة وبين الموقف السليبي للمعتزلة في الحنة.
- مرّ موقف المستشرقين من حنة خلق القرآن الكريم بمراحل مختلفة، وقد ابتدأت الدراسات الاستشرافية في دراسة الفرق العقدية الإسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي.
- تبني بعض المفكرين العرب والمسلمين موقف المستشرقين السليبي من حنة الإمام أحمد بن حنبل أمثال الأستاذ رضوان السيد، والمفكر فهمي جدعان، ومحمد عابد الجابري، وغيرهم.

المصادر والمراجع

أولاً: العربي منها:

- ابن رشد وفلسفته الدينية، قاسم، د. محمود، ط: ٣، (ب. م)، الأنجلو المصرية، مطبعة مخيم، ١٩٦٩ م.
- ابن سينا بين الدين والفلسفة، غرابة، حمودة، (د. ط)، (ب. ت)، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، (د. ت).
- أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي -دراسة تحليلية نقدية-، نفيسة، د. محمود محمد، ط: ١، بيروت، دار النواذر، ١٤٣١ م.
- أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي في نظر المستشرقين، للباحثين: برکانی، محمد أمین، وآخر، مجلة هیروdotus للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م (٦)، ع (١)، (٢٠٢٢)، ٤٧٩-٥٠٧، الجزائر.
- أثر المعتزلة في الحياة السياسية للدولة العباسية في عهد الخليفة المؤمن (١٩٨١/٢١٨)، خالد مسیر القعیط، (رسالة ماجستير)، الأردن، كلية التربية، جامعة آل البيت، ٨١٣/٨٣٣ م.
- أحمد بن حنبل والحننة، باتون، وولتر، ترجمة: عبد العزيز الحق، مراجعة: محمود محمود، (د. ط)، (د. م)، دار الهلال، (د. ت).
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القسطي، علي بن يوسف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ.
- أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، بلبع، د. عبد الحكيم، (د. ط)، (د. م)، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، (د. ت).
- الأصول الخمسة، الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: د. فيصل بدیر عون، ط: ١،

- الكويت، لجنة التأليف والتعريب والنشر في جامعة الكويت، ١٩٩٨ هـ.
- أصول السنة، ابن حنبل، أحمد بن محمد، ط: ١، الرياض، دار المنار، ١٤١١ هـ.
 - أصول الفلسفة العربية، قمبيز، يوحنا، ط: ٦، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١ م.
 - البداية والنهاية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي، ط: ١، الرياض، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨ هـ.
 - بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد، (د. ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (ب. ت).
 - تاريخ الخلفاء، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط: ١، (د. م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ.
 - تاريخ الرسل والملوك، الطبراني، محمد بن جرير، ط: ٢، بيروت، دار التراث، ١٣٨٧ هـ.
 - تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، كارل، ترجمة: منير البعليكي، ونبية أمين فارس، ط: ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٥ م.
 - تاريخ الفلسفة العربية، فاخوي، حنا وخليل الجر، ط: ٣، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٣ م.
 - تاريخ الفلسفة اليونانية، كرم، يوسف، (د. ط)، يورك، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤ م.
 - تاريخ بغداد، البغدادي، أحمد بن علي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط: ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ هـ.
 - التاسوعات، أفلوطين، ترجمة د. فريد جبر، ط: ١، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧ م.
 - تراث الأوائل في الشرق والغرب، بكر، كارل هيترش، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (د. ط)، (د. ت).
 - التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة، قصاب، وليد، (د. ط)، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٥ هـ.
 - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية - دراسات لكتاب المستشرقين - ترجمة: عبد الرحمن بدوي، (د. ط)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٠ م.
 - التساعية الرابعة لأفلوطين في النفس، دراسة وترجمة: فؤاد زكريا، (د. ط)، مصر، المكتبة العربية، ١٣٨٩ هـ.
 - تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، عبد الرزاق، مصطفى، (د. ط)، يورك، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢١ م.
 - جدل التنزيل مع كتب خلق القرآن للجاحظ، الحيون، د. رشيد، (د. ط)، لندن، منشورات الجمل، ٢٠٠٠ م.
 - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: علي بن حسن،

- وآخر، ط: ٢، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩ هـ.
- الجواحط في الأدب العربي: حياتهم، بيتهن، نتاجهم، موسى، خضر، ط: ١، بيروت، عالم الكتب، ٢٠٠٦ م.
 - الرد على المنطقين، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت).
 - رسالة التوحيد، عبده، محمد، (د. ط)، (د. م)، دار الكتاب العربي، (د. ت).
 - رسائل الجاحظ، الجاحظ، عمرو بن بحر البصري، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: ١، القاهرة، مكتبة الحاجي، ١٣٩٩ هـ.
 - السريان والحضارة الإسلامية، زغلول، د. الشحات سيد، ط: ١، الإسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٧ م.
 - السلف المتخيّل: مقاربة تاريخية تحليلية في سلف المحنّة، أحمد بن حنبل وأحمد بن حنبل المتخيّل، السمهوري، رائد، (د. ط)، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٩ م.
 - السنة، الخالل، أحمد بن محمد، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط: ١، الرياض، دار الراية، ١٤١٠ هـ.
 - سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: ٣، (د. م)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ.
 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، هبة الله بن الحسن، تحقيق: أحمد الغامدي، ط: ٨، المملكة العربية السعودية، دار طيبة، ١٤٢٣ هـ.
 - شرح العقيدة الطحاوية، الحنفي، ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، تحقيق: جماعة من العلماء، تحرير: ناصر الدين الألباني، ط: ١، الرياض، دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٦ هـ.
 - الصوفية معتقداً ومسلكاً، طعيمة، د. صابر، ط: ١، ١٤٠٥ هـ، (د. م)، (د. ن)، (ب. ت).
 - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: علي سامي النشار، وآخر، ط: ٢، بيروت، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٠ م.
 - ضحي الإسلام، أمين، أحمد، ط: ٧، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، (د. ت).
 - طبقات المعتزلة، ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، تحقيق: سوسنه ديفشلدل، وفلزر، (د. ط)، بيروت، جمعية المستشرقين الألمان، ١٣٨٠ م.
 - العقد الفريد، ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.
 - العقيدة والشريعة، تسبيهر، جولد، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرين، ط: ٢، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٩٥٩ م.
 - علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة - الجزء الأول، اس، فان، ترجمة: د. سالمة صالح، مراجعة وتقييم: د. محسن الدمرداش، (د. ط)، منشورات الجمل، (د. ن)، ٢٠١٩ م.

- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، الخزرجي، أحمد بن القاسم، تحقيق: نزار رضا، (د. ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د. ت).
- فجر الإسلام، أمين، أحمد، (د. ط)، يورك، مؤسسة هنداوي، ٢٠١١ م.
- فجر الفلسفة اليونانية قبل سocrates، الأهواني، أحمد فؤاد، ط:١، (د. م)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤ م.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، ط:٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧ م.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، المعتزلي الأسد آبادي، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: فؤاد سيد، (د. ط)، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ٢٠١٧ م.
- الفلسفة في الشرق، أورسيل، بول ماسون، ترجمة: محمد يوسف موسى، (د. ط)، مصر، دار المعارف، ١٩٤٧ م.
- الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط:٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧ هـ.
- القضاء والقدر في فجر الإسلام وضاحه القرون الثلاثة الأولى، وات، مونتغمري، ترجمة: د. عبد الرحمن الشيخ، (د. ط)، (د. م)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ م.
- كتاب الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، تحقيق: عبد الله القاضي، ط:١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.
- كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحاج.. رسائله نموذجاً، سلمان، علي محمد علي، (د. ط)، البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠ م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٤١ م.
- بمجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ.
- مهنة الإمام أحمد بن حنبل، المقدسي، عبد الغني، تحقيق: عبد الله التركي، ط:١، الجيزة، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، ١٤٠٧ هـ.
- المهمة: بحث في جدلية الدين والسياسي في الإسلام، جدعان، فهمي، ط:٣، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٤ م.

- المختصر في أخبار البشر، الملك المؤيد، إسماعيل بن علي شاهنشاه بن أئوب، ط: ١، (د. م)، المطبعة الحسينية المصرية، (د. ت).
- مروج الذهب ومعادن الجواهر، المسعودي، أبي الحسن بن علي، اعنى به: كمال حسن مرعي، ط: ١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥ هـ.
- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، النيسابوري ، سعيد بن محمد، تحقيق وتقديم: معن زيادة، و رضوان السيد، ط: ١، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٩ م.
- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، ابن سعيد، سعيد بن محمد، تحقيق وتقديم: معن زيادة، و رضوان السيد، ط: ١، (د. م)، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٩ م.
- المعتزلة، جار الله، زهدي، (د. ط)، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٧ م.
- المعجم الفلسفی، صلیبا، جیل، (د. ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ م.
- الملل والنحل، الشهري، محمد بن عبد الكريم، (د. ط)، (د. م)، مؤسسة الحلبي، (د. ت).
- مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: ٢، الدمام، دار هجر، ١٤٠٩ هـ.
- مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، عليو، د. محمد الشيخ، ط: ١، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٧ هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط: ١، الرياض، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
- المنية والأمل، ابن المرتضى، جمعه أحمد بن يحيى، تحقيق: عصام الدين محمد علي، (د. ط)، (د. م)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٥ م.
- الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقرizi، أحمد بن علي بن عبد القادر، ط: ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.
- موقف ابن تيمية من الأشعار، الحمود، عبد الرحمن بن صالح، ط: ١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥ هـ.
- موقف الجاحظ (المعتزي) من الحديث النبوي والصحابة -دراسة نقدية-، حاتمة، ثامر عبد المهيدي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، إسطنبول، مجلد (٢٨)، عدد (٤)، ٢٠٢٠ م، ص ٨٢-١١٣.
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ابن خلkan، أحمد بن محمد، تحقيق: إحسان عباس، ط: ١،

بيروت، دار صادر، ١٩٠٠ م.

- الولاة وكتاب القضاة، الكندي، عمر محمد، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزیدي، (د. ط)، (د. م)، (د. ن)، (ب. ت).

- يانع الأزهار مختصر طوالع الأنوار في علم الكلام، العبد، سليمان، (د. ط)، مطبعة هندية، مصر، (ب. ت).

ثانيًا: الأجنبي منها:

1- Cooperson، Two Abbasid trials: Ahmad Ibn Hanbal and Hunayn b Ishaq، Al-Qantara، 2001.

2- Hurvrrz، Who Is The Accused? The Interrogation of Ahmad ibn Hanbal، Al-qantara، 2001.

3- Van Ess, Ibn Kullab und die Mihna,Oriens(18-19,1965-1966).

ثالثًا: المواقع الالكترونية:

<https://salafcenter.org/5789/>

<https://dorar.net/adyan/357/>

المنهج الذوقي في الأحكام البلاغية عند السعد التفتازاني في كتابه المطول

د. حمد بن عبدالله سعد العوفي

أستاذ البلاغة المساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة طيبة

المخلص

تتناول هذه الدراسة البحث في أداة بلاغية استُخدِمت لإطلاق الأحكام البلاغية، وتحليل الشواهد، ألا وهي الذوق، في كتاب المطول للسعد التفتازاني، وتحدف دراسة حاكم الذوق في الكتاب المذكور إلى أهداف، هي: إيضاح أهمية الذوق في البلاغة العربية، وبيان منزلة الاحتکام إليه، وبيان مكانة الذوق عند السعد التفتازاني في كتابة المطول، والوقوف على الموضع التي دعا فيها السعد إلى تحكيم الذوق، ودراستها وتصنيفها.

ومن هذه الأهداف جاء سؤال الدراسة فيما يأتي: ما منهج السعد في التعامل مع الذوق في دراسة الأغراض البلاغية؟ وكيف وافق السعد بين الذوق والقاعدة في معالجة المسائل البلاغية؟ وإلى أي حد دعا إلى استخدام الذوق في الأحكام البلاغية؟

وأتبَعْتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وقسمت تلك الموضع على أبواب البلاغة التي وردت فيها، حتى يكون التحليل والدراسة منهجهين؛ مما يعكس على دقة نتائج الدراسة ووضوحها.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة وفقاً لأهدافها ومنهجها تقسيمها إلى: مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، جاء الحديث في المقدمة عن أسباب اختيار الموضوع، وسؤال الدراسة، والمنهج المتبع فيها، وخطتها، ثم تمهيد كان الحديث فيه عن الذوق، تعريفاً، وبياناً لمكانته في البلاغة العربية، ثم تَبع ذلك أربعة مباحث، تَنَوَّعت بحسب تقسيم السكاكي للبلاغة، فحاءت على النحو الآتي: المبحث الأول: حاكم الذوق في بيان مكانة علم البلاغة، والمبحث الثاني: حاكم الذوق في بيان معنى الفصاحة والبلاغة، والمبحث الثالث: حاكم الذوق في مسائل علم المعاني، واشتمل على ثلاثة مطالب: المطلب الأول: الذكر والمحذف، المطلب الثاني: التقديم والتأخير، المطلب الثالث: الإنشاء الظليبي، والمبحث الرابع: حاكم الذوق في قراءة النصوص.

الكلمات الافتتاحية: الذوق، التفتازاني، المطول، التذوق، تحليل النص.

The Taste Methodology in the Rhetorical Rulings of Al-Sa'd Al-Taftazaani in His Book Al-Mutawwal

Dr. Hamad Abdullah Saad Aloufi

Assistant Professor of Rhetoric Arabic Language Department faculty of arts and
humanities Taibah University

Abstract

This study researched into the rhetorical tool used in forming rhetorical rulings, and analysing the proofs -which is the taste, from the book Al-Mutawwal by al-Sa'd al-Taftazānī. The study of the determinant of taste in the mentioned book seeks to clarify the following: the importance of taste in the Arabic Rhetoric, and the status of using it as benchmark, and the position of taste to al-Sa'd in al-Mutawwal, and the places where he called for the use of taste as benchmark, with study and categorization.

Based on these objectives, the question of the research are: what is the approach of al-Sa'd in relating with taste in studying the rhetorical aims? And how did al-Sa'd correlate between taste and principle in solving rhetorical issues? Also, what extent did he call for the use of taste in rhetorical rulings?

The researcher followed the inductive method, and the division followed the topics of Rhetorics mentioned, so that the analysis and the study are according to the extant methodology, which mirrors the precision of the research findings and their clarity.

The nature of the research necessitated dividing it into: an introduction, a preface, and four chapters. The introduction includes the rationale for the topic, and the research question, and the method followed, and its plan, then the preface includes a discussion about taste, by definition, and its place in Arabic Rhetorics, followed by the four chapters, which vary according to al-Sakākī's division of Rhetorics, in the following order: Chapter 1: the determinant of taste in explaining the status of the science of Rhetorics, Chapter 2: the determinant of taste in explaining the meaning of fluency and rhetoric, Chapter 3: the determinant of taste on the issues of the science of Semantics, and it includes three sub-chapters, Sub-Chapter 1: mention and ellipsis, Sub-Chapter 2: forwarding and delaying, Sub-Chapter 3: demand composition, Sub-Chapter 4: the determinant of taste in the reading of texts.

Keywords: Taste, al-Taftazānī, al-Mutawwal, tasting, text analysis.

الحمد لله الذي تفضل علينا وأنعم، تفضل علينا بنعمة الأمان والإسلام، وأنعم علينا بأن جعلنا من خير أمم الأنام، أمّة محمد عليه أفضّل صلاة وأتم سلام وبعد

فإنَّ التأليف في البلاغة العربية مرّ بمراحل متعددة، وأطوار مختلفة، وباختلاف تلك المراحل والأطوار اختلفت مناهج النّظر في النّص العربي، وقد كان لكل مرحلة ما يميزها عن الأخرى، وبقي الدّوق هو الأمر الذي يُحتجُّ إليه في تحديد بلاغة النّص؛ لأنَّ الحَكْمُ الذي يصلح لكل نصٍّ وزمان، وعلى أهميته في بلاغة النّص لم يحظ بدراسات مستقلة كافية ثُبِّين حدوده ومعالمه، وكل من تحدّث عنه كان في حِضَّم دراسة مسائل علم البلاغة، بإشارات متفرقة، وعبارات موجزة، لم تحدّد له حدوداً، ولم توضّح له طريقة.

وعند النّظر في مؤلفات البلاغة العربية عموماً لا نجد أي مؤلّف إلا وتحدّث عن الدّوق، فبيْن مُقلّ ومستكثر، وبين مُنظّر ومُطبق، وكل ذلك يكون تبعاً للهدف من تأليف الكتاب، من هنا جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على كتاب من أجل كتب البلاغة المتأخرة، وذلك بشهادة علماء أفتاذ، ألا وهو كتاب المطول، شرح تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، لسعد الدين التفتازاني، والذي دعاني إلى حوض هذه الدراسة أمور، هي:

ما اتَّهمَ به بعض علماء البلاغة في العصر الحديث السَّعَدَ بإفساد الدّوق العربي، حيث يقول عبد المتعال الصعيدي عن السَّعَد التفتازاني وكتابيه المطول والمحضر: "وكان سعد الدين من علماء العجم الذين تأثروا بالسَّكاكي في طريقته التقريرية، وفي ضَعْفِ أسلوبه لضَعْفِ سليقه العربية، بل كان هو وأمثاله من أئمَّةِ بعد السَّكاكي من علماء العجم أضعف منه ذوقاً أدبياً، وسليقة عربية، فمضوا في الطريقة التقريرية إلى أنْ وصلوا إلى نهايتها في البُعدِ عن الدّوق الأدبي" (١).

ويقول محمد رشيد رضا في مَعْرِضِ حديثه عن إعجاز القرآن الكريم: "فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ مِنْ كِتَابِ الْبَلَاغَةِ إِلَّا مِثْلُ السَّمْرَقْنَدِيَّةِ وَشَرْحِيِّ جَوْهَرِ الْفَنُونِ وَعَقْدِ الْحَمَانِ فَشَرْحِيِّ التَّلْخِيصِ لِلْسَّعَدِ التفتازانيِّ وَحَوَالِيْهِمَا لَا يُرْجِحُ أَنْ يَذُوقَ لِلْبَلَاغَةِ طَعْمًا، أَوْ يَقْيِمَ لِلْبَيَانِ وَزَنًا، فَإِنَّ يَهْتَدِي إِلَى الإِعْجَازِ بِمَا سَبَّيْلًا، أَوْ يُنْصِبَّ عَلَيْهِ دَلِيلًا؟ وَإِنَّ يُرْجِحُ الدّوقَ مَنْ يَقْرَأْ أَسْرَارَ الْبَلَاغَةِ وَدَلَائِلَ الإِعْجَازِ لِإِمامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ" (٢)، ويقول أمين الخلوي في وصيَّةِ للأزهر باستبعاد كتب التفتازاني: "وَاسْتَبَعَدُوا كِتَابَ السَّعَدِ، الَّتِي كَانَتْ مَهْلَكَةً لِلرُّوحِ الْفَنِيَّةِ، وَمَفْسَدَةً لِلْدُّوقِ الْأَدَبِيِّ" (٣).

وهذه الدراسة ستبحث تلك التّهم وتحبّب عنها إجابة علمية، من خلال النّظر في مكانة الدّوق عند التفتازاني، وإلى أيّ حدّ دعا إلى استخدام الدّوق في الأحكام البلاغية؟ وما هو منهج السَّعَد في استخدام

(١) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٩م، ٥.

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٦٨ / ١.

(٣) أمين الخلوي، مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، القاهرة: دار المعرفة، ط١، ١٩٦١م، ٢٥٢.

الذوق في الأحكام البلاعية؟ وكيف وافق السعد بين الذوق والقاعدة في معالجة مسائل البلاعية؟ من هذه الأسئلة المعرفية جاءت هذه الدراسة لتوضح مكانة الذوق عند عالم من علماء البلاعية المتأخرين، الذين وصفوا بالجمود والتعقيد، والذوق يخالف تلك الصفة وينبذها.

منهج البحث.

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، حيث قمت بالاستقراء التام لكتاب المطول للسعد التفتازاني، محل الدراسة، وذلك بجمع مواطن تحكيم الذوق في الغرض والشاهد البلاغي، التي نصّ عليها السعد في كتابه المطول، ثم قمت بتحليل تلك المواطن ودراستها، دراسة يتبيّن من خلالها مكانة الذوق عند السعد، ثم قمت بتقسيم تلك الموضع على أبواب البلاعية التي وردت فيها، حتى يكون التحليل والدراسة منهجاً، مما ينعكس على دقة ووضوح نتائج الدراسة.

خطة البحث:

بعد جمع المادة العلمية، اقتضت طبيعتها تقسيمها إلى ما يأتي:

المقدمة: وفيها سبب اختيار الموضوع، وسؤال البحث، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: وفيه تعريف الذوق، وبيان مكانته في البلاعية العربية.

المبحث الأول: حاكم الذوق في بيان مكانة علم البلاعية.

المبحث الثاني: حاكم الذوق في بيان معنى الفصاحة والبلاغة.

المبحث الثالث: حاكم الذوق في مسائل علم المعاني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الذكر والمحذف.

المطلب الثاني: التقسيم والتآخير.

المطلب الثالث: الإنشاء الظلي.

المبحث الرابع: حاكم الذوق في قراءة النصوص.

التمهيد: تعريف الذوق، وبيان مكانته في البلاغة العربية

تعريف الذوق:

قال ابن فارس: "الذَّال والواو والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو اختيار الشيء من جهة تطعُّم، ثم يُشَتَّتُ منه مجازاً فيقال: دُقْتُ المأكول أذْوَقَهْ ذَوْقاً، ودُقْتُ ما عند فلان: اختبرته"^(١)، هذا تعريف الذوق في اللغة، أما في الاصطلاح فلم يتطرق علماء البلاغة المتقدمين إلى تعريفه، وأقدم منْ عَرَض تعريفه ابن خلدون، حيث عَرَفَه بقوله: "لفظة الذوق يتداولها المعتون بفنون البيان، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان"^(٢)، ويبدو لي أنَّ ابن خلدون حَلَطَ بين المتكلِّم والمتكلَّمي، فمن يتذوق البيان هو المتكلَّمي، أما المتكلِّم فهو منشئ البيان، فالتأذُّق لا يدخل في مجده، وإنما حُسْنُ التأذُّق ينعكس على أدبه إذا تذوق كلام غيره فأثَّرَ فيه، ولكن ابن خلدون عاد فَرَقَ بين المتكلِّم والمتكلَّمي، فقال: "ورما يَدْعُى كثيرٌ من ينظر في هذه القوانين البينية حصول هذا الذوق له بها، وهو غلط أو مغالطة، وإنما حصلت له الملكة إِنْ حصلت في تلك القوانين البلاغية، وليس من ملكة العبارة في شيء"^(٣)؛ لذا فإنَّ تعريف الذوق ليس دقيقاً عند ابن خلدون، ولا أعلم كيف يدخل الذوق في إنشاء النصوص، إلا من الجهة التي ذكرت، وإنْ كان ابن خلدون يرى أنَّ حصول الملكة البلاغية يعين على قراءة النصوص وتحليلها^(٤).

ولعل أدقَّ مَنْ عَرَفَ الذوق من جهة قراءة النصوص وتحليلها هو شوقي ضيف إذ يقول: "هي ملكة تنشأ من طول الإكباب على قراءة الشعر وآثار الأدباء في القديم والحديث، بحيث تصبح استجابة صاحبها لما يقرأ استجابة صادقة"^(٥)، واستعمال الذوق في قراءة النصوص وتحليلها هو من باب الاستعارة، فأصل التأذُّق يكون باللسان للمطعم، ولكن كثُرَ استعمال الذوق مجازاً في غيره، "وهذه الاستعمالات المجازية استعارات مبناتها على تشبيه الإدراك بالتأذُّق، أو تشبيه المُدرِّك بالطعم، وبينهما تلازم، واستعارة اللفظ تخلع على المعنى شيئاً من خصوصياته"^(٦).

(١) أحمد بن فارس الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ٢/٢٦٤.

(٢) عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، ط١، دمشق: دار يعرب، ٢٠٠٤م، ٢/٣٨٧.

(٣) المرجع السابق، ٢/٣٨٩.

(٤) انظر: يوسف بن عبدالله العليوي، القضايا البلاغية لدى ابن خلدون، مجلة العلوم العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: الثالث والعشرون، ربيع الآخر، ١٤٣٣هـ، ٢١٠.

(٥) شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، القاهرة: دار المعارف، ٧٢، ٦٢.

(٦) ياسر بن محمد بابطين، التأذُّق منهجاً للتلقي وصناعة المعرفة، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٤٦، العدد: إبريل ٢٠٠٨م، ٨٠١.

ومن خلال هذا التعريف نستطيع القول بأنَّ مهارة التَّذوق تدرج تحتها مهارتاً ثُعْدِيَانَ التَّذوق وتعينان على تحويده وترقيان بأحكامه وتصوراته، وهما مهارتاً: التَّحليل والاستباط، فبهما يكون التَّذوق، وبحسن تعامل قارئ النصوص مع هاتين المهارتين يكون حُسْنَ تذوقه، فعملية التَّذوق تبدأ بتحليل النص الأدبي، ثم الاستباط من هذا التَّحليل، ثم ربط النتائج بعضها، وهذه العملية تحتاج إلى دعائم تستند إليها من معرفة باللغة ومعاني المفردات، والروابط التي تربط الجمل، وترتيب الجملة العربية، وما أحدثه كاتب النص في هذا الترتيب من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وغيرها من الأبواب البلاغية التي تحدث عنها علماء البلاغة، وبخاصة في علم المعاني، ثم مراعاة المقام.

من هنا يمكن القول بأنَّ عملية التَّذوق ليست ثابتة، وإنما تنموا مع الإنسان كلما غَدَّها بروافدها، وأكثر من ممارستها، وتحبُّو وتَضَعُفُ كلما قَلَّ إعمالها، وأهْمِلَت معاهدتها، أو عُذِّيت بما يُفْسِدُها.

مكانة الدُّوق في البلاغة العربية

للذوق أهمية كبرى في تحليل النصوص وقراءتها، فعليه اعتمد علماء بلاغة الخطاب في تحليل الخطاب، وقد فَطَّنَ علماء العربية منذ بدايات التأليف إلى أهميته، وأهمية تشقيقه، فعبدالقاهر الجرجاني يجعل الذوق أحد أهم الركائز التي يعتمد عليها لإدراك مزية الكلام وبلاعنه، وكذا الموازنـة بين كلام وكلام من الناحية البلاغية، يقول في ذلك: "المزايا التي تحتاج أن تُعلَّمَهم مكانها وتصوّر لهم شأنها، أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تبني السَّامِع لها، وتحدِّث له علما بها، حتى تكون مهيئاً لإدراكيها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقرحة يجد لها في نفسه إحساساً بأنَّ من شأن هذه الوجوه والفرق أنْ تُعرض فيها المزية على الجملة، ومنْ إذا تصَّفعَ الكلام وتدبِّرَ الشِّعر فرق بين موقع شيء منها وشيء" ^(١).

وكذا بحد الزمخشري اعتمد على الذوق المصقول بعلوم العربية، وطول ممارسة نصوص البيان العالي من الشعر الجاهلي وغيره، في تفسيره للقرآن، يقول الدكتور محمد أبو موسى عن منهج الزمخشري في تفسير مفردات القرآن: "والزمخشري يعتمد في تفسير الكلمة على خبرته اللغوية، وإحاطته بمفردات اللغة ومعانيها، وعلى فقه الأساليب وإدراك المقامات التي تجري فيها الكلمة، وتكون فيها معروفة مشهورة، ثم على ذوقه الذي يقبل ويرفض، وله في هذا الكلمة العليا" ^(٢).

وكذا أعلى السكاكي من شأن الذوق، وجعل إدراك إعجاز القرآن من طريق الذوق فقط، إذ يقول: "واعلم أنَّ شأن الإعجاز عجيب يُدرِّكُ ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تُدرِّكُ ولا يمكن وصفها وكالملاحة،

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، جدة: دار المدى، ط٣، ١٩٩٢م، ٥٤٧.

(٢) محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣،

. ٢٨٣، ٢٠١٧م.

ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين^(١).

فالسكاكي بيّن طريق إدراك الإعجاز، وهو الذوق، وطريق اكتساب ذلك الذوق يكون بتشريف الطبع، ثم وسّع ذلك وجعل الذوق أصلًا من أصول علم المعاني، فلا يخوض في مسائله إلا من عَرَفَ ذلك ووعاه، حيث قال في بداية حديثه عن علم المعاني: "وَقَبْلَ أَنْ نُنْهِنَّ هَذِهِ الْفَنُونَ حَقًّا هَا فِي الدُّكْرِ نَبْهُكُ عَلَى أَصْلِهِ؛ لِتَكُونَ عَلَى دِكْرِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لِيْسَ الْوَاجِبَ فِي صَنَاعَةِ الْمَرْجُعِ فِي أَصْوَلِهَا وَتَفَارِيْعِهَا إِلَى مُجْرِدِ الْعُقَلِ، أَنْ يَكُونَ الدَّخْلُ فِيهَا كَالَّتَائِشَى عَلَيْهَا، فِي اسْتِفَادَةِ الدُّوكِ مِنْهَا"^(٢)، وقال في موضع آخر: "إِنَّ مَلَكَ الْأَمْرِ فِي عِلْمِ الْمَعْانِي هُوَ الدُّوكُ السَّلِيمُ، وَالْطَّبَعُ الْمُسْتَقِيمُ، فَمَنْ لَمْ يَرْزُقْهُمَا فَعَلَيْهِ بَعْلُومٌ أَخْرِيٌّ، وَإِلَّا لَمْ يَحْظِ بِطَائِلٍ مَا تَقْدَمَ وَتَأْخُرَ"^(٣).

وقد أصبحت تلك المقولات التي أطلقها السكاكي هي مفتاح علماء البلاغة من بعده في مؤلفاتهم، وهذا يدلنا على أهمية الذوق في تناول فنون البلاغة، ولن أطيل في تبيان أهمية الذوق في البلاغة العربية، ففي مباحث هذه الدراسة بيان لذلك، فكتاب المطول للتفتازاني امتداد لمدرسة السكاكي التي سيطرت على دراسة البلاغة العربية، فأصبحت المؤلفات البلاغية من بعد مفتاح السكاكي تدور في فلكه؛ لذا فإنَّ تبيان مكانة الذوق عند التفتازاني ينساق على الخطيب القزويني في كتابيه، ومن قبله السكاكي؛ لأنَّها كتب تبيَّنَتْ على بعضها، وشكَّلتْ بمجموعها الفكر البلاغي العربي المتأخر.

المبحث الأول: حاكم الذوق في بيان مكانة علم البلاغة.

تحدَّث السَّعَدُ في بداية كتابه تبعاً للخطيب القزويني عن مكانة علم البلاغة، ومنظمه بين العلوم، وحاجة المشتغل بتفسير كتاب الله تعالى إلى التَّبَرِّحِ فيهِ، والاطلاع على أسراره، وتحقيق مسائله. وجَمِعَ بين قول الخطيب: "علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدرًا، وأدقَّها سرًا؛ إذ به تُعرَفُ دقائق العربية وأسرارها، وتنكشفُ عن وجه الإعجاز في نظم القرآن أستارها"^(٤) وقول السكاكي: "ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين"^(٥)، قال: "قلنا معنى كلامه أنه يُدرك ولا يمكن وصفه كالملاحة، وقد صرَّحَ بهذا، وما ذكر هنا لا يدل على أنه يمكن وصفه، بل على أنه إنما

(١) يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبدالحميد المنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠١١م، ٥٢٦.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٧.

(٣) المرجع السابق، ٤١٣.

(٤) جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١١م، ٢٢.

(٥) يوسف بن محمد السكاكي مفتاح العلوم، ٥٢٦.

يُدرك بهذا العلم - ولو بالذوق المكتسب منه - لا بغيره من العلوم، وليس الحصر حقيقاً حتى يَرَد الاعتراض عليه بأنَّ العرب تعرف ذلك بحسب السلبيقة^(١).

فالسَّعد هنا يجعل البلاغة هي التي تعين على اكتساب الذوق، وهو هنا يتحدث عن عموم الفنون البلاغية، وهذه القاعدة هي التي تسري على جميع الفنون البلاغية، فيمكن القول بأنَّ القواعد البلاغية التي سيتحدث عنها في الكتاب، ويُبسط القول فيها، هي التي تعين على الذوق، والذوق هو الذي به يُدرك إعجاز القرآن، الذي هو في الذروة العُليَا من البلاغة. وتنمية الذوق والارتقاء به وتجويده إنما تكون بهذه الفنون البلاغية، لا بغيرها من فنون العلوم الأخرى، وبها يُدرك إعجاز القرآن، ومن أدرك إعجاز القرآن فقد حاز على المرتبة العُليَا من البلاغة، وهو بذلك حتماً قد اطلع على أسرارها، وعرف مكامن الجمال في الخطاب، وكيف يُظهر ذلك الجمال.

قال السِّيالكوفي في شرح عبارة السَّعد: "لو بالذوق المكتسب": إشارة إلى دفع التَّدافع بين الحصرين، فالسكاككي حصر الإدراك بلا واسطة على الذوق، والمصنف رحمه الله تعالى حصر الإدراك بالواسطة على هذا العلم، وقد صرَّح به السِّكاككي أيضاً، حيث قال: طريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين، وكلمة لو الوصلية الدَّالة على أنَّ نقىض الشرط أولى بالجزاء بالنظر إلى الحصر المستفاد من الكلمة إنما، لا بالنسبة إلى دفع التَّدافع حتى يَرَد أنه إذا لم يكن الإدراك بالذوق المكتسب لا يندفع التَّدافع فضلاً عن كونه أولى على هذا التقدير^(٢).

وقد فَهِمَ السَّعد من كلام السِّكاككي خلاف ما فَهِمَ السُّبْكِي منه، فالسُّبْكِي يرى أنَّ الاستثناء في كلام السِّكاككي استثناء حقيقي، فقال في شرح عبارة السِّكاككي: "إِنْ قلْتَ أَيْنَ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ فِي زَمْنِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ يَعْرُفُونَ أَسْرَارَ الْعَرَبِيَّةِ وَانْكَشَفُ لَهُمْ أُوْجَهُ الْإِعْجَازِ؟ قَلْتَ: كَانَ مَرْكُوزًا فِي طَبَائِعِهِمْ".^(٣)

والفرق بين قول السَّعد والسُّبْكِي، هو أنَّ السَّعد لا يرى أنَّ الذوق يكون فقط من معرفة قواعد هذا العلم ولو بالطبع، وإنما تُعرَفُ البلاغة بهذه القواعد وغيرها، من ممارسة الْصُّوصُوصُ البلاغية ومزاولتها، وتحليلها، بخلاف كلام السُّبْكِي الذي يرى أنَّ الطريق الوحيد إلى الذوق هو معرفة تلك القواعد دراسةً أو طبعاً، ويتبيَّن أنَّ نظرية السَّعد أوسع وأشمل، كما أَتَاهُ جمع بين كلامي الخطيب والسكاككي.

(١) سعد الدين التفتازاني، المطول، شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبدالعزيز السالم، وأحمد السديس، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ٢٠١٩ م، ٧٩/١.

(٢) عبدالحكيم السِّيالكوفي، حاشية السِّيالكوفي على المطول، ضمن فيض الفتاح على حواشى شرح تلخيص المفتاح، القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٥ م، ٨٢/١.

(٣) بحاء الدين السُّبْكِي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع، ١/٥٣.

ثم إنَّ كلا المعرفتين إنما تتم عن طريق العلم، وقد صرَّح بذلك ابن خلدون؛ إذ يقول: "إنَّ الملوك إذا استقرَّت ورسخت في محالها ظهرت كأنَّها طبيعة وجبلة لذلك الحال، ولذلك يظن كثير من لم يعرف شأن الملوك أنَّ الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاجة أمر طبيعي، ويقول: كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك" ^(١).

إذن فالسعد يرى أهمية الدُّوق في الفنون البلاغية كلها، وأنَّه هو المركز فيها، ثم هو يرى أهمية تربية ذلك الدُّوق وتنقيفه، وهذا يُفهَّم من خلال تحليله عبارة السكاكى.

المبحث الثاني: حاكم الدُّوق في بيان معنى الفصاحة والبلاغة.

درَّجَتْ كتب البلاغة بعد كتاب التلخيص للخطيب القزويني أنْ تبدأ بالحديث عن معنى الفصاحة والبلاغة، وتحدث عن الأمور التي تُخلُّ بحماها، سواء فيما يتعلق بالكلمة أو بالكلام، ويجعلون ذلك مقدمة لدراسة فنون البلاغة، وفي هذا الجانب تَبَيَّنَ السعد قولًا لعلماء البلاغة من قبله فيه الاحتكام إلى الدُّوق، عند الحديث عن تنافر الحروف؛ إذ يقول السعد معللاً اكتفاء الخطيب بالتمثيل للتنافر دون شرح القول وتفصيله في ذلك: "ولهذا اكتفى المصنف بالتمثيل، ولم يتعرض لتحقيقه وبيان سببه؛ لتعذر ضبطه، فالأولى أنْ يُحال إلى سلامه الدُّوق" ^(٢).

فالخطيب القزويني ذَكَرَ الأمثلة ولم يُوضِّح سبب التنافر في الكلمة؛ لأنَّ ذلك مما يُعْمَض ويصعب تحديده، وهو مختلف باختلاف المقامات والأزمنة؛ لذا جعل السعد التَّعويم على الدُّوق في هذا الموضوع هو الأصح والأضبط، أصح؛ لأنَّ تعليله بمخارج الحروف وتبعادها أو تقاربهَا خارِج عن موضوع البلاغة، والأضبط؛ لأنَّ الأمثلة توضح عدم دقة الاعتماد على مخارج الحروف، فقد تكون الكلمة ثقيلة وحروفها متبعادة، وقد تكون عذبة سهلة على اللسان وحروفها متقاربة، وقد صرَّح بذلك في المختصر حيث قال: "والضَّابط ههنا: أنَّ كل ما يُعَدُّه الدُّوق الصحيح ثقيلاً متعرِّضاً للنُّطق به فهو متنافر، سواء كان من قُربِ المخارج أو بُعْدِها، أو غير ذلك" ^(٣).

هذا بخلاف ابن سنان الخفاجي الذي وضع قواعد من خلالها يُحكَمُ بتنافر الحروف، وأهم قاعدة في ذلك قُربُ مخارج حروف الكلمة وبُعْدُها، فالقرب سبب في تنافرها عنده؛ إذ جعل أول شروط فصاحة الكلمة بُعدَ مخارجها؛ حيث قال: "أنْ يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متبعادة المخارج... وعلَّة هذا واضحة، وهي أنَّ الحروف التي هي أصوات تجري من السَّمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك أنَّ الألوان

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٢ / ٣٨٧.

(٢) سعد الدين التفتازاني، المطول، ١ / ٩٩.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المختصر، شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عجاج عودة برغس، دمشق: دار التقوى، ٢٠٢١م، ٢٠٢١.

المتباعدة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة^(١)، على حين أنَّ الخليل بن أحمد يرى أنَّ سبب تنافر الحروف هو القرب الشديد أو البعد الشديد^(٢)، وقد استدرك عليهم العلماء كلمات حالفت القواعد التي وضعوها وكانت غاية في الفصاحة^(٣).

والقول بالاحتكام إلى الذوق في هذا الموضع سبقه إليه ابن الأثير، في كتابه المثل السائر^(٤)، والسعَد نقل نص كلامه في كتابه، وقد سار البلاغيون من بعد السَّعَد في هذه المسألة على طريقين: الأول: الاحتكام إلى الذوق في بيان التنافر، وهذا ما يدعو إليه الذوق العربي، والفطرة الإنسانية، فالحَكْمُ في ذلك خفة الكلمة على السمع، قال ابن يعقوب المغربي: "الحَكْمُ في التنافر هو الذوق؛ لأنَّ كلَّ مَنْ حاول أنْ يضبط به مِنْ قُرْبِ المخارج أو تبعادها أو توسطها... فقد نُقِضَ"^(٥).

الثاني: الأخذ بالرأي السابق والذي أطلقه الخليل وبنَاه ابن سنان الخفاجي، وهو الحكم على التنافر من خلال تقارب مخارج الحروف وتبعادها، وهذا الرأي أيدَه السُّبْكِي في عروس الأفراح، من قبل السَّعَد، وهم وإن اتفقا في جعل معيار التنافر هو مخارج الحروف إلا أنَّهم اختلفوا فيه، هل التنافر بسبب تباعد الحروف أم بسبب قربها؟ قال السُّبْكِي: "الحق في الجواب عن ذلك أنَّ المدعى إِنَّما هو الغلبة، كما هو الشأن في العلامات، لا الزروم، ويشبهه استواء تقارب الحروف وتبعادها في تحصيل التنافر، استواء المثلين اللذين هما في غاية الوفاق والضدين اللذين هما في غاية الخلاف"^(٦).

وخلاصة القول في ذلك أنَّهم اتفقا على أنَّ التنافر مما يخل بفصاحة اللفظة، وهذا الخلل ينساق إلى بلاغة الكلام، فلا يمكن أن يكون الكلام بليغاً مع خلل في فصاحة ألفاظه، ولكنَّهم اختلفوا في طريقة تحديد ذلك التنافر، والرأي الذي ذهب إليه السَّعَد في تحكيم الذوق للحكم على تنافر الحروف، هو الأضبوط هنا، كما أشار إلى ذلك ابن يعقوب المغربي، فمقاييس الذوق يمكن التعويل عليه في هذا الموضع،

(١) محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق: داود غطاشة الشوابكة، الأردن: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٦ م، ٥٨.

(٢) انظر: علي بن عيسى الرماني، النكث في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زعلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط٥، ٢٠٠٨ م، ٩٦.

(٣) انظر: عامر بن عبدالله الشبيبي، المآخذ على فصاحة الشعر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٨ هـ، ٣١ وما بعدها.

(٤) انظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، مصر: دار نكضة مصر، ط٣، ١٦٤ / ١، وما بعدها.

(٥) ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع، ٧٩/١.

(٦) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ٨١ / ١.

ويكون منضبطاً أكثر من المقاييس التي اعتمدت على تباعد مخاج الحروف وقُرْبها.

ثم إنَّ مقياس الذوق الذي ارتضاه السَّعد للحكم على فصاحة اللفظ يحمل من المرونة ما يجعل النَّظر يكون للفظ والمعنى والسياق، فلا يمكن الحكم على لفظة بعينها أَنَّها غير فصيحة إلا إذا اعتير مكانها في سياق الكلام، ودلالتها على المعنى، وهذا ما أشار إليه عبدالقاهر الجرجاني؛ حيث قال: "لا تخلو الفصاحة من أَنْ تكون صفة في اللفظ محسوسة تُدرك بالسمع، أو تكون صفة فيه معقوله تُعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة؛ لأنَّها لو كانت كذلك، لكان ينبغي أنْ يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم بكونه فصيحاً، وإذا وجب الحكم بكونها صفة معقوله، فإنَّا لا نَعْرِف للفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس، إلا دلالته على معنى وإذا كان كذلك لَزِمَ منه العلم بأنَّ وصفنا اللفظ بالفصاحة وصف له من جهة معناه، لا من جهة نفسه، وهذا ما لا يقى لعاقل معه عذر في الشك" ^(١).

وفي مقياس آخر لفصاحة الكلمة وهو الغرابة، لم يَرَضِ السَّعد ما فُسِّرَتْ به الغرابة، بكون الكلمة غير مشهورة الاستعمال، أو أَنَّها وحشية، معللاً ذلك بقوله: "لا يُفَعَّلُ الغرابة - كما يُفَهَّمُ من كلامهم - كون الكلمة غير مشهورة الاستعمال، وهي مقابل المعتادة، وهي بحسب قوم دون قوم، والوحشية هي المشتملة على تركيب يُنْفِرُ الطبع عنه، وهي مقابل العذبة، فالغريب يجوز أَنْ يكون عذباً، فلا يَحْسُنُ تفسيره بالوحشة، بل الوحشية قيد زائد لفصاحة المفرد" ^(٢).

ولكنَّه عاد وقسم الوحشي إلى نوعين: غريب حسن، وغريب قبيح، فالأول لا يُعابُ استعماله للعرب؛ لأنَّه لم يكن وحشياً عندهم، والثاني يُعابُ استعماله مطلقاً، قال في تفسيره: "وهو أَنْ يكون مع كونه غريب الاستعمال، ثقيلاً على السَّمع، كريها على الذوق" ^(٣).

فالسَّعد في النَّصِّ السَّابق يضع معياراً للحكم على غرابة الكلمة، يقوم على ثلاثة أمور: الأول: المعجم اللغطي -إنْ صح التعبير- المستخدم في عصر النَّصِّ، وهذا يؤدي إلى غرابة الاستعمال. الثاني: التَّقلُّل على السَّمع، وهذا أيضاً مختلف من سمع إلى سمع، ومن عصر إلى عصر، وكذا إذا اعتمد السَّمع تكرار الكلمة فهذا يُضِعِّفُ ثقلها أو يزيده، ويجعلها مقبولة. الثالث: كراهيَة اللفظة ذوق، والذوق يختلف من عصر إلى عصر، فيجب أَنْ يُتَّنَّكم إلى ذوق العصر، ويمكن معرفة ذوق العصر من خلال أمور، أَبرزها: التُّصوّص الشعرية والنشرية لذلك العصر، وكلام التَّقدَّم والأدباء في كتبهم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة في لفظة فإِنَّه يُحْكَم بغرابتها، إلا أَنَّ ابن عقوب المغربي لم يَرَضِ التَّقلُّل في السَّمع والذوق هنا حكماً؛ لتدخله مع الشرط السابق لفصاحة الكلمة وهو خلوصها من تنافر

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٤٠٧.

(٢) سعد الدين التفتازاني، المطول، ١٠٣/١.

(٣) المرجع السابق، ١/١٠٤.

الحروف؛ إذ يقول: "ورى يراد هنا أنَّ الغريب المستقبح هو المتوعر المشتمل على التَّقلُّل ذوقاً، وفيه بحث؛ لأنَّ التَّقلُّل بذلك يرجع إلى التَّنافر أو الوحشية على الإطلاق... فلا حاجة لزيادة قوله ذوقاً"^(١).

وقد فرق السيالكوي بأنَّ جعل التَّقلُّل المؤدي إلى تنافر الحروف ثقلاً على اللسان، والتشَّكل المؤدي إلى الغرابة هو التَّقلُّل على السَّمْع، قال في شرح عبارة السَّعد: "من غير أن يكون فيه تنافر يوجب التَّقلُّل على اللسان"^(٢)، والذي يظهر لي أنَّ الأمرين مرتبطان، فالتشَّكل في اللسان يؤدي إلى التَّقلُّل على السَّمْع؛ لأنَّ مصدر اللُّفْظ هو اللسان، فإذا اتسمت الكلمة منذ بدايتها بالتشَّكل استمر ذلك معها، والعكس صحيح، فلو اتسمت بالعنودة والخفة، فإنَّها كذلك تقع على السَّمْع.

وبعد عرض رأى السَّعد في مقياس الغرابة فإننا نجده متداخلاً مع ضوابط شروط الفصاحة الأخرى، وكذا عدم انضباط تحديد هذا العنصر، فهو مختلف من عصر إلى عصر، ومن قُطْرٍ إلى قُطْرٍ، وإلى هذا وأشار العصام عند حديثه عن شرط فصاحة اللفظة؛ إذ قال: "واعلم أنَّ الغرابة ممَّا يتَّفَاقَواْتُ بالنسبة إلى قوم دون قوم، كالاعتياض الذي يقابلها، فالغريب يقابل المعتاد، فالمراد بالغرابة المخلة بالفصاحة: أنَّ يكون غريباً بالنظر إلى الفصحاء كُلُّهم لا بالنظر إلى العرب كلهم، فإنه لا يُتصَوِّر؛ إذ لا أقلَّ من تعارفه عند قوم يتكلمون به، ولكن الغرابة أعم ممَّا يخلُ بالفصاحة تَبَّتْ غريب القرآن والحديث"^(٣).

ثم أيضاً هم ذكروا بعد سُرُّد شروط فصاحة اللفظ، خلوه من كراهة السَّمْع، قال الخطيب: "قيل: ومن الكراهة في السمع نحو:

گَرِيمُ الْجِرْشَى شَرِيفُ النَّسَب

و فيه نظر"^(٤).

وقد فسرَ شَرَائِخُ التَّلْخِيص وجهة النَّظر التي يراها القزويني في هذا الشرط، بأنَّ الكراهة في السَّمْع إمَّا أنْ تكون ناشئة عن تنافر الحروف، أو غرابة الكلمة، وبهذا يغني ذكر الشرطين مقدماً، أو تكون ناشئة عن نغمُ نُطْقِ الكلمة، وهذا الأخير لا دَخْلَ لفصاحة الكلمة فيه على ما يرون، يقول الشحات أبو ستيت: "وفي نظرنا أنَّ استحسان السَّمْع أو استهجانه للفظ، يرجع إلى صفات في اللُّفْظ تؤدي إلى ذلك، ككون اللُّفْظ متنائماً أو متنامراً، مأولاً أو وحشياً، ونحو ذلك، ومن ثُمَّ فَجَعْلُ استحسان السَّمْع للفظ من شروط

(١) ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ٨٨/١.

(٢) عبدالحكيم السيالكوي، حاشية السيالكوي على المطول، ١٥١/١.

(٣) إبراهيم بن محمد بن عريشاد، الأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١، ١٦٦/١.

(٤) جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، بيروت: دار الكتاب العربي،

الفصاحة لا محل لها مع وجود الشروط الأخرى^(١).

والذي يظهر لي أن الكراهة في السمع مقدمة على الشرطين السابقين: تنافر الحروف، والغرابة، والأولى أن يوضع شرط الكراهة في السمع أولاً، ويقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: تنافر الحروف، الثاني: الغرابة، الثالث: سوء النغم؛ لأن كل هذه الثلاثة مؤداها إلى كراهة السمع، وهو الحكم فيها، وبذلك يكون هذا الشرط شاملًا لما قبله، وهذا يزيل الاختلاف الذي ناقشوه في تحديد الغرابة وتنافر الحروف؛ إذ يرجع فيه إلى معيار واحد وهو الكراهة في السمع.

وقد عللوا بأن سوء النغم لا يرجع إلى اللفظ، وإنما إلى النطق به، وقولهم في ذلك صحيح، ولكن يجب أن تتسع نظرية الفصاحة، فلا تقتصر على اللفظ، وإنما تنتقل إلى الصوت؛ لتكون الفصاحة شاملة لذلك وقد قال الدكتور محمد أبو موسى: "والأدن عند البلاغيين قاض في النغم نافذ القضاء"^(٢)، مما يرضيه السمع من الألفاظ يُعد فصيحا إذا طابق المقام، وهذه النّظرة للفصاحة هي نظرية الجاحظ فقد قال رابطا بين الصوت واللفظ: "الصوت هو آلة اللفظ، والجهر الذي يقوم به التقاطع، وبه يوجد التأليف"^(٣)، ثم إن المقام الخطابي قائم على المشافهة التي تكون عبر الصوت والسماع، وهو المقام الذي أعلى العرب من شأنه، وجعلوه نظير الشعر، وقد عزز الإسلام ذلك المقام، بأن جعله جزءا من الدين الإسلامي، فإذا أزلنا هذه من البلاغة فإننا نكون قد أزلنا جزءا من خطاب الناس، وقصرنا الفصاحة على المكتوب دون المنطوق.

وقد ذكر الدكتور عامر الشبيتي أن الكراهة في السمع ليس لها ضابط يحددها، فلو جعلنا الذوق هو الحكم لاختللت الأذواق في ذلك كثيراً، ولذلك ذكر ابن سنان أن المزاج هو الذي يحدد هذا الأمر، وما دامت المسألة مزاج فلا اعتبار لها^(٤)، ذلك لأن المزاج نابع من الهوى ومرجعيات فكرية وعقدية لا ذوق لها إلا اتباع الذات ومستتبعاتها في الانتفاء للمذاهب والأفكار والمعتقدات، ولا دخل للذوق هنا، فالذوق له اعتباره في البلاغة، ولا أدلة على ذلك من تعويل علماء البلاغة عليه، فكثيرا ما يلحوظون إليه في الأحكام البلاغية، فيقولون: هذا مما تَنْفِرُ منه الطَّبَاع، ولا يرضيه الذوق، وهذه الدراسة تكشف شيئاً من ذلك، وقد قال السكاكي: "إن ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم، فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخرى"^(٥)، ومنهج التذوق وإن كان غامضاً في إجراءاته إلا أن بعض الباحثين المحدثين

(١) الشحات محمد أبو ستيت، مقاييس البلاغيين في فصاحة الكلمة، مصر: مطبعة الأمانة، ط١، ١٩٩١م، ٣٦.

(٢) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٨، ٢٠٠٩م، ٩٩.

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجليل، ١/٧٩.

(٤) عامر بن عبدالله الشبيتي، المأخذ على فصاحة الشعر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ٧٣.

(٥) يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، ٤١٣.

كانت لهم جهود تبين أركان منهج التذوق^(١)، فغموضه لا يجعل محله المراج.

ولعل من أفضل من نظر إلى الغرابة في الألفاظ، هو عبدالقاهر الجرجاني، فقد ربطها بالسياق وخدمة اللفظ للمعنى، فلا ينظر إلى اللفظة في ذاتها، وإنما ينظر إلى خدمتها للمعنى؛ إذ يقول: " وأنَّ كلامنا في فصاحة تجحب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النُّطق، ولكن من أجل طائف ثُدُرُكُ بالفهم، وأنَّ نعتبر في شأننا هذا فضيلة تجحب لأحد الكلامين على الآخر، من بعد أن يكونا بِرَئَا من اللحن، وسيلما في ألفاظهما من الخطأ"^(٢).

وبهذا تستطيع تخيير الألفاظ القرآنية التي وُسِّمت بالغرابة، بأَنَّها خدمة المعنى، وكانت أَفْصَحَ كلمة في ذلك السياق، ولا يمكن استبدال غيرها بها، وبذلك تنتفي الغرابة؛ إذ المقصود الأعظم هو مناسبة الكلمة للمقام الذي ذُكرت فيه، وليس المقصود النَّظر إلى اللفظ مجردًا من معناه.

وهذا الرأي الذي ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني هو الأقرب - فيما يلي - إلى تعريف البلاغة القدس الذي أطلقه الرمانى؛ إذ يقول: " وإنَّ البلاغة إِيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"^(٣)، فَحسْنُ صورة اللفظ يكون بمطابقته للمقام الذي ذُكر فيه، وليس المقصود عذوبة اللفظ، فقد يكون العذر من اللفظ قادحًا في الفصاحة لعدم مناسبة المقام، ولو نظرنا في القرآن الكريم لوجدنا أنَّ الألفاظ تختلف بحسب المقامات، مما يخاطب به المسلمون خلاف ما يخاطب به الكافرون، من ناحية الأسلوب وكذا من ناحية انتقاء الألفاظ، وقوتها جرسها، ومعنى آخر أنَّ لغة التَّهْدِيد تختلف عن لغة التَّبَشِير، ولغة التَّرْغِيب تختلف عن لغة التَّرْهِيب، وكذا خطاب أهل الجنة يختلف عن خطاب أهل النار، وهذا ينساق على جميع مقامات الخطاب في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: حاكم الذوق في مسائل علم المعاني.

تعُدُّ البلاغة بعلومها الثلاثة (علم المعاني، علم البيان، علم البديع) من أدق العلوم العربية؛ ذلك لأنَّها تبحث فيما وراء التركيب اللغوي، بخلاف علم النحو الذي لا يتجاوز التركيب، وكذلك تبحث البلاغة في دلالة الألفاظ وهي تشتراك بذلك مع علم أصول الفقه، ولاختلاف الأهداف بين العلوم الثلاثة (علم البلاغة، وعلم النحو، وعلم أصول الفقه) واشتراكها في دراسة التركيب واللفظ، حصل التباين بينهم في طرق المعالجة وأدواتها، فكانت البلاغة أبعدهم غورًا في بحث مسائلها، ذلك لأنَّها تتجاوز النَّظر فيما يتوقف عنده علم النحو وعلم أصول الفقه، ومن أبرز الاختلافات بين هذه العلوم الثلاثة اعتماد البلاغة على

(١) انظر الدراسة التي كتبها الدكتور ياسر محمد باطين حول منهج التذوق عند محمود شاكر، التذوق منهجاً للتلقى وصناعة المعرفة، حلقات أدب عين شمس، المجلد: ٤٦، العدد: إبريل ٢٠٠٨.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣٩٩.

(٣) علي بن عيسى الرمانى، النكت في إعجاز القرآن، ٧٥.

الذّوق. يقول السكاكي عن الدّفائق البلاغية التي تمكن في أباها، وحاجتها إلى ذوق يدعمه طبع سليم: "واعلم أنَّ مستودعات فصول هذا الفن لا تتضح إلا باستباء زناد خاطر وقاد، ولا تنكشف أسرار جواهرها إلا ل بصيرة ذي طبع نقاد، ولا تضع أزمنتها إلا في يد راخص في حلبتها إلى أنَّى مدى، باستفراغ طوق متفوق أفاويق استشاتها بقوة فهم، ومعونة ذوق مولع من لطائف البلاغة بما يؤثرها القلوب بصفايا حبّاتها، وتنشر عليها أندية مصاقع الخطباء خبايا محبّاتها"^(١).

فالسقاكي وضَّحَ الأمور التي ينبغي لمن أراد الغوص في مسائل البلاغة أنْ يتحلى بها، أجلها أنْ يكون ذا طبع يجعله مستعداً للخوض في مسائل هذا العلم، ثم هذا الطبع بحاجة إلى ذوق يُنَمِّي بطول الذرية، وذلك بالنظر في أساليب البلاغة، وتحليلها، والموازنة بين جيد الكلام وردئيه، قال السعد شارحاً كلام السقاكي: "والغرض: أَنَّا وإنْ مهدنا القواعد، وأوردنا الأمثلة، لكن ما أودعناه فصول هذا الفن لا يتضح بمجرد معرفتها وحفظها، بل لابد من انضمام الأمور المذكورة إليها"^(٢).

وعند تبع تحكيم الذّوق في أبواب علم المعاني عند السَّعد نجده في مواضع متعددة، وفي أبواب مختلفة من أبواب علم المعاني، وهي:

المطلب الأول: الذكر والمحذف.

تحدَّث علماء البلاغة في باب متعلقات الفعل عن أغراض ذُكْرِ المفعول به ومحذفه، ومن أغراض حذف المفعول به: التعميم مع الاختصار، وقد استشهد الخطيب بشاهدين لهذا الغرض هما: قوله: قد كان منك ما يؤلم، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَدْعُونَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] وعلى هذا الغرض -التعميم مع الاختصار- دار خلاف بين البلاغيين حول تحديد القول به، وضبط مسلكه، وتخرج تداخله مع أغراض أخرى لحذف المفعول به، قال السَّعد في توجيه هذين الشاهدين: "فالمثال الأول يفيد العموم مبالغة، والثاني تحقيقاً، وهذا وإنْ احتملا أنْ يجعلَا من قبيل ما تُرَدِّ منزلة اللازم، لكن التَّأمل الذّوقي يشهد أنَّ القصد في هذا المقام إلى المفعول، فإنَّ الحمل على أمثال هذه المعاني مما يتعلق بقصد المتكلم ومناسبة المقام"^(٣).

فالسَّعد في هذين الشَّاهدين يجعل فَهْمَ العرض البلاغي معتمداً على الذّوق، فقد يقال: إنَّ ترك المفعول هنا ليس من أجل التعميم والاختصار، وإنَّما من أجل تنزيل الفعل المتعدد منزلة الفعل اللازم، فَيُكْتَفِي بذكر الفعل ويُحذف المفعول، ولكنَّ هذا الغرض الذي هو التعميم مع الاختصار يُفْهِم من السياق، أي أنَّ المقصود هو المفعول لا الفعل، وفَهْمُ السياق على هذا التحوّل يحتاج إلى ذوق في تفسير الكلام، وفَهْمُ لمقام الخطاب، فلو قيل في المثال الأول: قد كان منك ما يؤلم، إنَّ المتكلم قَصَدَ الإخبار

(١) يوسف بن محمد السقاكي، مفتاح العلوم، ٣٥٦.

(٢) سعد الدين التفتازاني، شرح مفتاح العلوم، تحقيق: عجاج عودة برغس، دمشق: دار التقوى، ٢٠٢٢م، ١/١٦١.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢/١٣٧.

فقط، وذلك بتزيل المتعدي منزلة اللازم، لم تكن هنالك نكتة بلاغية، ولكن يُفهم من سياق الكلام أنَّ المتكلِّم أراد المبالغة في اللوم، على المثال الأول، وفي الآية أُرِيدَ التعميم تحقيقاً، وقد عَلَّه السعد بقوله: "أي يدعوا العباد كلهم؛ لأنَّ الدعوة إلى الجنة تعم النَّاس كافَة" ^(١).

ومن النَّظر في السياق النَّظر إلى أطراف الكلام فَيُفهَمُ التعميم في الآية بحسب أطراف الكلام، فالداعي هو الله تعالى، ومن هنا فُهم التعميم، فإنَّ دعوة الله تعالى تشمل كل أحد من خلقه، فيكون المعنى أنَّ الله يدعو كل العباد إلى الجنة، وعموم دعوته من عده تعالى، فلا تختص ببشر أو جنس، وإنما تشمل العباد كلهم من جنْهم وإنسهم، وهذا المعنى عينه مستفاد من حذف المفعول في الآية، ولو ذكره لفات هذا التعميم وأصبح مختصاً بما قيده.

وهذا بخلاف المداية، التي أعقبت دعوة الله الناس جميعاً إلى الجنة بقوله ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صَرَاطِ
مُسْتَقِيرٍ﴾ فالدَّعْوة عامة والمداية خاصة من أراد الله هدايتهم إلى دينه القوم، يقول عبد المتعال الصعيدي في تحرير هذه المسألة: "الْتَّعْمِيم يُؤْخَذُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ قَرْبَةِ الْمَقَامِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ الْحَذْفِ لِوُجُودِهِ مَعَ الذِّكْرِ، وَلَكِنَّ الْحَذْفَ لَهُ فِيهِ تَأثِيرٌ فِي الْجَمْلَةِ؛ لِأَنَّ تَقْدِيرَ مَفْعُولِ خَاصٍ فِيهِ دُونَ آخِرٍ تَرجِيحُ بِلَا مَرْجِحٍ، وَبِهَذَا
يُحْمَلُ عَلَى الْعُمُومِ، وَهَذَا إِلَى مَا فِيهِ مِنِ الْإِخْتِصَارِ" ^(٢)، من أجل ذلك كان الدُّوق هو الحكم الأدق هنا وهذا ما دعا إليه السعد التفتازاني في هذا الموضوع.

وقد ذكر الزمخشري في الآية الغرضين (تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم، والتعميم مع الاختصار). قال في قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقْرِبُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحرات: ١]: "في قوله تعالى ﴿لَا تُقْدِمُوا﴾ من غير ذكر مفعول وجهان: أحدهما أنَّ الحذف ليتناول كل ما يقع في النَّفْسِ مَا يُنَقَّدُ، والثاني: أنَّ لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتووجه بالنهي إلى نفس التَّقدمة... إِلَّا أَنَّ الْأُولَى أَمَلًا بِالْحَسْنِ، وَأَوْجَهَ، وَأَشَدَّ مِلَاءَمَةً لِبِلَاغَةِ الْقُرْآنِ وَالْعُلَمَاءَ لَهُ أَقْبَلَ" ^(٣).

فرى أنَّ الزمخشري أحاز الغرضين في الآية الكريمة، ولكنه عاد ليرجح الغرض الآخر، وقد علل ترجيحه لمناسبة السياق والمقام، وكذا لجريانه على نمط البلاغة القرآنية، ولقبول العلماء له، ويمكن الإضافة هنا بأنَّ هذه المعاني مما تدق وتجعل، وتحتاج في استخراجها والوصول إليها إلى نظر دقيق، واطلاع واسع، ومعرفة بأساليب العرب، وهذا هو شأن الأغراض البلاغية التي يكون الطريق إلى معرفتها والتَّبصر بها الدُّوق، فلا تتحكم إلى القواعد الجامدة وإنما تمتلك مرونة في التَّأویل المنضبط.

وكذا فعل السعد التفتازاني حيث جعل الدُّوق هو المرجح هنا، وارتضى هذا الطريق فقط دون غيره في

(١) المرجع السابق.

(٢) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ١٧١/١.

(٣) محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ٢/٤.

تخرج الشاهدين، وفي هذا إعلاه من شأن الذوق، حيث كان هو الحكم في التوجيه، وهذا يدلنا على أهمية الذوق عند السعد، وأنّ له مكانة عالية في الأحكام البلاغية.

المطلب الثاني: التقديم والتأخير.

التقديم والتأخير من الأبواب البلاغية الدقيقة، قال عنه عبدالقاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يقترب لك عن بدعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسموعه، ويُلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقيك ولطفَ عندك أنْ قدمَ فيه شيء، وحولَ اللفظ عن مكان إلى مكان"^(١).

ومنذ مطالع التأليف البلاغي تحدث البلاغيون عن التقديم والتأخير بوصفه غرضاً بلاغياً يدخل في أبواب بلاغية متعددة، ولكن الخطيب جعل دراسة التقديم والتأخير تبعاً للأبواب، ففرقَه بين أبواب البلاغة، فدرسه في باب المسند والمسند إليه، ومتطلقات الفعل، والاستفهام والنفي وغيرها، أما الدراسات السابقة له فإنّها درست التقديم والتأخير في جميع ذلك في باب مستقل هو باب التقديم والتأخير.

وكانت طريقة السعد تبعاً لطريقة الخطيب القرزياني ففي باب متطلقات الفعل وعند تقرير أنَّ التخصيص لازم للتقديم غالباً، أي تقدم ما حقه التأخير بتقاديم المعمول على الفعل، ناقش السعد شاهدين بلاغيين لذلك وهما: قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله تعالى ﴿إِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] فقد ذكر علماء البلاغة والتفسير في الآيتين رأين:

الرأي الأول: أنَّ تقسيم المفعول فيما أفاد الاختصاص، وعلى هذا الرأي الزمخشي، وتبعه جمهور البلاغيين، قال الزمخشي في تفسير التقديم هنا: "وتقسيم المفعول لقصد الاختصاص... والمعنى نخصص بالعبادة، ونخصص بطلب المعونة"^(٢).

الرأي الثاني: أنَّ تقديم المفعول لا يفيد الاختصاص، ومن سار على هذا الرأي إما أنْ جعل التقديم لمراعاة حُسْنِ النَّظَم، في الآية الأولى، وهذا رأي ابن الأثير، قال: "وقد ذكر الزمخشي في تفسيره أنَّ التقديم في هذا الموضع قصدَ به الاختصاص، وليس كذلك، فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، وإنما قدمَ لمكان نظم الكلام؛ لأنَّه لو قال: نعبدك ونسعيَنك، لم يكن له من الحسن ما لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَلِيلُكَ يَوْمُ الدِّين﴾ فجاء بعد ذلك قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وذلك لمراعاة حُسْنِ النَّظَم السَّجعِي الذي هو على حرف النون، ولو قال: نعبدك ونسعيَنك لذهبَت تلك الطلاوة، وزال الحسن"^(٣).

(١) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١٠٦.

(٢) محمود بن عمر الزمخشي، الكشاف، ١٩.

(٣) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، مصر: دار نهضة

أو أنَّ التَّقدِيم للاهتمام فقط، ولا دليل على أَنَّه للحصر، وإلى هذا الرأي ذهب ابن الحاجب^(١)، وأبو حيان، فاعتراض أبو حيان على الزمخشري في بَعْل التَّقدِيم للاختصاص بقوله: "والزمخشري يزعم أَنَّه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص فكأنَّه قال: ما نعبد إلا إياك... فالتقدِيم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمعنى، وسبُّ أعرابي آخر فأعرض عنه وقال: إياك أعني، فقال له: وعنك أعرض، فقدموا الأهم"^(٢) ويبدو أَنَّه قال بهذا القول اعتماداً على ما قاله سيبويه في تقدِيم المفعول حين قال: "إِذَا بَنَيْتَ الاسم عليه قلت: ضربت زيداً، وهو الحد؛ لأنَّك تزيد أَنْ تعلمِه وتحملِه عليه الاسم، كما كان الحد ضرب زيد عمر، حيث كان زيد أول ما تشغله الفعل، وكذلك هذا إذا كان يعمل فيه. وإنْ قدَّمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربياً جيداً، وذلك قوله: زيداً ضربت؛ الاهتمام والعناية هنا في التَّقدِيم والتَّأثير سواء، مثله في ضرب زيد عمر؛ وضرب عمر زيد"^(٣).

والسَّعد قد اطلع على كل تلك الأقوال، واستوعبها فرجح رأي الزمخشري وجمهور البلاغيين، وعملَ ذلك التَّرجيح بقوله: "لأنَّ الدُّوق وقول أئمة التفسير دليلان عليه، والاهتمام أيضاً حاصل؛ لأنَّه لا ينافي الاختصاص"^(٤).

فالسَّعد يرى أنَّ الدُّوق يرجع القول بالاختصاص في الآية، والقول بالاختصاص لا يمنع منه القول بالاهتمام، بل إنَّ القول بالتقدِيم من أجل الاهتمام فقط، دون شرح جهة ذلك الاهتمام، مما يُعَاب على قارئ النُّصوص، وهذا ما جعل عبدالقاهر الجرجاني ينتقد من يقف عند القول بالاهتمام فقط حيث قال: "وقد وقع في ظنون الناس أَنَّه يكفي أَنْ يقال: إِنَّه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكره أَهم، من غير أَنْ يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أَهم؟"^(٥).

فالسَّعد يمثل وجهة نظر البلاغيين في نظرتهم لتقدِيم المفعول أو تقدِيم ما حقه التَّأثير، وهو بذلك يردُّ على النَّحوين الذين يقفون عند التَّراكيب، دون التَّغلُّل إلى المعاني، والبحث في السياقات، ولا يرتكرون

مصر، ط٣، ٢١٢ / ٢.

(١) انظر: بجاء الدين السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ٢ / ١٥٢، وجلال الدين السيوطي، الإنegan في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية: إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ٣ / ١٥٦.

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر الحيط، تحقيق: صدقى محمد جمیل، بيروت: دار الفكر، ١٢٠١٠، ٤٢ / ١.

(٣) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الحاجي، ط٣، ١٩٨٨، ٢ / ٨٠.

(٤) سعد الدين التفتازاني، المطول، ١ / ٢٥٨.

(٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ١٠٨.

الذوق حكما على طريقة إيراد المعنى، وإن فعلوا ذلك -أحياناً- فلا يكون بالقدر والعمق الذي يفعله البلاغي، ولكن العجيب هنا ما ذهب إليه ابن الأثير -وهو من علماء البلاغة- حيث رفض القول بالاختصاص في آية الفاتحة، وجعل التقديم من أجل النظم السجعى، وهو بموقفه هذا جعل المعنى تابعاً للفظ، وهذا عنده من عيوب السجع، قال في شروط حُسْن السَّجْع: "وهو أَنْ يَكُونُ الْفَلْسَفَةُ فِيهِ تَابِعًا لِلْمَعْنَى، لَا أَنْ يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهِ تَابِعًا لِلْفَلْسَفَةِ، فَإِنَّهُ يَجِدُهُ عِنْدَ ذَلِكَ كَظَاهِرًا مُمَوَّهًا، عَلَى بَاطِنِ مُشَوَّهٍ، وَيَكُونُ مُثْلَهُ كَغَمْدٍ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى نَصْلٍ مِنْ خَشْبٍ"^(١)، وبذلك سقط احتجاجه ببراعة النظم من أجل السجع في الآية الكريمة، وتقوية موقف المختسر والبلغيين بأنّ يكون الاختصاص هو الغرض، والسجع تابع له، فراد السجع بلاغة النظم، إضافة إلى غرض التقديم للاهتمام كما أشار إليه السعد، ولا تعارض بينها.

إذن فالسعد يؤيد كلام الخطيب بأنّ الاختصاص لازم للتقديم غالباً، ويجعل الذوق هو من يحدد ذلك، وقد قوبلت هذه العبارة -عبارة الخطيب- بالنقض حتى بولغ في نقضها كما فعل ابن الأثير، برد حمل آية الفاتحة على الاختصاص، ولعل المبالغة في ردّها هو عدم دقّتها، وقد أشار العصام إلى ذلك حين قال: "وكان الأخضر والأذب: والتقديم للتخصيص غالباً؛ إذ في تقيد اللزوم بالغالب حزانة"^(٢)، وما ذكره العصام هو الأدق، فلا حاجة لذكر اللزوم هنا، بل يخالف بعض الشواهد التي لا يمكن حمل التقديم فيها على الاختصاص، والذوق كذلك هو الذي يرد حملها على الاختصاص.

لذا نجد أئمّم جعلوا التقديم أحد طرق القصر، فالطريق الرابع من طرق القصر هو تقديم ما حقه التأخير، ذكر الخطيب أنّ دلالته على القصر بالفحوى، فقال السعد شارحاً مقولته الخطيب: "أي مفهوم الكلام، معنى أنه إذ تأمل الذوق السليم في مفهوم الكلام الذي فيه التقديم، فهو منه القصر، وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلغاء كذلك"^(٣).

وهذا الطريق انفرد عن طرق القصر الأخرى المعتمدة في الدرس البلاغي، وهي: العطف بلا وبل ولكن، والنفي والاستثناء، وإنما، بأنّ دلالة القصر فيه ليست بالوضع، وبذلك يكون أدخل في علم البلاغة من الطرق الثلاثة، وقد نسب السيالكوتى قوة هذا الطريق لدلالته العقلية على القصر، حيث قال: "دلالة التقديم خفية لكونه بالفحوى، لا يفهمها إلا صاحب ذوق، لكن بعد التحقيق قوية لكونها عقلية فلذلك يُنسبُ الحصر إلى التقديم إذا اجتمع مع نحو: إنما تميي أنا"^(٤).

والتعويل على الذوق هنا في إدراك إفاده التقديم الحصر؛ لأنّه ليس كل تقدير يفيد الحصر، وإنما يُفهم

(١) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١/٢١٣.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عريشاه، الأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ١/٥٢٨.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢/١٨٥.

(٤) عبدالحكيم السيالكوتى، حاشية السيالكوتى على المطول، ٣/٢٢٠.

من له ذوق سليم بمعونة القرائن أن التّقدّم أفاد الحصر، وإفادة التّقدّم للحصر مما كاد يجمع علماء البلاغة عليه، قال السيوطي: "كاد أهل البيان يطبقون على أن تقدّم المعمول يفيد الحصر، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً"^(١).

وهنا نرى كيف أن الاعتماد على الذّوق هو الذي قدّم هذا الطريق على غيره من الطرق التي اعتمدت على الوضع، وإنْ كان السّعد يرى أن طريق (إنما) في القصر أقوى في الدلالة على الحصر من التّقدّم، قال: "وقال عبدالقاهر: لا يحسن الجامعة المذكورة في الوصف المختص، كما تحسن في غيره، وهذا أقرب، إذ لا دليل على الامتناع عن قصد زيادة التّحقيق والتّأكيد، ولم يذكروا هذا الشرط في التّقدّم، لا وجوهاً ولا استحساناً، فكأنّ دلالته على القصر أضعف من إنما"^(٢).

ولكن عند إمعان النّظر في المسألة نجد أن طريق التّقدّم هو أدخل في علم البلاغة، ذلك أنّه معتمد على التركيب، وفهم السياق، الذي يؤدي إليه حسُن التّدوّق، بخلاف الطرق الأخرى، والتي أفادت الحصر من الوضع لا من التركيب، فحظّ البليغ منها الجيء بها في سياقها، أما التّقدّم فإنّ البليغ هو من صنع طريق القصر، وذلك بتغيير تركيب الجملة، وكذا يفيد التّقدّم مع القصر أغراضًا أخرى تكمن في التّقدّم، منها العناية والاهتمام، وقد أكَّد العصام أنّ هذا الطريق هو أدخل طريق في البلاغة؛ إذ يقول: "التفاسيم قدّمه في البيان -على خلاف المفتاح- لأنّه أدخل في البلاغة... يُرشِّدك إلى القصر خصوصية المفهوم بحسب البيان مع التّقدّم ويُخصّ به ذوق دون ذوقٍ؛ حتى خُرم عن ذركِه بعضُ من له كعب أعلى في درك الدقائق العقلية والنّقلية"^(٣)، وقال الدسوقي: " وأنّ التّقدّم عن الكل؛ لأنّ دلالته على القصر ذوقية لا وضعية"^(٤).

وهنا يجب أن نفرق بين مسألة قوة طريق القصر، والأدخل في علم البلاغة، فلا شك أنّ طريق التّقدّم هو الأدخل في علم البلاغة؛ لاعتماده على الذّوق، أما قوة طرق القصر فاختلاف علماء البلاغة فيها، لاختلاف المعيار الذي يقيسون به قوة الطريق، فمن نظر إلى الإثبات والنفي، جعل الطريق الأول من طرق القصر -وهو العطف بلا وبل ولكن- أقوى طرق القصر، قال الدسوقي: "إنما قدّم العطف على بقية الطرق؛ لأنّه أقواها للتصریح فيه بالطرفين المثبت والمنفي، بخلاف غيره فإنّ النفي هناك ضميّ"^(٥).

(١) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٣ / ١٥٦.

(٢) سعد الدين الفتازاني، المطول، ٢ / ١٩١.

(٣) إبراهيم بن محمد بن عريشان، الأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ١ / ٥٥١.

(٤) محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع، ٢ / ١٨٦.

(٥) المرجع السابق.

ومن نظر إلى كثرة استخدام الطريق دلالته القطعية على القصر فَدَمْ طريق النَّفِي والاشتاء، يقول محمد أبو موسى: "قلنا إِنَّ النَّفِي والاشتاء هو الطريق الأم بين طرق القصر، وَأَنَّمَّ يقيسون غيره عليه، ويصطنعونه في توضيح صورة المعنى في الجملة القسرية، وتحديد المقصور والمقصور عليه"^(١)، والأولى الحكم بما يكون للبلاغة قوة فيه؛ لأن هذه المفاضلة بين طرق القصر في سياق علم البلاغة، فتقديم الأقوى يجب أن يكون بما يخدم الغرض البلاغي.

المطلب الثالث: إنشاء الطلب.

تحدّث علماء البلاغة في باب إنشاء الطلب عن الاستفهام، وذكروا المعاني التي يخرج إليها الاستفهام غير معناه الأصلي، وهو طلب حصول صورة في الذهن، وعند تحديد هذا الانزياح عن المعنى الأصلي للاستفهام، جعل السَّعد الذُّوق هو الحاكم في ذلك، فقال بعد أنْ عَدَّ المعاني المجازية التي خرج إليها الاستفهام: "والحاصل أنَّ كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقته، تولد منه بمعونة القرائن ما يناسب المقام، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف، ولا ينحصر أيضاً شيء منها في أدلة دون أدلة، بل الحاكم في ذلك هو سلامه الذُّوق وتتابع التراكيب، فلا ينبغي أنْ تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته من غير أنْ تخطأه، بل عليك بالتأصرف واستعمال الرَّؤوية والله هو المادي"^(٢).

فالاعتماد على الذُّوق هنا يفتح الآفاق للمتلقي في حمل التُّصوص على ما يقتضيه المقام، فالسعد يرى من القصور المعرفي الوقوف على المعاني التي ذكرها الخطيب في خروج الاستفهام عن معناه الأصلي، أو حتى طلب نص للاسترشاد به في معنى من المعاني التي يخرج إليها، ومن يحدد تلك المعاني هو فَهْمُ المتكلمي للقرائن والسياق الذي ورد النَّص فيه، يقول محمد أبو موسى معلقاً على ما ذكره السَّعد: "وهذا نصَّ كريم فيه لفت للدراس وإنماض وشحد وألا يقف عندما قرأ أو سمع، وإنما عليه أنْ يستخرج كما استخرج من سبقوه، وألا يكتفي بمضجه لما استخرجه غيره"^(٣).

وقد حَكَمَ السَّعد الذُّوق في الأغراض البلاغية التي خرج إليها الاستفهام، وفي توجيه الشواهد التي استشهد بها الخطيب على خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، من ذلك توجيهه قوله تعالى ﴿ أَهُمْ يَقُسِّمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ بأنَّ المنكر أنْ يكونوا هم القاسمين لا نفس القسمة^(٤)، ثم شرح ذلك في كتابه الآخر حيث قال: "والحق أنَّ أمثل هذه مفوضة إلى قرينة الحال واقتضاء المقام، وهي تختلف باختلاف الطَّبَاع والأفهام، فمن ادعى أحد الطرفين بمقتضى ذوقه وموجب فهمه فليس بحججة على من ادعى الطرف الآخر

(١) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٤، م٢٠٠٨، ١٢٨.

(٢) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٤٦/٢.

(٣) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، ٢٤١.

(٤) انظر: سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٤٠/٢.

كذلك، ولا منع أحددهما على الآخر بضائر ما لم تظهر جهة امتناع هنالك^(١).

وعند النّظر إلى كتب البلاغة فإننا نجد هم مجتمعين على أنَّ الاستفهام يخرج عن معناه الأصلي في مواطن كثيرة، وأنَّ السياق هو الذي يحدد تلك المعاني، بناء على ذوق قارئ النّص؛ لذا ينبغي تربية الذوق على الأساليب العربية الأصيلة؛ حتى يكون الحمل على المعاني غير الأصيلة للاستفهام موافقاً لسياق الكلام، غير خارج عن طرق العرب في ورود تلك المعاني، يقول العصام: "وبعدما سمعتُ نُبُدا من علاقات المجاز للاستفهام تمكّنت من تخيل وجوده لم تُسمِعْ؛ فلذا تركنا المراء ونفسه، فكلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على الحقيقة فافهم منها ما يناسب المقام مما سمعتْ، أو تؤديك إليه الفطرة السليمة عن السَّقَام، وكذا إذا لم يمتنع حملها على الحقيقة، لكن دلتُك القرينة على ما يُتَوَسَّلُ إليه بالحقيقة فتمسَّك بالكتابية على حسب الدّراية، فإنَّ ساحة الفكر هنا رحيبة، والفطرة السليمة فيما تستحسن مصيبة، ولست مقتصرًا على السَّمِع والطاعة؛ إذ العقل فيه كمال البراعة"^(٢).

فالعصام يوسع دائرة الحمل على المعاني غير الأصيلة في الاستفهام، فهو يرى أنَّ الاستفهام يمكن أن يُحمل إلى جانب معناه الأصلي معاني أخرى تُفهم من السياق، ويدل عليها الذوق السليم، وعلماء البلاغة وإنْ اتفقوا على خروج الاستفهام عن معناه الحقيقى، إلا أنَّهم اختلفوا في الطريق الذي يخرج منه عن معناه الأصلي، إلى ثلاثة طرق: المجاز، أو الكتابة، أو مستبعات التراكيب، وقد أشار إليها السيالكوتى حيث قال: "كان ذلك بطريق المجاز... وإنْ كان كتابة أو من مستبعات التراكيب على حسب ما يقتضيه المقام"^(٣) وبترجح الطريق الذي خرج منه الاستفهام عن معناه غير الأصلى، نعرف في أيّها دخل الذوق ليحكم، وقد رَجَحَ الشِّيخُ مُحَمَّدُ أَبُو مُوسَى طَرِيقَ مُسْتَبعَاتِ التَّرَاكِيبِ^(٤)، ومستبعات التراكيب كما عَرَفَها السيالكوتى: "هي المعاني التضمينية والالتزامية التي تُفهَمُ في ضمن المدلولات المطابقة من غير تعلق قصد المتكلم بها"^(٥)، و"مقصودة من اللُّفْظِ تَبَعَا لَا أَصَالَةً وَإِنْ تَعَلَّقْ بِهَا مَقْصُودُ المُتَكَلِّمِ" فالقصد له اعتباران: القصد باللفظ، والقصد بالسياق^(٦)، والتَّخْرِيجُ عن طريق مستبعات التراكيب بأنْ يكون الانتقال من المعنى الأصلي إلى المعنى البلاغي بطريق الاستلزم التبعي، "التَّبَعِيَّةُ مُنَوَّطةٌ بِقَصْدِ المُتَكَلِّمِ فِي عُرْفِ الْبَلَاغَةِ لَا

(١) سعد الدين التفتازاني، شرح مفتاح العلوم، ١/١٦١.

(٢) إبراهيم بن محمد عريشاد، الأطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ١/٥٩٥.

(٣) عبدالحكيم السيالكوتى، حاشية السيالكوتى على المطول، ٣/٢٧٩.

(٤) محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، ٢١٩.

(٥) حاشية السيالكوتى على المطول، ٤/٢٥٧.

(٦) ياسر محمد بابطين، مستبعات التراكيب، دراسة مصطلحية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (٢٠١٨)،

العدد: ١، مجلد: ٢٦، ١٥٠.

في أصل الوضع^(١):

والذي ذهب إليه الشيخ محمد أبو موسى هو الراجح - فيما يظهر لي - وذلك لأمور:

- أنَّ الفرق بين مستبعات التراكيب والمحاز هو أنَّ مستبعات التراكيب لا تطلب العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى التَّبعي، وإنما يكفي في مستبعات التراكيب أنَّ السياق يقبل ذلك المعنى، بخلاف المحاز والذي يطلب العلاقة، وهذا يوسع دائرة التَّحريج على مستبعات التراكيب، وعلماء البلاغة مع ذلك التَّوسيع، ومن خرَّج الاستفهام على طريق المحاز: إما استعارة أو محازاً مرسلاً، تكُلُّف في بيان العلاقة.

- أنَّ الفرق بين مستبعات التراكيب والكلنائية أنَّه في الكلنائية لابد من تلازم بين المعنى الحقيقي والكلنائي؛ ليصح الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الكلنائي، بخلاف مستبعات التراكيب، فإنَّ الانتقال من المعنى الحقيقي إلى غيره، يكون عن طريق الذَّوق، تبعاً لما يُفهَمُ مِنْ السياق؛ لذا يكون الانتقال فيها أوسع.

على أنَّ السيالكوتي يجعل أمر خروج الاستفهام عن معناه الأصلي متارجحاً بين هذه الطرق الثلاثة: المحاز والكلنائية ومستبعات التراكيب؛ إذ يقول معلقاً على كلام السَّعد: "ظاهر كلامه يدل على أنَّها محازات في تلك المعاني كما يشير إليه قول الشَّارح رحمه الله... لكن التَّحقيق أنَّه قد يُرَادُ منها تلك المعاني بطريق المحاز، وقد يُرَادُ بطريق الكلنائية، وقد يُرَادُ بطريق أنَّها مستبعات التراكيب"^(٢)، ويضع لذلك معياراً بأنَّ الكلام إذا امتنع حمله على معنى الاستفهام الحقيقي حُمِلَ على المحاز، أما إنْ بقي معنى الاستفهام فإنَّه يحمل على الكلنائية أو مستبعات التراكيب بحسب السياق.

ومثل صنيع السَّعد في المعاني المحازية للاستفهام كان صنيعه عند خروج النَّداء إلى معانٍ مجازية غير معناه الأصلي، فأطلق السَّعد قاعدة في ذلك، وهي أنَّ المعاني التي يخرج إليها النَّداء لا يمكن حصرها، أو الوقوف عليها كلها، وإنما يُترك ذلك لما يستخرج منه الذَّوق بمعونة المقام، قال في نهاية تعداده تلك المعاني: "أمثال هذه المعاني كثيرة في الكلام، فتأمل واستخرج ما يناسب المقام"^(٣).

وقد أعمل السَّعد الذَّوق في استخراج المعاني التي خرج إليها النَّداء عن معناه الحقيقي، وذكر عديداً من المعاني التي لم يذكرها الخطيب في التلخيص ولا في الإيضاح، فاكتفى الخطيب بذلك معينين فقط لخروج النَّداء عن معناه الحقيق وهو: الإغراء والاختصاص^(٤)، وزاد عليه السَّعد معانٍ متعددة، هي: الاستغاثة،

(١) ياسر محمد بابطين، مستبعات التراكيب، دراسة مصطلحية، ١٤٧.

(٢) حاشية السيالكوتي على المطول، ٣ / ٢٧٨.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢ / ٢٦٤.

(٤) انظر: جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ١٧٢، وانظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم

والتعجب، والتَّدْلُهُ والتَّحْيُرُ، والتَّوْجِعُ والتَّحْسِرُ، والنَّدْبَةُ، وقد استشهد للك ذلك مستخدماً الذَّوق في توجيهه تلك الشواهد، واستخراج المعاني منها، قال في خروج النداء عن معناه الحقيقي إلى التَّدْلُهُ والتَّحْيُرُ: "كما في نداء الأطلال والمنازل والمطابيا ونحو ذلك... وكقوله:

يَا نَاقٌ حِدَيْ فَقَدْ أَفَنَتْ أَنَاثِكِ بِي صَبَرِي وَعُمْرِي وَأَحْلَاسِي وَأَنْسَاعِي^(١)

وفي الحديث عن جواز تقدير الشرط في أربعة من أنواع الطلب، وهي: التَّمْني والاستفهام والأمر والنَّهْي، وأنَّه قد يُلْحِقُ بها غيرها في تقدير الشرط إذا دَلَّتْ قرينة على ذلك، من مثل قوله تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ اللَّهُ هُوَ أَلَوَّنُ﴾ [الشورى: ٩] فَيُقَدَّرُ الشرط هنا إِنْ اتَّخَذُوا ولياً بِحَقِّهِ، قال الرمخشري: "فالباء في قوله ﴿اللَّهُ هُوَ أَلَوَّنُ﴾ جواب شرط مقدر، كأنَّه قيل بعد إنكار كل ولي سواه: إِنْ أَرَادُوا ولياً بِحَقِّهِ فالله هو الولي بِالْحَقِّ لَا ولي سواه".^(٢)

والهمزة في قوله ﴿أَتَخَذُوا﴾ قيل: هي همزة استفهام، وهمزة الوصل ممحوقة؛ لأنَّ أم المقطوعة يقدر بـ"بل" وهمزة الاستفهام لا بأحدهما في المشهور^(٣)، وقيل: همزة الاستفهام ممحوقة فـ"فَقَدَّرَ" بعد أم، فيكون المعنى: بل أَتَخَذُوا من دونه أولياء، أي أتوا منكراً لما اتَّخَذُوا من دون الله أولياء^(٤).

ويقرر السَّعد هنا قاعدة في الرَّد على مَنْ زعم أَنَّ قوله تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ اللَّهُ هُوَ أَلَوَّنُ﴾ [الشورى: ٩] بـ"أنَّه إنكار توبیخ بمعنى لا ينبغي أنْ يتَّخِذُوا من دون الله أولياء، فيكون قوله تعالى ﴿اللَّهُ هُوَ أَلَوَّنُ﴾ تقريراً للمعنى الأول، من غير تقدير شرط هنا، مثل قولك: لا ينبغي أنْ تعبد غير الله، فالله هو المستحق للعبادة، فيقول في الرد على هذا الاعتراض: "قلت: ليس كل ما فيه معنى الشيء حكمه حكم ذلك الشيء، ولا يخفى على ذي طبع حُسْنٍ قولنا: لا تضرب زيداً فهو أخوه، بالفاء، بخلاف اتضارب زيداً فهو أخوه؟ استفهام إنكار، فإنه لا يحسن إلا بالواو الحالية، وذلك لأنَّهم - وإنْ جعلوا استفهام الإنكار بمعنى النفي - لم يقصدوا أنْ لا فرق بينهما أصلاً؛ لأنَّ كل سليم الذَّوق يجد من نفسه التَّقاوت، وأنَّه يصح وقوع أحدهما حيث لا يصح وقوع الآخر، وحذف الشرط في الكلام كثير".^(٥)

والعلة من تقدير الشرط هنا والاعتماد على الذَّوق في ذلك التقدير، وبقاء الجواب في الجملة إنما هو

البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجليل، ط٣، ١٩٩٣م، ٣/٩١.

(١) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٦٣/٢.

(٢) محمود بن عمر الرمخشري، الكشاف، ٣٩٨/٣.

(٣) انظر: إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القوноي على تفسير الإمام البيضاوي، تحقيق: عبدالله محمود محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م، ٢٢٧، ٢٠٥/٢٠٥.

(٤) انظر: الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية، ٢٥/٣٩.

(٥) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢/٢٥٨.

تكثير للفائدة وتأنيس بتقديره كما ذكر ذلك الدسوقي^(١)، والعبارة إذا احتمل تقدير ما يجوز فيه التقدير، وحملت إلى ذلك معنى يزيد من بلاغة النَّصِّ، فالاُولى حملها عليه، فعلى عدم تقدير الشرط في الآية المذكورة تكون الفاء في قوله ﴿فَاللهُ هُوَ الْأَوَّلُ﴾ تعليلاً للنفي، ويكون معنى الآية أَكَّا حملت النفي وعلته، نفت الولاية عن غير الله وعللت بأنَّ الله هو المستحق للعبادة، وأما على تقدير الشرط فتكون الفاء رابطة لجواب الشرط، وقد سار المغربي على رأي السَّعد في ذلك فقال: "والشاهد في صحة هذا الكلام وهو لا تضرب زيداً فهو أخوه، دون أن تضرب زيداً فهو أخوه، الذوق الناشئ عن تتبع الاستعمال".

المبحث الرابع: حاكم الذوق في قراءة النصوص.

تعددَت المواطن التي حَكَمَ فيها السَّعد الذوق في قراءة النصوص التي استشهد أو احتجَ بها، وإنْ كان في المباحث السابقة شيءٌ من هذا، فإنَّ هذا المبحث احتضن بما نصَّ عليه في قراءة الشواهد، وهي -أي الأحكام- إما أنْ ينقلها عن غيره، أو هو يُصدِّرُها، فمن الأول ما نقله عن عبدالقاهر الجرجاني، وذلك عند مناقشة تعريف الحقيقة العقلية عند الخطيب القزويني وهو "إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر"^(٢) وافتراض اعتراضًا وارداً عليه بأنه غير مطرد ولا منعكس، واستدلل للاعتراض الأول وهو عدم الاطراد بأنَّ التعريف يَصُدُّق على قول النساء:

فِإِنَّمَا هَيِّإِنْقَالٌ وَإِدْبَارٌ

مع أَنَّه مجاز، ففي بيت النساء وصف الفاعل بالمصدر، والإسناد هنا إلى المبتدأ (هي)، فيكون الإسناد إلى ما هو له عند المتكلم، وهذا يدخل في تعريف الحقيقة عند الخطيب مع أَنَّه مجاز، قال الشريف الجرجاني في توضيح محل الإشكال: "أقول: وذلك لأنَّ الإقبال والإدبار أمران ثابتان للنَّاقة من حقهما أنْ يسندَا إِلَيْهَا، فيصدق على إسنادهما إِلَيْهَا أَنَّه إسناد الفعل إلى ما هو له"، فاندرج في تعريف الحقيقة مع أَنَّه مجاز"^(٣).

وقد جعل عبدالقاهر البيت من المجاز، فقال: "وما طريق المجاز فيه الحكم، قول النساء... وذاك أَكَّا لم تُرِدْ بالإقبال والإدبار غير معناهما، فتكون قد تحوَّزت في نفس الكلمة، وإنَّما تحوَّزت في أنْ جعلتها لكثرة ما تُقْبِلُ وَتُدْبِرُ، ولغابة ذاك عليها واتصاله منها، وأنَّه لم يكن لها حال غيرهما، كَأَكَّا قد تحسَّمت من الإقبال والإدبار"^(٤).

أما التَّخْرِيج الذي خرَّجه السَّعد للخطيب القزويني بعدم اطراد تعريفه للحقيقة، بأنَّ الإسناد إلى المبتدأ

(١) محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، ٢ / ٣٣١.

(٢) جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ٤٥.

(٣) السيد الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، تحقيق: رشيد أعرضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ٧٦.

(٤) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣٠٠.

- كما في البيت الشّاهد - ليس بحقيقة ولا مجاز عنده فقال: "جوابه أنَّ لفظة (ما) في التعريف عبارة عن الملابس، أي إلى فاعل أو مفعول به هو له، على ما صرَّح به... وهذا إسناد إلى المبتدا، والإسناد إلى المبتدا عند لبس ليس بحقيقة ولا مجاز" ^(١).

أمَّا منْ أول بيت النساء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فإنَّه خرج بالشعر عن معناه إلى كلام مرذول، قال عبدالقاهر الجرجاني منتقداً ذلك التَّخريج: "إذاً إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا: فإنَّما هي ذات إقبال وإدبار، أفسدنا الشعر على أنفسنا، وخرجنا إلى شيء مغسول، وإلى كلام عامي مرذول... في أنا نخرج إلى العثاثة، وإلى شيء يُعَزِّلُ البلاغة عن سلطانها، ويُخَفِّضُ من شأنها ويُصْدُّ أوجهها عن محسنها، ويَسْتُدُّ باب المعرفة بها وبلطائفها علينا... فمما لا مساغ له عند من كان صحيح الدُّوق صحيح المعرفة، نسبة للمعاني" ^(٢)، والسعَد تبني هذا الرأي حين نقله، ولم يتعرض تخريج تعريف الخطيب على تأويل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه؛ لأنَّ هذه القراءة تُضعف المعنى الشّعري، وتزييل المبالغة التي أرادتها الشّاعرة من وصف الحال.

وقد ذكر علماء البلاغة واللغة لهذا الشّاهد توجيهات عدَّة، أبرزها: الأول: أنَّ مجاز عقلي بحمله على الظاهر، وجعل المعنى نفس العين مبالغة، وهذا رأي عبدالقاهر الجرجاني الذي وافقه السعد عليه، وهو رأي أكثر علماء اللغة، مثل سيبويه ^(٣) وابن جني، وغيرهما، الثاني: أنَّ المصدر في تأويل اسم الفاعل؛ فيكون المعنى: فإنَّما هي مقبلة مدبرة، والثالث: أنَّه على تقدير مضاف ممحوظ أي ذات إقبال ^(٤).

وبهذا نعلم أنَّ اللغة الشعرية لغة خاصة، تحمل في طياتها خيالاً واسعاً، وأنَّ القراءَتها قواعد محددة استمدَّها العلماء من كلام العرب، وقد علل العصام قول من قال بتقدير المضاف بأكمله أرادوا بيان أصل الكلام، لا حمل المعنى عليه، قال: "ومن قال من يُعَنِّدُ بشأنه: إنَّه بتقدير المضاف، قصد أنَّ أصل الكلام فيه ذلك، بل المعنى أنَّها لكتراة إقبالها وإدبارها كائناً تجسَّمت منهما، فالجاز في إسناد الإقبال؛ لأنَّه وإنْ كان لها من حيث القيام بها لكنَّه ليس لها من حيث الحمل والاتحاد، فأقبلت حقيقة وهي إقبال مجاز" ^(٥).

والسعَد قد نقل كلام الجرجاني مؤيداً له، ورداً به على من يدعى قصور تعريف الخطيب للحقيقة، محتاجاً بتخريج البيت على ما ذكر، وكذا تخريج تعريف الخطيب دون المساس بالمعنى الشعري للبيت، ويُفهم من صنيع السعد أنَّ تفسير الشعر لا يكون بالوقوف على الحدود اللغوية، وإنما يُقدم الخيال في ذلك، فلغة

(١) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٠٧ / ١.

(٢) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٣٠٢.

(٣) انظر: سيبويه، الكتاب، ٣٣٧ / ١.

(٤) انظر: محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٣٧٤ / ١.

(٥) إبراهيم بن محمد عريشاد، الأطوطل، شرح تلخيص مفتاح العلوم، ٢٦٢ / ١.

الشعر لغة خاصة، ترقى عن اللغة العامة، وإلى هذا أشار عبدالقاهر الجرجاني^(١).

وهنا يمكننا أن نستنبط قواعد السعد في قراءة النصوص الشعرية، وأنَّ اعتمادها على الذوق، وعدم الوقوف على الحدود اللفظية أو النحوية، وأنَّ الأصل في ذلك ما يميله الذوق السليم، والمعروفة بطرق العرب في اللغة الشعرية، وهذا المنهج هو عينه منهج عبدالقاهر الجرجاني، بل إنَّ الذوق هو الذي يفصل في الحكم بين الأوجه النحوية الجائزة في الشاهد، وفي هذه النَّظرة إعلاء من شأن الذوق، قال في شرح المفتاح عند الشَّاهد: "إذا لو قيل: إنما هي مقبلة مدبرة، أو ذات إقبال وإدبار، لم يكن كلاماً يُعَذِّبُ به"^(٢)، أي في بيان المعنى الشعري.

وهنا يظهر لنا دقة السعد في مناقشة مثل هذه الدقائق البلاغية -والتي لم تناقش في كثير من الكتب البلاغية- ومن خلالها أظهر تحكيم الذوق، ويدل على ذلك قوله في المختصر بعد أن عرض لمسائل الحقيقة والمجاز: "وها هنا مباحث نفيسة وشحنا بها الشرح"^(٣).

وعند الحديث عن تعريف المسند إليه بالموصولة وأغراضه البلاغية، اعترض الخطيب على قول السكاكي: "وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقوله:

إِنَّ الَّتِي ضَرَبَتْ بَيْنَ مَهْمَاجِرَةٍ بِكُوفَةِ الْجَنْدِ غَالَتْ وَدَهَا أَعْوَلُ

وربما جعل ذريعة إلى التنبية للمخاطب على خطأ، كقوله:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْرَاجَهُمْ يَشْفِي عَلَيْهِمْ صُدُورِهِمْ أَنْ تُضْرِعُوا"^(٤)

قال الخطيب في اعتراضه^(٥): "وفيه نظر، إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر فرق، فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني؟ والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقبيشه عليه"^(٦).

ولتفصيل محل النزاع بين الخطيب والسكاكني ننظر إلى اعتراض الخطيب من وجهين:
الأول: عدم تفرقة الخطيب بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر، وقد ردَّ السبكي هذا القول، وقال: "الفرق بينهما واضح، فإنَّ الإيماء إلى وجه بناء الخبر أنَّ تذكر ما يناسبه، وتحقيق الخبر أنَّ تذكر ما

(١) انظر: سعد الدين التفتازاني، المطول، ١ / ٢٠٦.

(٢) سعد الدين التفتازاني، شرح مفتاح العلوم، ٣ / ٤٢٠.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المختصر، شرح تلخيص المفتاح، ١٥٧.

(٤) يوسف بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، ٢٧٥.

(٥) انظر تفصيل هذا الاعتراض في: مامادو دامبلي، اعتراضات الخطيب القرزي على السكاكي في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير، النيجر: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٦م، ٦٣، وما بعدها.

(٦) جلال الدين القرزي، الإيضاح في علوم البلاغة، ٢ / ١٧.

يتحقق وقوعه بائيّ نوع كان، والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح^(١). ولعل الخطيب هنا يرى أنَّ الإيماء إلى تحقيق الخبر يدخل ضمن الإيماء إلى بناء وجه الخبر، فلا فرق بينهما، ومنْ فرق إنما جزءٌ مجرء، وقسم مقسم.

الثاني: الاعتراض على الاستشهاد بالبيت الثاني، بأنَّه ليس فيه إيماء إلى وجہ بناء الخبر، بل قد يكون فيه إيماء إلى بناء نقضيه، بمعنى أنَّ التعريف بالموصولة لم يف ببناء الخبر، لأنَّ الخبر جاء خلاف ما ظنَّ له، وقد اختلف في مراد الخطيب بقوله: "في البيت الثاني" أي بيت يقصد؟ وقد حمله السعد على قوله:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْرَجُوكُمْ يَشْفِي عَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرِعُوا^(٢)

فقال: "وجوابه: أنَّ العُرف والذوق شاهد صدق على أنَّك إذا قلت عند جماعة يعتقدون المخاطبون إخوانًا خلصاً: إنَّ الذين تظنوهم إخوانكم، كان فيه إيماء إلى أنَّ الخبر المبني عليه أمر ينافي الأخوة ويباين الحبة"^(٣). قال الإنباري في تفسير الإشكال هنا: "أنَّ منشأ اعتراض المصنف [أي الخطيب] عدم الالتفات للعرف والذوق، ولو التفت إليهما لما اعترض، والحاصل أنَّ المصنف [أي الخطيب] لما لم يظهر له الإيماء في البيت جعل النكمة تنبئه المخاطب على الخطأ، والسكاكى لما ظهر عنده الإيماء بالوجه الذي بينه الشارح في الجواب جعل النكمة هي الإيماء إلى وجہ بناء الخبر المتossl به إلى تنبئه المخاطب على الخطأ"^(٤).

وعند إمعان النَّظر في وجه اعتراض الخطيب يتضح أنَّه لم يُرد بقوله: البيت الثاني، البيت المذكور الذي أجاب عنه السعد، وإنما أراد البيت الآخر، وهو قوله:

إِنَّ الَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتَ مَهْاجِرَةً بِكُوفَةِ الْجَنْدِ عَالَتْ وَدَهَا غُولُ

فالخطيب يمتلك من الذوق السليم، والحسن الوعي، والذرية على قراءة النصوص، ما يجعل حمل كلامه على البيت الآخر هو الأولى، ولا معنى في حمل كلامه على البيت الأول، ففساد المعنى ظاهر، وبذلك نستطيع دفع العَجَب الذي أطلقه السبكي من اعتراض الخطيب، إذ يقول: "ثم قوله: لا يبعد أن يكون فيه إيماء عجيب، فإن فيه التصریح بذلك قطعا"^(٥).

وأيضا يمكننا توجيه اعتراض الخطيب في حال أستقطنه على البيت الثاني، وهو قوله:

إِنَّ الَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتَ مَهْاجِرَةً بِكُوفَةِ الْجَنْدِ عَالَتْ وَدَهَا غُولُ

(١) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ٣١١ / ١.

(٢) يوسف بن محمد السكاكى، مفتاح العلوم، ٢٧٥.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٥٨ / ١.

(٤) الشمس الإنباري، حاشية الإنباري على المطول، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٣١هـ، ١ / ٦٠.

(٥) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح، ٣١٢ / ١.

بما أورده الدكتور محمد أبو موسى، إذ قال: "وتعجبني هنا لفتة الخطيب، ويبدو أنه كان أرق نفساً، وأسلس طبعاً من السكاكي... وقد أدرك الخطيب في هذا معنى دقيقاً في الغزل، هو أنَّ الحرمان من الصَّاحبة أذكى لجنوة الحب إنْ كانت صادقة، وهذا ما عليه أهل الحس والشعور، وقد عَبَّر عنه الشعراء من ذوي الطبع الصادق"^(١).

وتفسير ذلك ما قاله الدكتور بسيوني فيود إذ قال: "فقد جرت عادة الشعراء على أنَّ الْبُعْدَ والحرمان يُلْهِبُ العاطفة ويضاعف الشَّوق والحنين... أما عَبْدَة فقد انقطع حُبُّه وزال وَدُه لخولة بعد أنْ هاجرت وأقامت بعيداً عنه، وبيان ذلك أنَّ جملة الصلة: (ضَرَبَتْ بَيْتًا مُهَاجِرَةً بِكُوفَةَ الْجَنْدِ) تؤمِّن إلى أنَّ وجه بناء الخبر هو اشتعال نار الحب وازدياد الود الروحي بينهما، ولكن الشَّاعر خالف هذا، وبَيْتُ الخبر بناءً معايراً إذ جعله زوال الحب وانقطاع الود، (غَالَتْ وَدَهَا عُولُ) وهذا ينافق ما جرت عليه عادة الشعراء"^(٢).

أما إذا جعلنا الغرض على ما قال السكاكي، بأنَّ جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، فيكون المعنى: أَكَّها ابتعدت عن دياره، وابتنت لها بيتها في كوفة الجندي، وهذا يومئ إلى زوال الحب، مع تبيان سبب زوالها، وهو أَكَّها بنت بيته بعيداً عنه، قال التفتازاني مؤيداً لهذا المعنى: "فَإِنَّ فِي ضَرَبِ الْبَيْتِ بِكُوفَةَ وَالْمَهَاجِرَةِ إِلَيْهَا، إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ طَرِيقَ بَنَاءِ الْخَبَرِ مَا يَبْنِي عَنْ زَوَالِ الْحُبَّ وَانْقِطَاعِ الْمَوْدَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَحْقِّقُ زَوَالَ الْمَوْدَةِ وَيَقْرُرُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ بَرَهَنَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مَعْنَى تَحْقِيقِ الْخَبَرِ"^(٣).

و لاشكَّ أَنَّ طريقة تعاطي الخطيب مع البيت، أقرب إلى روح الشعر، وله شواهد عديدة من شعر العرب، وطريقة تعاطيهم مع هذا المعنى، فيكون هذا مما يعبَّر عن عَبْدَة، حيث إنَّه جاء بالخبر على خلاف ما بُنِيَ عليه، وما يدللنا أنَّ الخطيب أراد من البيت الثاني وهو قوله:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْرَانَكُمْ يَشْفَفُونَ عَلَيْكُمْ صُدُورِهِمْ أَنَّ تُصْرِعُوهَا

أنَّ اعتراضه الأول كان على البيت الآخر، فيكون عكس اعتراضه بأنَّ بدأ بالبيت الثاني على ترتيب السكاكي ثم انتقل إلى البيت الأول، والذي أطلق عليه البيت الثاني.

وبهذا يكون اعتراض الخطيب له، لا عليه في سلامه الدُّوق، وفي اعتراضه بيان لسلامة ذوقه، ومحسِّن قراءته للنصوص الشعرية، ويكون بذلك قد فاق السكاكي ومن تبعه في جمال الدُّوق في هذا الموضوع، وهذا يكون فهم السَّعد ليس صواباً، وبذلك يسقط اعتراضه.

(١) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ٢٣٤.

(٢) بسيوني عبدالفتاح فيود، علم المعاني، القاهرة: مؤسسة المختار، ٢٠١٠م، ط٣، ١٢١.

(٣) سعد الدين التفتازاني، المطول، ٢٦٠/١.

خاتمة

بعد عرض الموضع التي حكم فيها السعد الذوق في إطلاق الحكم البلاغي، وتصنيفها ودراستها دراسة تحليلية، تجلّى لي عديد من النتائج، انطلقت من خلال دراسة الكتاب دراسة موضوعية، دون التأثر بالأمور الخارجية عنه، يمكن إجمالها فيما يلي:

- بيان خطأ الأحكام الذي أُلْصِقَ بالسَّعد، من أَنَّه أفسد الذوق العربي، وأنَّ هذا الحكم بناءً من قال به على عجمة المؤلف، وهذا تعليل باطل، فليس الجنس العربي ما يُنْتَكِمُ إليه في ذلك.
- أنَّ الدَّاعِي لهذا الحكم: انصراف النَّاس في العصر الحديث إلى كتب السَّعد وخاصة في الأزهر الشريف، حيث ظهر عديد من العلماء الذين يُحْلِّون كتابات السَّعد، ويقررونها على طلابهم، وهذا أنتجه هجمة مضادة تقلل من عمل السَّعد، وتنْصِصُ التَّهُمَ به.
- يرى السَّعد أهمية الذوق في إدراك بلاغة النصوص، ولا سيما بلاغة القرآن الكريم، وأنَّ العلم المكتسب من الفنون البلاغية هو ما يعين على ذلك الذوق؛ من هنا وجوب الاهتمام بالفنون البلاغية، فيها يُدْرِك إعجاز القرآن.
- أنَّ السَّعد كان متابعاً لمن سبقه في منهج كتابه، فقد اقتصر على ما أورده الخطيب في كتابه، وقد احتكم في عديد من الموضع إلى الذوق البلاغي، بل انتقد الخطيب في بعض الموضع مستخدماً حاكماً الذوق، وإنْ لم يصب في بعض انتقاداته.
- اقتصر الاحتكم إلى الذوق عند السَّعد على علم المعاني وذلك لغموض الدرس البلاغي في علم المعاني، فهو يحتاج إلى زيادة شرح وتفصيل، وتختضع النُّكَات البلاغية فيه للأدوات المستخدمة في التركيب، والتي تفاد من علم النحو، أو على اختيار الصيغ المناسب للتعبير كال فعل الماضي أو المضارع؛ مما يجعل الاحتكم فيه إلى الذوق دقيقاً يحتاج إلى توضيح.
- أنَّ الموضع التي احتكم فيها السَّعد إلى الذوق كان موافقاً فيها للبلغيين، وإنْ كان مخالفاً للنحوين، وهذا ما يدل على علو حسَّه في قراءة النصوص أو توجيه طريقة قراءتها.
- تعدد المواطن التي حكم السعد الذوق فيها، ما بين تقرير القواعد البلاغية أو ردّها، وكذلك تحليل الشواهد البلاغية، أو ترجيح الأقوال فيها، وقد أحسن في استخدام الذوق في تلك الموضع، وإنْ كان في قليل منها جانب الصواب.

وفي نهاية الدراسة أقول: هذا جهد المقل، بما كان فيه من الصواب بفضل الله وملائكته وكرمه، وما كان فيه من الخطأ والتّقصير فمني ومن الشيطان، وأسأل الله عز وجل القبول والغفران.

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طباعة، ط٣، مصر: دار نهضة مصر.
- ٢ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبدالله الدرويش، دمشق: دار عرب، م٢٠٠٤.
- ٣ - ابن عاشور، الطاهر، **التحريير والتنوير**، تونس: الدار التونسية.
- ٤ - ابن عريشاد، إبراهيم بن محمد، **الأطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، م٢٠٠١.
- ٥ - أبو ستيت، الشحات محمد، **مقاييس البلاغيين في فصاحة الكلمة**، مصر: مطبعة الأمانة، م١٩٩١.
- ٦ - أبو موسى، محمد، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٣، م٢٠١٧.
- ٧ - أبو موسى، محمد، **خصائص التراكيب**، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٨، م٢٠٠٩.
- ٨ - أبو موسى، محمد، **دلالات التراكيب**، دراسة بلاغية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٤، م٢٠٠٨.
- ٩ - الإنباي، الشمس، **حاشية الإنباي على المطول**، مصر: مطبعة السعادة، هـ١٣٣١.
- ١٠ - الأندلسبي، أبو حيان، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقى محمد جميل، بيروت: دار الفكر، م٢٠١٠.
- ١١ - بابطين، ياسر بن محمد، **التذوق منهجاً للتلقى وصناعة المعرفة**، حوليات آداب عين شمس، المجلد: ٤، العدد: إبريل م٢٠٠٨.
- ١٢ - بابطين، ياسر محمد، **مستبعات التراكيب**، دراسة مصطلحية، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، (٢٠١٨)، العدد: ١، مجلد: ٢٦.
- ١٣ - سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، م١٩٨٨.
- ١٤ - التفتازاني، سعد الدين، **المختصر: شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عجاج عودة برغس، دمشق: دار التقوى، م٢٠٢١.
- ١٥ - التفتازاني، سعد الدين، **شرح مفتاح العلوم**، تحقيق: عجاج عودة برغس، دمشق: دار التقوى، م٢٠٢٢.
- ١٦ - التفتازاني، سعد الدين، **المطول، شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبدالعزيز السالم، وأحمد

- السديس، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠١٩ م.
- ١٧ - الشبيتي، عامر بن عبدالله، المأخذ على فصاحة الشعر إلى نهاية القرن الرابع الهجري، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٨ هـ.
- ١٨ - الجاحظ، عمرو بن بحر، *البيان والتبيين*، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الجيل.
- ١٩ - الجرجاني، السيد الشريف، *الحاشية على المطول*، تحقيق: رشيد أعرضي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧ م.
- ٢٠ - الجرجاني، عبدالقاهر، *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، جدة: دار المدى، ط٣، ١٩٩٢ م.
- ٢١ - الحنفي، إسماعيل بن محمد، *حاشية القوноي على تفسير الإمام البيضاوي*، تحقيق: عبدالله محمود محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١ م.
- ٢٢ - الخفاجي، محمد بن سنان، *سر الفصاحة*، تحقيق: داود غطاشه الشوابكة، الأردن: دار الفكر، ٢٠٠٦ م.
- ٢٣ - الخولي، أمين، *مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب*، القاهرة: دار المعرفة، ١٩٦١ م.
- ٢٤ - دامبلي، مامادو، *اعتراضات الخطيب الفزوي على السكاكي في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة*، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير، النيجر: الجامعة الإسلامية، ٢٠١٦ م.
- ٢٥ - الدسوقي، محمد بن عرفة، *حاشية الدسوقي على مختصر المعاني*، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع.
- ٢٦ - الرازي، أحمد بن فارس، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩ م.
- ٢٧ - رضا، محمد رشيد، *تفسير القرآن الحكيم*، المشهور بـ*تفسير المنار*، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ٢٨ - الرماني، علي بن عيسى، *النكت في إعجاز القرآن*، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زعلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ط٥، ٢٠٠٨ م.
- ٢٩ - الزمخشري، محمود بن عمر، *الكافش*، بيروت: دار المعرفة.
- ٣٠ - السبكى، بهاء الدين، *عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح*، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع.
- ٣١ - السكاكي، يوسف بن محمد، *مفتاح العلوم*، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب

- العلمية، ط ٢، ٢٠١١ م.
- ٣٢ - السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية: إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- ٣٣ - الصعيدي، عبدالمتعال، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٩ م.
- ٣٤ - ضيف، شوقي، **البحث الأدبي**: طبعته، مناهجه، أصوله، مصادره، القاهرة: دار المعارف، ط ٧.
- ٣٥ - عبدالحكيم السيالكوتي، **حاشية السيالكوتي على المطول**، ضمن فيض الفتاح على حواشى شرح تلخيص المفتاح، القاهرة: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٩٠٥ م.
- ٣٦ - العليوي، يوسف بن عبدالله، **القضايا البلاغية لدى ابن خلدون**، مجلة العلوم العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: الثالث والعشرون، ربيع الآخر، ١٤٣٣ هـ.
- ٣٧ - فيود، بسيوني عبدالفتاح، **علم المعاني**، القاهرة: مؤسسة المختار، ط ٣، ٢٠١٠ م.
- ٣٨ - الفزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، ط ٣، ١٩٩٣ م.
- ٣٩ - الفزويني، جلال الدين، **التلخيص في علوم البلاغة**، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١١ م.
- ٤٠ - المبرد، محمد بن يزيد، **الكامل**، تحقيق: محمد أحمد الدالي، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ٤١ - المغربي، ابن يعقوب، **مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح**، ضمن شروح التلخيص، مدينة نصر: دار الكتب للنشر والتوزيع.

المشكلات الحسية لدى فئات ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر أولياء الأمور

والمحترفين

أ. آمنة إبراهيم علي عسيري

ماجستير التربية الخاصة، اضطراب طيف التوحد، معلمة بمركز خديجة بنت خويلد للتوحد بجازان

د.أحمد حسن محمد خضري

أستاذ التربية الخاصة المساعد ،جامعة الملك خالد

المخلص

هدف البحث الحالي إلى التعرف على الفروق في المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر أولياء الأمور والمحترفين، وتحقيق هدف البحث طبق الباحثان المنهج النوعي وفق تصميم دراسة الحالة على عينة قصدية تكونت من أربع أخصائيات وست أمهات لأطفال من ذوي اضطراب طيف التوحد بمركز للتوحد بجازان. وقد خللت البيانات واستخلصت النتائج عن طريق استخدام نموذج Ary et al. (2010) الذي يتضمن ثلاث مراحل: التنظيم والألفة، والتتميز والتقليل، والتفسير والتعميل. وأسفر البحث عن نتائج أبرزها: أنه على الرغم من مصاحبة المشكلات الحسية لجميع فئات ذوي اضطراب طيف التوحد؛ إلا أنها ظهرت بوضوح لدى ذوي اضطراب طيف التوحد الذين هم بحاجة لدعم كبير جداً (شديد) مقارنة بفئة ذوي اضطراب طيف التوحد الذين بحاجة لدعم كبير (متوسط) وفئة ذوي اضطراب طيف التوحد الذين بحاجة لدعم (بسيط). كما أظهرت نتائج البحث المشكلات الحسية الأكثر شيوعاً تبعاً لفئات ذوي اضطراب طيف التوحد، حيث جاءت المشكلات الحسية الدهلiziّة أولاً ثم السمعية والتذوقية الأكثر شيوعاً بين فئة اضطراب طيف التوحد الشديد؛ أما ذوي اضطراب طيف التوحد المتوسط فجاءت المشكلات الحسية الشمية أولاً ثم اللمسية والبصرية؛ أما ذوي اضطراب طيف التوحد البسيط فجاءت المشكلات الحسية السمعية أولاً ثم الدهلiziّة. وأشارت هذه النتائج إلى أن هناك ارتباطاً بين شدة أعراض اضطراب طيف التوحد وظهور المشكلات الحسية، وتأثيرها على تنمية مهارات الطفل وتطورها. كما تبين من نتائج البحث أن التدخلات الإيجابية التي تقوم بها الأخصائيات في المراكز، أو أولياء الأمور في المنزل، وأنها قد تكون ناجحة؛ إذا استخدمت بالطريقة الصحيحة. وخلص البحث إلى عدد من التوصيات التربوية والتدريجية للكوادر التعليمية وأسر ذوي اضطراب طيف التوحد.

الكلمات المفتاحية: اضطراب طيف التوحد، الاضطرابات الحسية، دراسة حالة.

The Sensory Problems among Autism Spectrum Disorder Categories from the Perspective of Parents and Specialists

Amnah Ibrahim Ali Asiri

Master of Special Education Teacher at Center of Khadija Bint Khuwailad for Autism in Jazan

Dr. Ahmed Hasan Mohammed Khodari

Assistant Professor of Special Education in King Khalid University

Abstract

The study aimed to identify the differences in sensory problems among autism spectrum disorder categories from the point of view of parents and specialists. It used the qualitative approach (case study), using an purposive sample consisting of four female specialists and six mothers of children with autism spectrum disorder enrolled at Center for Autism in Jizan. The data were analyzed, and conclusions drawn using Ary et al. (2010) which includes three stages: (1) Organizing and Familiarizing, (2) Coding and Reducing, and (3) Interpreting and Representing. The results of this study resulted in the followings: Although sensory problems are associated with all categories of autism spectrum disorder, they appear clearly in people with (Severe) autism spectrum disorder who need very significant support compared to the category of (Moderate) autism spectrum disorder that needs significant support and the category of (Mild) autism spectrum disorder that needs support. The vestibular disorder followed by sensory, auditory and gustatory disorders were the most common among severe autism spectrum disorder. As for people with moderate autism spectrum disorder, olfactory sensory disorders came in the first place, then the tactile and visual disorders. As for people with mild autism spectrum disorder, the auditory sensory disorders came first, then the vestibular ones. The results also indicated that there is a correlation between the severity of symptoms of autism spectrum disorder and the emergence of sensory problems and their impact on the development of the child's skills, and that the interventions carried out by specialists in centers or parents at home may be successful and have a positive impact if used in the right way. The study also recommended a number of educational and training recommendations for educational staff and families with autism spectrum disorder.

Keywords: Autism Spectrum Disorder, Sensory Disorders, A Case Study.

المقدمة:

بعد اضطراب طيف التوحد أحد أكثر الإعاقات انتشاراً في القرن الحادي والعشرين، حيث أشار آخر تقرير لمركز الوقاية والتحكم بالأمراض بالولايات المتحدة الأمريكية الذي صدر في (2018) أن هناك طفلاً من بين كل (44) طفل لمن أعمارهم (8) سنوات شُخصت حالته باضطراب طيف التوحد (CDC,2022). وفي المملكة العربية السعودية هناك ما يقارب (53) ألف حالة اضطراب طيف التوحد (هيئة رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة، 2017). كما أشار الباتي (2022) في دراسة حديثة إلى أن نسبة الإصابة باضطراب طيف التوحد في منطقة الرياض حوالي (1,50 – 2%) أي أنها (1) لكل (45) طفل، وهذه النسبة قريبة للنسبة العالمية.

وقد عرفت منظمة الصحة العالمية (2021) اضطراب طيف التوحد بأنه مجموعة اع前沿ات تظهر على شكل قصور في التواصل والتفاعل الاجتماعي وأنماط غير سوية في السلوكيات والأنشطة تظهر في السنوات المبكرة من حياة الطفل، لكنها لا تشخيص بشكل سريع، حيث إن بعض الأطفال قد يتتطور ويستطيع العيش بشكل مستقل، وبعضهم الآخر يحتاج للرعاية والدعم مدى الحياة. أما الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية في نسخته الخامسة الصادر من الجمعية الأمريكية للطب النفسي (2013) فقد حدد معيارين لتشخيص اضطراب طيف التوحد، وهما: القصور في التواصل والتفاعل الاجتماعي، وجود أنماط سلوكية واهتمامات وأنشطة محدودة وتكرارية ونمطية.

وتعد المشكلات الحسية من الخصائص المميزة والشائعة لدى أطفال اضطراب طيف التوحد، حيث عُدّت معياراً أساسياً في تشخيص التوحد كونها تدرج تحت "السلوكيات التكرارية والاهتمامات والأنشطة المقيدة"، التي تُعدّ من السمات الرئيسية لاضطراب طيف التوحد وفق ما حدده الدليل التشخيصي الخامس (مرسي، 2019)؛ إذ تقدر نسبة انتشارها بحوالي (90-95%), والتي قد تحدث بسبب ضعف تنظيم استثارة الجهاز العصبي المركزي (Randell & et al., 2019).

وتشمل المشكلات الحسية مختلف الحواس، ولكن تتفاوت درجة شدتها من طفل لآخر، كما تتفاوت شدتها من حاسة لأخرى، حيث تتراوح المشكلات الحسية بين الحساسية المفرطة للمثيرات مثل: الإضاءة العالية والصوت العالي؛ والحساسية المنخفضة مثل: رفض الاحتضان (الروبيلي و التل، 2019). وتظهر المشكلات الحسية لأطفال اضطراب طيف التوحد إما بسبب صعوبة أو خلل في دمج المدخلات الحسية (محمد و العنزي، 2020).

وتصنف المشكلات الحسية إلى فئات متعددة، حيث صنفها كل من الكويتي، الحوامدة، والخميسي (2013) إلى ست فئات: أولاً: مشكلات حسية سمعية، والتي تمثل في تجاهل الأصوات العالية كصوت الانفجار مثلاً، في المقابل الانزعاج من الأصوات العادبة الموجودة في البيئة الطبيعية كصوت زين الهاتف أو سقوط المطر على الأسقف؛ ثانياً: مشكلات حسية شمية، مثل شم الأقارب والناس المحيطين بهم، أو شم العابهم أو الأشياء من حولهم؛ ثالثاً: مشكلات حسية لمسية، والتي تتضح - على سبيل المثال - في عدم إبداء ردة فعل اتجاه الألم، فقد يرطم رأس الطفل بالجدار ولا يُدي أي ردة فعل لذلك، وفي المقابل بتجده شديد الحساسية اللمسية حين يقوم أحد ما بلمسه أو التقرب منه واحتضانه؛ رابعاً: مشكلات حسية بصرية، مثل: عدم نظر الطفل إلى من حوله بعين الاهتمام كأقرانه، وفي المقابل بتجده يمتنع النظر في الأجسام التي تدور كالألعاب أو عجلات السيارة؛ خامساً: مشكلات حسية تذوقية، مثل لحس المواد التعليمية أو الألعاب، ووضع الأشياء في الفم، أو رفض بعض الأطعمة بسبب طعمها؛ سادساً: مشكلات حسية دهليزية، مثل الشعور بالقلق من تغيير الروتين الذي اعتاد عليه فيرفض تغيير مكانه المعتمد وبيدي قلقه من التغيير لمكان آخر، وإظهار الخوف من الألعاب المتحركة في الحدائق العامة، والقيام بسلوكيات شاذة كاللفال والدوران حول نفسه.

وعلى الرغم من أن المشكلات الحسية من الخصائص الشائعة لدى أطفال اضطراب طيف التوحد؛ فإنه لا يعاني منها جميع الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، ومن هنا تبرز أهمية دور أولياء الأمور، حيث يجب عليهم فهم سلوك أطفالهم، وتعديل البيئة لتناءم مع احتياجاتهم بهدف إطفاء المشكلات وبناء علاقات جيدة معهم. وعليه فإن التدخلات المصممة جيداً لعلاج الوظائف الحسية تؤدي إلى تحسن القدرات الإدراكية واللغوية والاجتماعية وغيرها من المهارات لدى ذوي اضطراب طيف التوحد، حيث إن المدف الأصلي للتكامل الحسي هو تلقي محفزات حسية مناسبة لبناء استجابات تكيفية وغير شاذة (Akarsu & et al., 2020).

وفي هذا السياق، فإن هناك عدداً من الدراسات التي تناولت المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد، والبرامج العلاجية للحد من تلك المشكلات أو خفضها مثل دراسات (Iwanaga et al., 2014 ، ومرسي (2019)، والرويلي والتل (2019)، و(Akarsu et al.,(2020)، والشنيطي والزارع (2021)، ولينا وآخرون (2021)، و (Osorio et al 2021).

ومن هذه الدراسات دراسة Iwanaga et al., (2014) التي هدفت إلى التتحقق من فاعلية التكامل الحسي للأطفال اليابانيين ذوي اضطراب طيف التوحد مرتفعي الأداء، حيث تكونت العينة من

(20) طفلاً، قسموا إلى مجموعتين: الأولى تكونت من (٨) أطفال خضعوا بجلسات تكامل حسي فردية؛ والثانية تكونت من (١٢) طفلاً شاركوا في برنامج علاج جماعي، مدة تراوحت بين (٨-١٠) أشهر، وأسفرت نتائج الدراسة عن تطور ملحوظ في جميع الجوانب، عدا الجانب اللغظي في المجموعة الأولى التي خضعت لبرنامج التكامل الحسي مقارنه بالمجموعة التي لم تخضع له.

وأجرى مرسي (2019) دراسة تجريبية هدفت للتحقق من فاعلية برنامج قائم على أنشطة للتكميل الحسي في خفض أعراض ذوي اضطراب طيف التوحد، وتكونت الدراسة من (١٦) طفلاً في مركز للتربية الخاصة بمنطقة الجوف بالملكة العربية السعودية أعمارهم تراوحت بين (٦ إلى ٩) سنوات، ودرجة ذكائهم تراوحت بين (٤٠) إلى (٥٥)، وخلصت النتائج إلى خفض شدة أعراض اضطراب طيف التوحد لدى العينة المستهدفة، وتحسين درجاتهم بعد المشاركة في الجلسات ما عدا حاسة الشم، وقد عزت الباحثة هذه النتائج إلى قصور البرنامج حيث تطرق إلى نشاط واحد فقط في هذا الجانب.

كما أجرى الرويلي والتل (2019) دراسة هدفت إلى التعرف على مستوى مشكلات التكامل الحسي لدى اضطراب طيف التوحد في محافظة العاصمة عمان من وجهة نظر المعلمين وطرق علاجها، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت العينة من (١٣٠) معلماً ومعلمةً عاملين في مراكز الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد في مدينة عمان، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن مستوى المشكلات الحسية كان متوسطاً لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، ولا توجد فروق بين الجنسين في المشكلات الحسية وكذلك العمر، وجاء مستوى الطرق العلاجية للمشكلات الحسية متوسطاً.

وفي هذه السياق، هدفت دراسة (Akarsu et al., 2020) إلى تقييم مهارات المعالجة الحسية للأطفال المصايبن باضطراب طيف التوحد، كما هدفت إلى تحديد مستويات شدة اضطراب طيف التوحد ومهارات المعالجة الحسية للأطفال المصايبن باضطراب طيف التوحد، وتكونت العينة من (٥٣) طفلاً من ذوي اضطراب طيف التوحد، حيث تراوحت أعمارهم بين (٣-٩) سنوات، وبحثت الدراسة ما إذا كانت هناك علاقة بين شدة أعراض اضطراب طيف التوحد والمعالجة الحسية؟ وما الفئات الاجتماعية الأكثر ارتباطاً بالتفاعل والتواصل الاجتماعي والسلوك النمطي؟ وتوصلت الدراسة إلى أن المشاكل الحسية مرتبطة ارتباطاً مباشراً بشدة اضطراب طيف التوحد والمشاكل السلوكية، ولم تكن مرتبطة بالذكاء.

وللتعرف على مظاهر المشكلات السلوكية أخرى كل من الشنقيطي والزارع (2021) دراسة نوعية هدفت إلى التعرف على مظاهر المشكلات السلوكية لدى الطالبات ذوات اضطراب طيف التوحد الملتحقات بمدارس التعليم الشامل في المدينة المنورة بالملكة العربية السعودية، وخلصت نتائج الدراسة إلى

عدد من المشكلات السلوكية التي تصدر عن الطالبات، منها: السلوك الانسحابي، والفووضي، والعدواني، والنميسي. كما أشارت نتائج الدراسة إلى أهم العوامل المساهمة في هذه المظاهر السلوكية، والتي تم تقسيمها إلى عوامل داخلية وعوامل خارجية، ومن أهم العوامل الداخلية جاءت المشكلات الحسية في الدرجة الثالثة، كما أشارت نتائج الدراسة إلى تكرر السلوكيات المرتبطة بالمشكلات الحسية لدى جميع المشاركات في الدراسة بشكل ملحوظ خاصة فيما يتعلق بالمحفزات البصرية والسمعية، وكذلك فيما يتعلق بعدم تنظيم المكان.

من جهة أخرى بحثت دراسة وصفية لينا وآخرون (2021) وجهات نظر الوالدين حول التدخلات الحسية القائمة على الأطفال المصابين باضطراب طيف التوحد، حيث تكونت العينة من (152) عائلة، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن غالبية الآباء لاحظوا أن أطفالهم أظهروا مجموعة واسعة من السلوكيات الصعبة مثل: النمطية، والتكرار، والبحث الحسي، والتتجنب الحسي، والعدوانية، وإيذاء الذات، كما تطرق الآباء إلى مجموعة من التدخلات الحسية التي يستخدمونها مع أطفالهم للتعامل مع السلوكيات الصعبة التي يقومون بها، فكانت النطية هي الأكثر استخداماً، تليها أدوات التدليل، ثم الحركات الفموية. وأشارت الأسر إلى فاعلية الحقائب الموزونة، وضغط المفاصل، وتمرير الفرشاة مع أطفالهم، أما سترات الضغط والأوزان المخصصة للكاحل والمعصم فهي الأقل استخداماً في كثير من الأحيان، كما أشار الآباء إلى أهمية هذه التدخلات وفعاليتها مع أطفالهم.

في حين هدفت دراسة Osorio et al (2021) إلى التعرف على الفروق بين الجنسين في المعالجة الحسية لدى الأطفال المصابين باضطراب طيف التوحد، وتكونت العينة من مجموعتين: الأولى لأطفال اضطراب طيف التوحد؛ و الثانية لأطفال مرتلازمة توريت، وترواحت أعمارهم بين (2 إلى 12 سنة و 11 شهراً)، وأظهرت النتائج أن حجم الاختلافات بين الذكور والإإناث أكبر في أطفال اضطراب طيف التوحد منه بالنسبة للأطفال المصابين بمتلازمة توريت، حيث أظهرت الإناث أعراضًا أكثر حدة في السمع فضلاً عن التوازن والحركة، وأشارت النتائج بشكل عام إلى أن هناك سمات خاصة بالنساء ذوات اضطراب طيف التوحد في صعوبات المعالجة الحسية، حيث تجنبن بعض المحفزات السمعية، أو تضايقن منها، أو تراجعن عن البيئات الصالحة، و انزعزن عن أصوات لا يلاحظها الآخرون، وواجههن مزيداً من الصعوبات في تنسيق الحركة و ضبط الجسم، كما واجهت الإناث مزيداً من الصعوبات في معالجة المنبهات اللمسية و الاستجابة لها، و هذه النتائج أظهرت عدم التجانس الذي يميز المعالجة الحسية لدى أطفال اضطراب طيف التوحد، فالفتيات يظهرن أعراضًا حسية أكثر من الأولاد، كما قد يؤدي تضمين المعالجة

الحسية في الإرشادات الموجهة للإناث لتشخيص اضطراب طيف التوحد إلى التعرف المبكر و الدقيق لدى الفتيات ذوات اضطراب طيف التوحد؛ وبالتالي تلقي التدخل المبكر المناسب و المستهدف لهذه الفئة.

ومن خلال عرض الدراسات السابقة تبين أهمية البحث الحالي الذي يركز على المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد. كما يتبيّن ما سيضيفه البحث في هذا المجال. فعلى سبيل المثال، تناولت دراسة (Iwanaga et al 2014) المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد مرتفعي الأداء؛ بينما يركز البحث الحالي على المشكلات الحسية لدى جميع فئات ذوي اضطراب طيف التوحد، والتحقق من كونها قد تتفاوت من فئة لأخرى، ومن عدم ارتباطها بفئة معينة.

وفي حين تؤكد دراسة كل من مرسي (2019) و(Akarsu et al., 2020) على ارتباط المشكلات الحسية بشدة أعراض اضطراب طيف التوحد، يسعى البحث الحالي للتحقق من ذلك بشكل واسع، والتعرف على المشكلات الحسية المرتبطة بفئات ذوي اضطراب طيف التوحد. وامتداداً لنتائج دراسة بنا وآخرون (2021)، التي اتفق فيها أولياء أمور الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد على أن التدخلات الحسية مهمة جداً في التغلب على المظاهر السلوكية لدى أطفال اضطراب طيف التوحد؛ فإن البحث الحالي يسعى للتعرف على المشكلات الحسية التي يعاني منها ذوي اضطراب طيف التوحد، وذلك لتقديم المساعدة والتدخل الملائم الذي يتناسب وقدرات كل طفل من أطفال هذه الفئة.

وما يؤكد أهمية البحث الحالي: اعتبار أن عدم التجانس موجود في المعالجة الحسية؛ واختلاف نتائج الدراسات الحالية حول الفروق بين الجنسين في المعالجة الحسية، حيث اختلفت دراسة (2021) مع ما توصلت إليه دراسة كل من الرويلي والتل (2019) حول الفروق بين الجنسين في المعالجة الحسية، حيث أثبتت نتائج الأولى أن هناك فروقاً بين الجنسين في المعالجة الحسية تظهر لدى إناث اضطراب طيف التوحد، أما الدراسة الثانية فنفت ذلك الفرق، مما يؤكد أهمية البحث الحالي في التعرف على هذه الفروق والكشف عنها.

وحديري بالذكر أن دراسة كل من الشنقيطي والزارع (2021) تطرقت إلى المشكلات الحسية بوصفها أحد العوامل المهمة المساهمة في المظاهر السلوكية لدى طالبات في التعليم الشامل، مما يؤكد أهمية البحث الحالي، كون طالبات التعليم الشامل يتميزن بأعراض اضطراب طيف التوحد من متوسط إلى بسيط، وليسن ذوات اضطراب طيف توحد شديد، فالمشكلات الحسية لا تكون مقصورة على ذوي اضطراب طيف التوحد الشديد أو المتوسط.

مشكلة البحث:

على الرغم من كثرة الدراسات والأبحاث التي تناولت اضطراب طيف التوحد، فإنه مجھول الأسباب إلى يومنا هذا، فلا يُرى سوى انعکاسات تظهر على سلوكهم؛ ولذلك من المهم دراسة تلك الانعکاسات للوصول بأطفال هذه الفئة إلى مستوى يساعدهم في التكيف والتخلص من السلوكيات غير المرغوبة (باشا، عبدالغفور، وكتلو، 2019).

وعليه نجد سلوك الطفل ذي اضطراب طيف التوحد يرتبط بالمشكلات الحسية، ومن هذا المنطلق سعى الباحثان إلى دراسة الفروق بين المشكلات الحسية لدى أطفال اضطراب طيف التوحد تبعًا لفئاتهم: بسيط (يحتاج لدعم كبير)؛ متوسط (يحتاج لدعم متوسط)؛ شديد (يحتاج لدعم كبير جدًّا)، حيث اتضحت أنه لا توجد دراسات عربية درست هذه الفروق، فمعظم الدراسات تناولت المشاكل الحسية بالنسبة لأطفال اضطراب طيف التوحد بشكل عام، دون التطرق إليها بشكل خاص لدى فئات ذوي اضطراب طيف التوحد.

واستنادًا على ما سبق، تتضح أهمية دراسة الموضوع؛ لما له من أهمية لكل من يتعامل مع الأفراد ذوي اضطراب طيف التوحد كالأخصائيين وأولياء الأمور، وأنه يساعد بشكل كبير في تحديد العلاج المناسب عند البدء بالبرامج العلاجية المعتمدة على التكامل الحسي، فتشخيص اضطراب الحسي يساعد الأخصائي على اختيار التدخل العلاجي المناسب لكل فئة من فئات ذوي اضطراب طيف التوحد (طالب، وعمرو، وملكاوي، 2019).

واستنادا إلى ما أثبتته الدراسات والأدبيات من وجود مشكلات حسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد، فإن البحث الحالي يسعى إلى دراسة هذه المشكلات، ومدى ارتباط هذه المشكلات الحسية بفئة دون غيرها؟ وما الآثار المترتبة عليها؟

أسئلة البحث:

يسعى البحث الحالي إلى الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر المختصين وأولياء الأمور؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة فرعية، تتمثل في الآتي:

١- ما الفروق في مظاهر المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد تبعاً لمستوى الاضطراب (بسيط، متوسط، شديد)؟

٢- ما الإجراءات المتبعة عند ظهور المشكلات الحسية؟ وما مدى تأثيرها في خفض هذه المشكلات؟

أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف على المشكلات الحسية لدى فئات ذوي اضطراب طيف التوحد (بسيط-متوسط وشديد).

٢- الكشف عن المشكلات الحسية الأكثر شيوعاً بين فئات ذوي اضطراب طيف التوحد.

٣- دراسة الفروق في المشكلات الحسية بين فئات ذوي اضطراب طيف التوحد.

٤- التعرف على الإجراءات المتبعة للحد من المشكلات الحسية من قبل أولياء الأمور والمحترفين.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث الحالي في الآتي:

أولاً: الأهمية النظرية:

- تتمثل أهمية البحث الحالي في دراسة المشكلات الحسية، حيث إنها بالغة التأثير على الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد فقد تتفاوت درجات المشكلات الحسية بينهم، إلا أنها تؤثر عليهم بشكل أو آخر، ولكن هل المشكلات الحسية تقل لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد البسيط مقارنة بالمتوسط والشديد؟ وما المشكلات الحسية التي تظهر لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد المتوسط وتحتفل عن تلك التي تظهر لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد الشديد.
- بالنظر إلى ندرة الأبحاث والدراسات العربية التي تسلط الضوء على المشكلات الحسية عامة والمشكلات الحسية بين فئات ذوي اضطراب طيف التوحد على وجه الخصوص، تتضح أهمية هذا

البحث وذلك عن طريق مقابلة المختصين وبعض الأسر. حيث يعد هذا البحث سداً للفجوة البحثية في هذا المجال.

- زيادة الوعي لدى أولياء الأمور والمختصين حول المشكلات الحسية، وتأثيرها على الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد.

ثانياً: الأهمية العملية:

- تتضح أهمية البحث من خلال عمل مقابلات مع المختصين والأسر لمناقشة أهم مظاهر المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد وإلى أي مدى تؤثر هذه المشكلات الحسية في تنمية جوانب الطفل.
- توعية المجتمع بصفة عامة وأسر الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد بشكل خاص عن طريق حضور ورش العمل والبرامج الإرشادية ووسائل التواصل الاجتماعي.
- تساعد نتائج البحث العاملين مع أطفال اضطراب طيف التوحد والمحيطين بهم في التعرف على هذه المشاكل الحسية التي قد ترتبط ببعض الحالات دون غيرها.

مصطلحات البحث:

المشكلات الحسية: (Sensory Problems)

عرف كل من محمد والعنزي (2020) المشاكل الحسية بأنها تلك الاستجابات الحسية الناتجة عن خلل في النظام الحسي، والتي قد تكون مرتفعة أو منخفضة؛ ونتيجة لذلك تظهر السلوكيات النمطية كهز الجسم والرفقة والمشي على أطراف الأصابع.

ويعرف الباحثان المشكلات الحسية إجرائياً في هذا البحث: بأنها اضطراب في تفسير المدخلات الحسية يؤدي إلى ظهور سلوكيات غير مرغوبة تؤثر على الطفل التوحد اجتماعياً، وتربيوياً، وقد تصبح عقبة توقف أمام الطفل تمنعه من التقدم بشكل أفضل، فلابد من تقديم الخدمات التربوية والعلاجية الملائمة لكل طفل حتى يتخطى تأثير هذه المشاكل الحسية.

حدود البحث:

تحدد هذا البحث بالحدود التالية:

أولاً: الحدود الموضوعية: بحث الدراسة الفروق في المشكلات الحسية بين فئات ذوي اضطراب طيف التوحد (بسيط-متوسط-شديد) من وجهة نظر المختصين وأولياء الأمور.

ثانياً: الحدود البشرية: اقتصر البحث على (٤) من أخصائيات الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، و(٦) من أمهات الأطفال المسجلين في مركز أم المؤمنين خديجة بنت خويلد للتوحد بمنطقة جازان.

ثالثاً: الحدود المكانية: أجري البحث على طلاب وطالبات مركز أم المؤمنين خديجة بنت خويلد للتوحد في منطقة جازان.

رابعاً: الحدود الزمانية: أجري البحث على مدار (٦) أسابيع، خلال الفصل الدراسي الثاني، والفصل الدراسي الثالث من العام الدراسي 2022م.

منهجية البحث:

استخدم الباحثان في هذا البحث المنهج النوعي (دراسة الحال)، وذلك من خلال عمل مقابلات مع عينة من أخصائيات أطفال اضطراب طيف التوحد وأمهاتهم، ومن خلال تحليل الوثائق بهدف التوصل إلى نتائج واقعية. فالبحوث النوعية تستخدم للإجابة عن تساؤلات تتعلق بالتجارب والتصورات وتوجهات المشاركين، بحيث تكون النظرة شاملة وكاملة ومتراقبة لجميع الآراء التي تفسر المشكلة المدروسة ولا تقبل العد كما هو في البحث الكمي، ويعتمد في هذا النوع من البحوث على الجموعات الصغيرة، باستخدام طريقة جمع البيانات المفتوحة كالمقابلة وتحليل الوثائق، حتى نتمكن من فهم الظاهرة بشكل واسع (الزهاراني، 2020)

واستخدم هذا النوع من البحوث العلمية لمبررات عده، ويتمثل المبرر الأول في أن أغلب الدراسات السابقة التي تناولت موضوع المشكلات الحسية - بالتحديد الدراسات العربية - اتبعت المنهج الكمي، حيث تُستخدم استبيانات ليقوم المشاركون بالإجابة عنها بشكل محدد وثابت، دون التركيز على ما يود المشارك إضافته أو على آرائه وأفكاره واتجاهاته نحو المشكلة المدروسة، وذلك بالاعتماد على الإحصاءات الكمية والكمية للتوصيل للنتائج (محمد و العنزي، 2020؛ طالب، عمرو، و ملكاوي، 2019؛ مرسى، 2019؛ و الرويلي و التل، 2019)؛ مما برر تطبيق المنهج النوعي في هذا البحث الحالي حتى تكون

النتائج واقعية، وتؤدي إلى فهم المشكلة بشكل أعمق. والمبرر الثاني يتمثل في أن المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد مختلفة من حالة لأخرى، وقد تكون مشكلة حسية واحدة، أو أكثر، وهذه المشكلات الحسية تحتاج نوعاً من الدراسة النوعية بالتفصيل؛ مما يبرر تطبيق البحث النوعي في هذه الدراسة، مما أتاح للمشاركين الحديث عن كل حالة بالتفصيل، ووصف مفصل لمظاهر المشكلات الحسية لكل حالة ولسلوكها، من ثم التوصل لنتائج واقعية.

تصميم البحث:

استخدم الباحثان في هذه الدراسة تصميم (دراسة الحالة) Case Study، والذي من خلاله يتعرفان على خصائص الفرد أو المجموعة، وكذلك الأحداث في مشكلة البحث التي ندرسها (الفقية، 2017). فدراسة الحالة تشير إلى فحص حالة واحدة أو عدة حالات فحصاً دقيقاً وعميقاً بشكل مفصل، والاستعانة بالوسائل المتاحة كافية بجذف الوصول إلى الفهم الكامل لهذه الحالة (العبدالكريم، 2020).

مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث أخصائيات وأولياء أمور ذوي اضطراب طيف التوحد في مركز للتوحد بمنطقة جازان، البالغ عددهم (31) أم لطفل ذوي اضطراب طيف التوحد، و (12) أخصائية يشتملن أخصائيات اضطراب طيف التوحد والخدمات المساعدة (نطق وتحاطب-في-تدريبات سلوكية).

عينة البحث (المشاركون):

يطلق على العينة في البحوث النوعية: المشاركون؛ وذلك لأنهم يتشاركون ويتفاعلون مع الباحث في أثناء الدراسة (الفقية، 2017). وقد اختيرت العينة بطريقة قصدية للأخصائيات اللاتي يتعاملن مع حالات اضطراب طيف التوحد في مركز للتوحد بجازان. واستخدم الباحثان في اختيار العينة القصدية طريقتين.

الطريقة الأولى: العينة المرتبطة بمعايير، كما أشار لها العبدالكريم (2020) بوصفها تلك العينة التي تشترط تحقق معايير معينة في المقابلين. وفي هذه الدراسة اشترط الباحثان في المقابلين معيارين، الأول: القدرة على الإجابة عن أسئلة المقابلة؛ والمعيار الثاني: الخبرة في تدريس أطفال اضطراب طيف التوحد، حيث يشترط ألاّ تقل خبرتهن عن (٣) سنوات، كذلك يشترط في أولياء أمور الطالب ذوي اضطراب طيف التوحد أن يكون أطفالهم منتسبين لمركز التوحد، وأن تتنوع العينات بحيث تشتمل على أم لطفل اضطراب طيف توحد بسيط، وأخرى متوسط والأخيرة شديد.

الطريقة الثانية: العينة المتنامية، أو كما تشير إليها بعض الدراسات بمصطلح كرة الثلج حيث تقوم كل من المقابلات بترشيح مقابلة ترى بأنها ستفيد البحث، حيث يشير العبد Snowballing

الكريم (2020) بأنها تلك العينة التي يرشح فيها المقابل مقابلاً آخر، حيث يرى فيه الفائدة التي سيقدمها للدراسة؛ وعليه فتكونت العينة من (٤) أحصائيات، و(٦) أمهات لأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد.

(جدول ١): إحصائية بعدد طلاب اضطراب طيف التوحد في المركز وفثاثهم تبعاً لمقاييس جيليان، والحالات التي سقوم

الحالات في الدراسة	درجة اضطراب طيف التوحد	العدد الكلي في المركز
(ج، ح) - (ج، ص)	يحتاج للدعم (بسيط)	١١
(أ، ح) - (ر، ح)	يحتاج للدعم كبير (متوسط)	٩
(أ، ح) - (ل، ج)	يحتاج للدعم كبير جداً (شديد)	٣

بدراسة:

(جدول ٢): المشاركات في الدراسة:

العمر	الخبرة (للأحصائيات)	المؤهل الدراسي	الصلة بالحالة	الا سم
-	٥ سنوات	بكالوريوس توحد واضطراب سلوكي	أحصائية طيف توحد	(ن، ش)
-	٥ سنوات	بكالوريوس أخصائي نفسي المسار العيادي	أحصائية نفسية	(أ، م)
-	٤ سنوات	بكالوريوس اضطرابات لغة وتواصل	أحصائية تناطح	(ن، م)
-	١١ سن	بكالوريوس اضطرابات سلوكية وتوحد	أحصائية طيف توحد	(م، ك)
٤١	-	ابتدائي	ولية أمر	والدة (ج، ح)
٤٣	-	بكالوريوس لغة عربية	ولية أمر	والدة (أ، ح)
٣٠	-	ثانوي	ولية أمر	والدة (ل، ج)
٣٤	-	بكالوريوس دراسات إسلامية	ولية أمر	والدة (ج، ص)
٣٦	-	بكالوريوس دراسات إسلامية	ولية أمر	والدة (أ، ح)
٣٨	-	دبلوم لغة عربية وعلوم اجتماعية	ولية أمر	والدة (ر، ح)

بيانات الطلبة من السجلات والوثائق:

الطالبة (ج، ح)، البالغة من العمر 13 عاماً، تنتمي لأسرة مكونه من ١٠ أفراد ترتيبها السادسة بين إخوتها، تعيش مع والديها في وضع أسري مستقر، شخصت باضطراب طيف توحد مصاحب له فرط حركة واضطرابات في اللغة عام 2012، طبقت عليها الأخصائية النفسية في المركز مقياس جيليان لتحديد شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد عام 1441هـ، وكانت النتيجة وجود اضطراب طيف توحد بسيط (بحاجة لدعم)، وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية للحالة، ومناقشة معلماتها، لوحظ عليها الانزعاج من الأصوات، ووضع يديها على أذنها، والمشي على أطراف الأصابع، ونطق بعض الجمل والكلمات، ولديها حذف وتبدل في الأحرف، وتتواصل بصرياً بشكل ممتاز، وتفاعل اجتماعياً بشكل بسيط، والجانب الأكاديمي لديها متوسط.

الطالبة (ج، ص)، البالغة من العمر 8 سنوات، تنتمي لأسرة مكونه من (٤) أفراد، ترتيبها الأولى بين إخوتها، تعيش مع والديها في وضع أسري مستقر، شخصت عام 2017 باضطراب طيف توحد بسيط، طبقت عليها الأخصائية النفسية في المركز مقياس جيليان لتحديد شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد عام 1441هـ، وكانت النتيجة وجود اضطراب طيف التوحد بسيط (بحاجة لدعم)، وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية ومناقشة معلماتها تبين أنها تتبع التعليمات وتنفذها بشكل صحيح، وأن مهاراتها الإدراكية جيدة، والجانب الأكاديمي لديها فوق المتوسط، وتردد بعض الكلمات، ولديها سلوك تخريبي، والبكاء بدون سبب، صف الأشياء بطريقة معينة، وتضع يديها على أذنها لتجنب الأصوات أحياناً.

الطالبة (ر، ح)، البالغة من العمر (12) عاماً، تنتمي لأسرة مكونه من (٥) أفراد، ترتيبها الثالثة بين إخوتها، تعيش مع والديها في وضع أسري مستقر، ولديها أخوان مصابان باضطراب طيف التوحد، شخصت عام 1438هـ باضطراب طيف توحد وفرط حركة وتشتت انتباه، طبقت عليها الأخصائية النفسية في المركز عام 1441هـ مقياس جيليان لتحديد شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد، وكانت النتيجة وجود اضطراب طيف التوحد بدرجة متوسطة (بحاجة لدعم كبير)، وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية ومناقشة معلماتها لوحظ أنها تصدر أصواتاً متكررة معظم الوقت، وبعض الأحيان تبكي بكاء متقطعاً، وأنها تستجيب للتعليمات وتنفذها، والمستوى الأكاديمي لديها دون المتوسط، كما أن تواصلها البصري جيد، ومشاركة الأقران في اللعب أحياناً.

الطالب (أ، ح)، البالغ من العمر (10) سنوات، ينتمي لأسرة مكونة من (١١) فرداً، ترتيبه الثامن بين إخوته، يعيش مع والديه في وضع أسري مستقر، شخص عام 1438هـ باضطراب نمائي شامل

غير محدد، وطبقت الأخصائية النفسية في المركز عليه مقياس جيليان لتحديد شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد، وكانت النتيجة احتمال اضطراب طيف التوحد بدرجة متوسطة (بحاجة لدعم كبير)، وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية ومناقشة المعلمة لوحظ أنه ينفذ التعليمات، وأن قدراته الأكاديمية متوسطة، ويردد بعض الكلمات، كما أنه يفهم ما يطلب منه، ويتوافق بشكل متوسط، ويقلد ويتفاعل مع المعلمة، ويشمّ الأشياء بطريقة مفرطة.

الطالبة (أ، ح)، البالغة من العمر (١٣) عاماً، تنتهي لأسرة مكونة من (٦) أفراد ترتيبها الرابعة بين إخوتها، تعيش مع والديها في وضع أسري مستقر، شخصت عام ١٤٣٥هـ بتأخر في التطور الذهني والحركي، طبقت الأخصائية في المركز عليها مقياس جيليان لتحديد شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد، وكانت النتيجة وجود اضطراب طيف التوحد بدرجة شديدة (بحاجة لدعم كبير جداً)، وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية و مناقشة معلمتها لوحظ أنها عدوانية في بعض الأحيان، وأن النطق لديها ضعيف جداً، لكنها تنطق بعض الكلمات، والتواصل البصري جيد نوعاً ما، والحركات الدقيقة لديها ضعيفة، وتترافق وتفقر بشكل متكرر، والتفاعل الاجتماعي لديها ضعيف، والتواصل غير اللفظي دون المتوسط، والمهارات الأكاديمية ضعيفة، وتستمتع بالنظر لضوء الشمس، ولا تحب الاحتضان، وتضحك بشكل متكرر، ولديها سلوك تخريبي وفوضوي.

الطالبة (ل، ج)، البالغة من العمر (١٢) عاماً، تنتهي لأسرة مكونة من (٥) أفراد، ترتيبها الأولى بين إخوتها، تعيش مع والديها في وضع أسري مستقر، لديها آخر مصاب باضطراب طيف التوحد، شخصت عام ١٤٣٥هـ بتأخر عقلي متوسط، كما حصلت على درجة (٤٨) تقريباً في مقياس ستانفورد بينيه للذكاء، وفي عام ٢٠١٤ حصلت على درجة (٥٢) في مقياس بينيه للذكاء الجزء غير اللفظي، وصنفت متأخرة أو ذات ضعف متوسط، وفي مقياس اضطراب طيف التوحد حصلت على (٤١)، وصنفت باضطراب طيف توحد شديد. وطبقت الأخصائية النفسية في المركز عام ١٤٤١هـ مقياس جيليان لتحديد مستوى شدة الإصابة باضطراب طيف التوحد، وكانت النتيجة اضطراب طيف توحد شديد (بحاجة لدعم كبير جداً). وبالاستناد إلى الزيارات الصحفية ومناقشة معلمتها لوحظ أنها تهز جسمها بشكل متكرر، كما لوحظ عليها الانزعاج من الأصوات، وتنفيذ التعليمات، وأن لديها قصوراً في الجانب الأكاديمي، وتفاعلها الاجتماعي ضعيف، والطالبة غير ناطقة، والتواصل غير اللفظي دون المتوسط، وإدراكتها جيد، وتواصلها البصري جيد نوعاً ما.

سياق البحث:

أجري البحث في أحد مراكز التوحد في مدينة جازان بالمملكة العربية السعودية، وهو مركز مخصص لاضطراب طيف التوحد، وقد صمم بدور واحد لرعاة سلامه الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، لتفادي مخاطر السالم، ويضم فصلين للتدخل المبكر، وثلاثة فصول توحد، وفصل أكاديمي، ويضم كذلك حجرة مخصصة لأخصائية التخاطب، وحجرة مخصصة للأحصائية النفسية والتدريبات السلوكية، وحجرة للفني، وغرفة سينورزين والتي تضم عدداً من البرامج التقنية والتكنولوجية التي تساعده على استرخاء الأطفال وكذلك تنمية حواسهم، ووسائل تعليمية وتدريبية لمعالجة المشكلات الحسية عن طريق اللعب والتركيز، بالإضافة إلى تنمية المهارات الحركية الكبيرة والدقيقة، وغرفة علاج وظيفي لتنمية المهارات الوظيفية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، كما يضم ساحة لعب داخلية مزودة بالألعاب للتنفيس الانفعالي واللعب، بالإضافة إلى ساحة لعب خارجية مزودة بالألعاب حركية.

أدوات الدراسة:

استخدم الباحثان في هذه الدراسة أداتين لجمع البيانات، حيث إن التعنديه تعد معياراً من معايير جودة البحوث النوعية، حيث إن التفسير للمشكلة المدروسة المعتمد على مصدر واحد قد لا يسهم في حلها بشكل دقيق، وعليه فإن تعدد الطرق سواء في جمع المعلومات أو التحليل والتفسير قد يساعد في إيضاح جوانب الظاهرة بشكل متكامل؛ وبالتالي يمكن التوصل إلى الحلول الممكنة لهذه المشكلة، فتعدد الأدوات يعني استخدام أكثر من أداة لجمع المعلومات في الدراسة (الزهراني، 2020). واستناداً على ما سبق استخدم الباحثان أداتين لجمع المعلومات، المقابلة الشخصية شبه المقنية، وتحليل الوثائق، مفصلة فيما يأتي.

الأداة الأولى: المقابلة الشخصية شبه المقنية: حيث أُجريت مقابلات مع بعض الأخصائيات العاملات في المركز، وكُنّ على صلة مباشرة بالطلبة ذوي اضطراب طيف التوحد، سواءً بالتدريس أو تقديم خدمات مساندة، وكذلك اختير عدد من الأمهات الراغبات في الحديث ومشاركة خبرتهن وتجربتهن في موضوع الدراسة، حيث يشير العبد الكريم (2020) إلى المقابلة بكوئها نوعاً منفرداً من المناقشة مع أشخاص ذوي صلة بالموضوع قيد الدراسة، وتعد من الطرق الأساسية في البحث النوعي لجمع المعلومات، وب بواسطتها نتوصل إلى معلومات لا يمكن التوصل لها عن طريق المقاييس والاستبيانات، ووضح أن في المقابلة المنظمة تُعدُّ الأسئلة مسبقاً فيلتقي المشاركون ذات الأسئلة وبالطريقة نفسها والترتيب، كما أنها تعتمد على الإجابات العقلانية بشكل كبير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المقابلات التي تضمنت مجموعة من

الأسئلة المفتوحة أُجريت مع تقديم شرح للمشكلة التي درست للحصول على معلومات عميقة ودقيقة حول الدراسة (البكري، 2021).

مراحل إعداد الصورة الأولية للمقابلة:

تضمن إعداد الصورة الأولية للمقابلة المراحل الآتية:

أولاً: إعداد الأسئلة: كُتبت أسئلة المقابلة انطلاقاً من مشكلة البحث، وأهداف البحث، وأسئلة البحث، حيث انقسمت إلى ثلاثة أقسام، كما يأتي:

الأسئلة الأولية: الهدف منها التعارف وكسر الحاجز بين المقابلين والمشاركات.

الأسئلة الأساسية: والتي تضمنت الأسئلة الخاصة بالبحث.

الأسئلة التبعية: لتساعد في الفهم العميق للمحاور التي شافش.

ثانياً: تحكيم أسئلة المقابلة: عُرضت أسئلة المقابلة على خمسة أعضاء من هيئة التدريس بجامعة الملك خالد للاطلاع عليها، وتحكيمها، والتعرف على مدى ملائمتها للهدف من البحث ومشكلة البحث لإعطاء المراجعة عليها أو تحديد مواطن القصور فيها. وقد قام الباحثان بمراجعة الأسئلة وإجراء التعديلات عليها بناء على ملاحظات الحكمين.

ثالثاً: إجراء مقابلة تجريبية مع أخصائيتين تعملان مع أطفال اضطراب طيف التوحد من خارج مركز التوحد بجازان؛ للتعرف على جوانب القصور في المقابلة ليتم تفاديهما.

رابعاً: تعريف المشاركات بالهدف من هذه المقابلة وإعطائهن بعض التعليمات، وتوضيح بأن لهن الحق في قبول أو رفض المقابلة بشكل ودي، وإنذارهن بأنه بعد الانتهاء من المقابلة سيُعرضُ النص عليهم بالإضافة ما يرغبن به أو تعديله أو حذفه، وأخذ إذن في المراجعة على تسجيل المقابلة، وبأنها ستكون سرية لغرض الدراسة، وأنه يختلفُ فور الانتهاء من تحليل البيانات، وأعطيهن وقتاً تقربياً لزمن المقابلة استغرق حوالي (40-20) دقيقة.

خامساً: التعرف على المشاركات وذلك بإعطائهن نموذجاً يتضمن: الاسم (مع الإيضاح بأن من لا ترغب في ذكر اسمها سنكتفي فقط بذكر حرف يرمز لها)؛ والمُؤهل الدراسي؛ والخبرة في تدريس أطفال اضطراب طيف التوحد (خاص بالأحصائيات)؛ وفترة الطفل ذي اضطراب طيف التوحد الذي ستتحدث عنه؛ وصيتها بهذا الطفل.

سادساً: تفريغ المقابلات عن طريق برنامج Zoom لإتاحة الفرصة في اختيار المواعيد التي تناسب مع المشاركات في الدراسة، وكذلك لسهولة تسجيل المقابلات والرجوع إليها لتحليل البيانات. وقد امتدت أطول مقابلة (٤٠) دقيقة، وأقصرها (١٨) دقيقة.

الأداة الثانية: تحليل الوثائق: وذلك بالرجوع إلى السجلات وملفات التقييم في المركز، والتي تتضمن معلومات عن الطلبة، وكذلك أنشطة الطلبة الفنية، أو الاصفية المكتوبة، أو المرسومة، أو المصورة حتى تُجمع المعلومات بشكل دقيق وواقعي.

فكما أشار العبد الكريم (2020) أن المعلومات التي يتوصّل إليها عن طريق المقابلة للباحث يد فيها، ولكن هناك معلومات وبيانات مهمة موجودة، ينبغي على الباحث أن يسعى للحصول عليها، وهي ما تسمى بالوثائق، فهي تعبر بطريقة عفوية عن الفرد، فالوثائق مكملة للمقابلة وعن طريقها نتوصل إلى أشياء لم تذكر في المقابلة.

وقد خُلِّل عدد من الوثائق، وتضمنت: ملفات الحالات المشاركة في البحث والمتضمن التقارير والخطط التعليمية؛ وكذلك المقاييس المستخدمة معهم؛ وتقارير تعديل السلوك المتبعة مع الحالات ومناقشته مع الأخصائية النفسية؛ والتقارير الدورية والنهائية.

إجراءات تحليل البيانات:

يختلف تحليل البيانات في البحوث النوعية اختلافاً كلياً عنه في البحوث الكمية، فعمليتا جمع البيانات وتحليلها في البحوث النوعية متداخلة ومتكمّلة وكأنها عملية واحدة، و مع ذلك فهي مرحلة رئيسة و مهمة كونها تميز البحث النوعي عن الكمي الذي يعتمد في تحليله للبيانات على الأساليب الإحصائية بشكل رئيس، أما الباحث النوعي فيحلل البيانات بدقة عالية و أكثر عمقاً حول المشكلة المدروسة معتمداً على خبرته و إبداعه في التحليل، عملية جمع البيانات في البحوث النوعية تحوي عدداً كبيراً من المعلومات و البيانات التي تم التوصل إليها من خلال أدوات جمع البيانات؛ مما يجعل عملية التحليل تأخذ وقتاً أطول من تحليلها في البحوث الكمية. واستخلاصاً مما سبق نجد أن عملية تحليل البيانات في البحث النوعي يجب أن تكون عملية منظمة، ينظم فيها الباحث البيانات؛ ومن ثم يقسمها ويرتبها في شكل وحدات حتى يسهل التعامل معها (قندليجي و السامرائي، 2010).

وبالنظر إلى أسئلة المقابلة المفتوحة نجد أن الأسلوب الإحصائي غير مناسب لتحليلها، فيجب استخدام التحليل بالطريقة الموضوعية، حيث نقسم البيانات التي تحتوي على عناصر مشتركة

ونظمها تحت موضوعات رئيسة تخدم الباحث بشكل مباشر في بحثه، والتي يرى بأنها مناسبة من حيث هدف الدراسة وأسئلة البحث. (البكري، 2021)

وفي عملية تحليل البيانات في البحث النوعي تكتب معلومات المقابلة على الحاسب حتى تُحلَّ بشكل دقيق ومفصل، حيث إن هذا الأسلوب لتحليل البيانات من أكثر الأساليب استخداماً في الدراسات التربوية، وذلك نتيجة لتفصيرها العميق والتحليلي للبيانات، إضافة إلى تمعتها بالشفافية، وهذا بلا شك يساعد الباحثين على تقييم هذه الدراسة والاستفادة منها في أبحاثهم مستقبلاً. (حياصات، القحطاني، و الزعابير، 2016)

نماذج تحليل البيانات النوعية:

تتعدد نماذج تحليل البيانات النوعية، كما أشار لها الفقيه (2017)، واستخلص في هذا البحث نموذج Ary et al. (2010)، الذي يتضمن ثلاث مراحل: التنظيم والألفة؛ الترميز والتقليل؛ التفسير والتمثيل.

مراحل تحليل البيانات:

اتبع الباحثان في هذا البحث نموذج Ary et al.؛ لأنَّه يتناسب مع الدراسة، وما تتضمنه من بيانات تم التوصل لها من المقابلات والوثائق، حيث تضمن هذا النموذج ثلاث مراحل كالتالي:

المرحلة الأولى: التنظيم والألفة، في هذه المرحلة **خُفِّظَتْ** نسخة احتياطية من تسجيلات المقابلة، بعد ذلك **رُوِّجَ** التسجيل عدة مرات حتى يتم التعمق في المعاني والآراء التي تطرقَتْ لها المشاركات، ثم **حُوَّلتْ** هذه التسجيلات إلى نصوص مكتوبة في Word، ثم روجعت النصوص المكتوبة، وأُدْخِلتْ في برنامج MAXQDA كأداة مساعدة لتحليل البيانات النوعية وتنظيمها.

المرحلة الثانية: الترميز والتقليل، في هذه المرحلة بدأ الباحثان بترميز البيانات المنظمة في المرحلة الأولى، وتقليلها للتوصُل إلى فهم عميق للعناصر المختلفة في البحث، وذلك بكتابة مفكرة تحتوي على ملاحظات وتعليقات تساعد في ترميز البيانات، ثم قراءة البيانات بشكل دقيق وتقسيم البيانات إلى أجزاء من المعلومات، ثم وضع تسميات ورموز مميزة لتلك المعلومات، وبعد الانتهاء من الترميز جُمِعَتْ الرموز المتتشابهة تحت موضوعات رئيسة، ثم **نُفِّخَ** الباحثان تلك الموضوعات في خطوةأخيرة لدمج ما هو متتشابه وإعادة تنظيم بعض البيانات.

المرحلة الثالثة: التفسير والتمثيل، حيث تشكل المرحلة الأخيرة من مراحل تحليل البيانات، وتحدّف بشكل عام إلى تفسير البيانات، والبحث بين وجهات نظر المشاركين عن أوجه الشبه والاختلاف، وربط البيانات بعضها تبعاً للرموز والموضوعات التي حدّدت مسبقاً، وذلك عن طريق جداول وخرائط ذهنية.

معايير الصدق والثبات في البحث النوعي:

يتتحقق الصدق والثبات في البحوث النوعية بعدة استراتيجيات كما أشار إليها (الحسيني، 2020)، وقد طبّقت الاستراتيجيات الآتية في البحث الحالي:

الشليث أو التعددية: وهو التعدد والتنوع، وطبّق هذا في أدوات البحث المستخدمة لجمع البيانات، واستُخدمت أكثر من أداة لجمع البيانات (المقابلة - الوثائق).

تأملات الباحث حول مواطن تحيزه: حيث يكشف الباحث عن تحizيه أو موقفه، وهذا ما تم التطرق إليه في النتائج.

مراجعة الأعضاء والمشاركين: زُودت المشاركين بنسخة من النص المكتوب عن المقابلة لأخذ موافقتهن أو إبداء أي ملاحظات سواء بإضافة أو حذف أو تعديل.

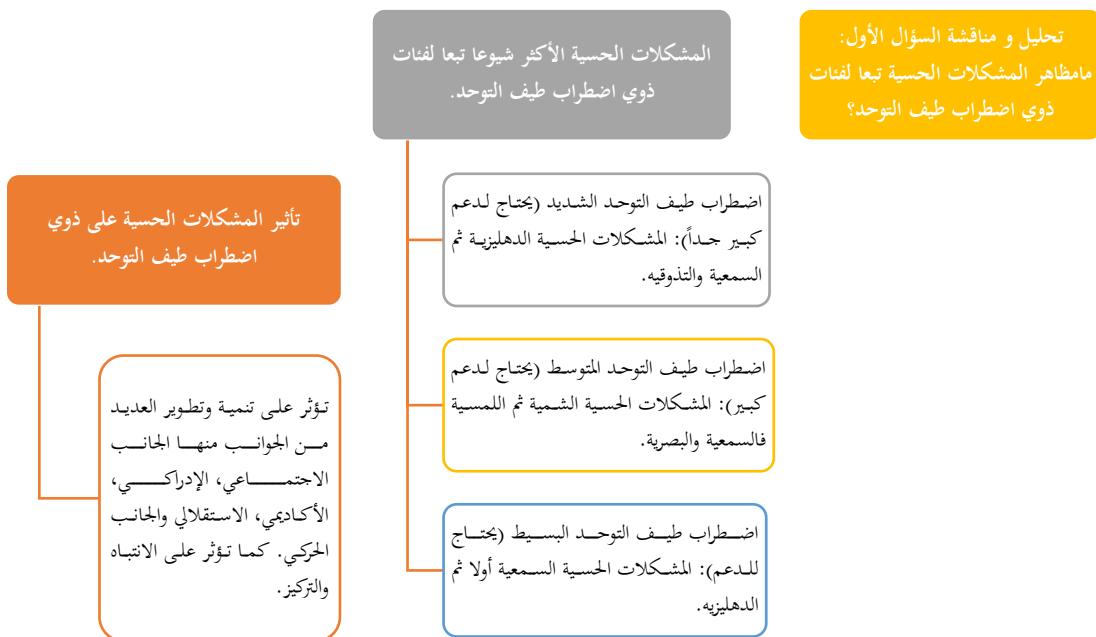
المراجعون الخارجيون: استعان الباحثان بأخصائية اضطراب طيف توحد للتأكد من أن الاستنتاجات منطقية ومناسبة، كذلك في تطبيق المقابلة استعانا بإخصائين من خارج المركز للتأكد من أن أسئلة المقابلة تخدم البحث وتؤدي لنتائج واقعية.

الوصف التفصيلي المكثف: وصفت المشاركات في البحث وأثبتت صلتهن بالحالة وسياق البحث، بالإضافة إلى الوصف التفصيلي لمراحل اختيار المشاركات وإجراءاتها، وإعداد المقابلات، والطريقة التي من خلالها جمعت البيانات وحللت؛ وصولاً إلى المرحلة الأخيرة، وهي وصف البيانات التي تم الحصول عليها من المشاركات والاستناد إليها في كتابة النتائج.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

اتبع الباحثان في تنظيم النتائج وعرضها طريقة (PEEL) وهذه الطريقة تسهل على الباحث صياغة الفقرات وترتيبها وتنسيقها، وترمز هذه الطريقة إلى: (Point) التي تشير إلى الفكرة؛ و(Example) وتشير إلى المثال؛ و(Explanation) وتشير إلى الإيضاح والتفسير؛ (Link) ويشير إلى ربط النتائج بالدراسات السابقة (العدساني، 2019)، وببدأ الباحثان النتائج بعرض الفكرة الأساسية وما تتضمنها من

فقات فرعية، ثم إيضاح ما تتضمنه هذه الفئات، ثم الاقتباس من البيانات التي جمعت، وأخيراً مناقشة النتائج في ضوء الدراسات السابقة.



الشكل ١: المواضيع الرئيسية والفرعية لتحليل النتائج المرتبطة بسؤال البحث الأول

عرض نتائج السؤال الأول ومناقشتها

ينص السؤال الفرعي الأول على: ما الفروق في مظاهر المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد تبعاً لمستوى الاضطراب (بسيط، متوسط، شديد)؟

من خلال تحليل البيانات للإجابة عن السؤال الأول، تم التوصل إلى موضوع رئيس، وهو **مظاهر المشكلات الحسية تبعاً لفئات ذوي اضطراب طيف التوحد**، وتفرع من هذا الموضوع موضوعان فرعيان، هما: **المشكلات الحسية الأكثر شيوعاً تبعاً لفئات ذوي اضطراب طيف التوحد؛ وتأثير المشكلات الحسية على ذوي اضطراب طيف التوحد**، وفيما يأتي عرضها:

الموضوع الرئيس الأول: مظاهر المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد:

١/ المشكلات الحسية السمعية: لوحظ وجود المشكلات الحسية السمعية لدى جميع فئات ذوي اضطراب طيف التوحد، وأشار إليها من الأخصائيات وأولياء الأمور، إما بحساسية عالية للأصوات أو منخفضة، حيث أشارت والدة (ل، ج) إلى ذلك: " بأنها تنزعج من الأصوات خاصة أصوات الأشخاص

وصراخ الأطفال، أما صوت التلفزيون أو الآياد لا يزعجها، ووافتتها الأخصائية بقولها: "الطالبة لديها مشكلة حسية سمعية فهي تنزعج جداً من الأصوات".

أما (أ، ح)، فهي لا تستمع للأصوات العادية إلا بتلقين جسدي مع التعليمات اللفظية الموجهة إليها، وعند مناداتها لا تلتفت إلا إذا كان الصوت عالياً أشبه بالصرخ، كما أنها تنزعج من أصوات معينة فتهرب عند سماعها، من جهة أخرى فإن (ر، ح) تستمتع بسماع الأصوات العالية جداً، وتنسجم معها فتقوم بسلوكيات نمطية للتعبير عن سعادتها، حتى في المنزل ترفع صوت التلفاز لأعلى مستوى مما يزعج الآخرين، لكنها تخاف وتبكي من صوت بكاء الأطفال.

أما (أ، ح)، فسابقاً كان يتزعج من جميع الأصوات، والآن أصبح يتزعج من الأصوات العالية فقط، ويضع يديه على أذنيه، ومثله (ح، ص)، تنزعج من أصوات عالية بدرجة معينة، وتضع يديها على أذنيها، وتغلق السمعة أو اللعة التي تصدر الصوت أو تهرب من المكان، لكنها لا تنزعج من جميع الأصوات، وأضافت الأخصائية: "أنها قد تنزعج أحياناً من صوت الباب عندما يفتح أو يغلق".

ويوضح أن (ج، ح) تنزعج من جميع الأصوات العالية أو التي لا تحبها، وكذلك صوت الخلط والمكنسة الكهربائية حتى ضغط زر مفتاح تشغيل الضوء، وتضع يديها على أذنها، خاصة عند وجودها في صالة اللعب الخارجي أو الطابور الصباحي مع أقرانها أو في الفصل، لكنها لا تبكي أو تصرخ فقط تضع يديها على أذنها كما أشارت الأخصائية.

2/ المشكلات الحسية اللمسية: أشارت البيانات التي حللت من خلال (المقابلات و الوثائق)

إلى وجود مشكلات حسية لمسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد بشكل يتفاوت بين الحساسية اللمسية المفرطة و المنخفضة، فقد أشارت والدة (أ، ح) بقولها: "ترفض اللمس نهائياً، و تهرب عندما يقوم أحد بلمسها إلا إذا كان لمساً خفيفاً جداً أو طبطة، ولا تشعر بالألم إلا إذا كان كبيراً جداً، عندما يُجرح لا تبكي ولا تصرخ ونكتشف ذلك الجرح لاحقاً"، و تابعت الأخصائية "تحاف من الرمل و لا تحب لمسه"، في حين أن (ر، ح) تستمتع باللمس و خاصة الناعمة فتظل تلمس الأشياء و المواد كاللورق المقوى و الصصال و بعض الملams الناعمة الأخرى، و تحب اللعب بالماء كثيراً، وأشارت الأخصائية إلى أنها: "تحاول إشباع حاسة اللمس لديها عند طريق لمس الأشياء من حولها"، ولكنها ترفض لمس الآخرين و احتضانهم لها كما تمنت الإشارة إليه سابقاً لدى (أ، ح)، فتقوم بعض نفسيها للتعبير عن انزعاجها بشكل قوي لدرجة تضرر يديها و كأنها لا تشعر بالألم، و كذلك (ج، ص)، أشارت والدتها إلى أنها تضرب رأسها بيديها أو في الجدار بقوة عندما تغضب أو تريد الحصول على شيء و كأنها لا تتألم.

واستهلت والدة (أ، ح) حديثها عن المشكلات الحسية اللمسية بقولها: "لم أكن أعلم أن هناك شيء معناه عدم إحساس إلا مع طفلي فقد كان يجلس في الشمس القوية ولا يشعر بحرارتها، وهذا ما جعلني أستشير أخصائياً لسؤاله عن هذه الحالة، -تابعت- ولم يكن يتضرر من حرارة الشمس المرتفعة فأجده يجلس في فناء المنزل وجهه أحمر من قوة الشمس"، لكن بعد خضوعه لجلسات تكامل حسي وتدريبه في المركز بدأ الآن يستوعب الأمر نوعاً ما. أما (ج، ح) فتظهر لديها المشكلات الحسية اللمسية بالتقزز من الرمل والأشياء اللاصقة كالسلايم.

3/ المشكلات الحسية الشمية: تظهر المشكلات الحسية الشمية لدى بعض ذوي اضطراب طيف التوحد باختلاف فئاتهم، وتمثل هذه المشكلات في: شم الأشياء والأشخاص بطريقة مفرطة، فبعضهم يشمون الأشياء الغريبة أو الجديدة والبعض لا يأكل الطعام بسبب رائحته.

وتتوافقاً مع ذلك وصفت والدة (أ، ح) طفلها بقولها: "أشك بأن جميع الحواس لديه اجتمعت في حاسة الشم وكأنه يتعرف على الأشياء عن طريق الشم حتى في الأكل يشم أولاً ثم يتذوق، وتابعت قوله يحب شم كل الأشياء، وعند تضرره من رائحة معينة يضع إصبعه في أنفه للتعبير عن انزعاجه"، ومن هذا المنطلق أشارت الأخصائية إلى أنه: "يبحث عن مصدر الروائح، فوجود رائحة في المكان تستثيره مما يجعله يبحث عن الرائحة ويقرها لأنفه فهو لا يشم بالطريقة العادلة حاسة الشم لديه أضعف من الطبيعي".

أما (ر، ح)، فهي تنزعج من الروائح القوية فتبكي وتغضب، وعندما يتم إزالة مصدر الرائحة المزعجة ترتاح، أما في الأكل تأكل الطعام بناء على رائحته، فإذا أحببت الرائحة تذوقت الطعام، وإذا لم تحب الرائحة لا تأكله.

4/ المشكلات الحسية الذوقية: لم تكن المشكلات الحسية الذوقية ظاهرة بشكل كبير لدى جميع أفراد الدراسة، ومن خلال تحليل البيانات تمثلت المشكلات الحسية الذوقية لدى الأفراد قيد الدراسة في سيلان اللعاب، ولحس الأشياء والمواد، وأكل أشياء غير صالحة للأكل كالصابون مثلاً والروتين في الأكل.

فقد أشارت والدة (ج، ح) إلى أنها: "تأكل طعاماً محدداً تفضل فقط الأرز والبيتزا والإيدامات، ولا تأكل الشوكولاتة والشيبس، وكذلك الأطعمة الهمامية فهي تتقدّر منها". أما والدة (أ، ح)، فأشارت إلى أن طفلها: "يفضل الطعام الحار، فهو لا يأكل الطعام بدون شطة، وتكون الشطة كثيرة جداً في طعامه

لكته لا ينزعج" ، كما أشارت الأخصائية بأن (ل، ج) تلحس الأشياء وتضع كل شيء في فمهما مما يؤدي إلى سيلان لعابها.

٥/ المشكلات الحسية الدهليزية: التي تصاحب ذوي اضطراب طيف التوحد تختلف من حالة لأخرى: فقد تكون هذه الحساسية عالية أو منخفضة، وتنشأ بسبب خلل في معالجة المعلومات التي تتعلق بحركة الجسم وتوازنه. ومن خلال تحليل البيانات اتضح عدد منها، تمثل في: المشي على أطراف الأصابع، والرفرفة، والقفز والدوران، والتعلق ومقاومة التغيير، وهز الجسم، والاستمتاع بالألعاب المتحركة مثل المراجيح، والخوف من الألعاب المتحركة.

فنجد (أ، ح) تخاف من الألعاب الحركية الجديدة وتفضل فقط الأرجوحة، ولا تجرب لعبة حركية سواها، وتقاوم التغيير سواء في اللبس أو مكانها في الفصل أو سريرها في المنزل، وتعلق ببطانية وكأنها بمثابة الأمان لها، قالت والدتها: "عندما تخاف تهرب إلى هذه البطانية، وتغطى بها، وجميعنا في المنزل نراعي هذا الشعور عندما تصل إلى بطانتها لا أحد يعاقبها أو يوبخها".

أما (ل، ج) فإن سلوك هز الجسم يعد مشكلة كبيرة بالنسبة لوالدتها، فتقول: "أصبحت تهز حتى وهي نائمة، وأحياناً تستيقظ من النوم لتهز ثم تعود للنوم مجدداً، وأضافت: كانت متعلقة بالأرجوحة جدا سابقاً، كانت تلعبها باستمرار، الآن خصصت لها يوماً واحداً فقط، فقد يكون الهز بسبب الأرجوحة".

من زاوية أخرى تمثل المشكلات الحسية الدهليزية لدى (أ، ح) في دوران الرأس عندما يكون مستمتعاً في نشاط معين، والتعلق بعلاقة الملابس فأشارت والدته إلى أنه متمسك بعلاقة الملابس في المنزل وعند خروجه من البيت وكأنها أمان بالنسبة له.

وفي هذا الصدد تمثل المشكلات الحسية الدهليزية لدى (ج، ح) في المشي على أطراف الأصابع، والقفز والدوران للتعبير عن الفرح والخوف من الألعاب الحركية كالمراجيح.

٦/ المشكلات الحسية البصرية: استخلصت عد من المشكلات الحسية البصرية التي يعاني منها أفراد الدراسة ، تمثلت في: انبهار بصري يتضمن النظر إلى الضوء العالي كالإنارات وضوء الشمس؛ جمع الصور والملصقات التي تحوي ألواناً أو أشكالاً؛ وقصور في التواصل البصري؛ وتجنب النظر للمواد والأشخاص؛ والنظر من زاوية العين؛ والاستمتاع بإضاءة الجوال أو الأيدي العالية.

وعليه أشارت الأخصائية (ن، ش)، إلى أن (ر، ح): "تحب الإضاءة الصادرة من الجوال أو الساعة الالكترونية، فهي تستمر بالضغط عليها كلما تبدأ في الانخفاض حتى تضيء مجدداً"، ووافقتها والدتها الرأي وأضافت: "أنها لا تنظر للمواد والأشياء، لكنها تقوم بالنشاط المطلوب منها بناء على التعليمات اللفظية أو الجسدية الموجهة لها".

ومن زاوية أخرى فإن (أ، ح) تستمتع بالنظر لضوء الشمس كما أشارت الأخصائية إلى أنها: "بحلس في صالة اللعب الخارجي أمام الباب، وتتنظر لأشعة الشمس الساطعة القوية، وتصدر سلوكيات نمطية تعبّر بها عن انسجامها وسعادتها، ولا تقوم حتى ينتهي الوقت المخصص للعب الخارجي".

الموضوع الرئيس الثاني: تأثير المشكلات الحسية على ذوي اضطراب طيف التوحد:

تضمنت وجهات النظر التي تم التوصل إليها من مقابلة الأخصائيات وأولياء الأمور، وكذلك من تحليل الوثائق على موضوع تأثير المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد؛ حيث اشتملت وجهات نظر المشاركين وبيانات الوثائق على رأين، هما: أولاً: هناك من يرى أنها ذات تأثير واضح على تنمية مهارات ذوي اضطراب طيف التوحد؛ ثانياً: وهناك من يرى بأنه ليس لها تأثير واضح، وجميعهم دعموا آراءهم بالأسباب، وفيما يأتي عرض ذلك.

أولاً: المشكلات الحسية لها تأثير واضح، فالمشكلات الحسية لا تؤثر على جانب واحد فقط، بل تؤثر على جميع الجوانب: الأكاديمية منها والاجتماعية، وكذلك تؤثر المشكلات الحسية على تنمية مهارات ذوي اضطراب طيف التوحد؛ لأنها تشتت انتباهم ولا يستطيعون الانتباه والتركيز بالشكل المطلوب. وأوضحت الأخصائية (ن، م)، بقولها: "هذه المشكلة تؤثر على تطور مهاراته؛ لأنه ينشغل عن الحلسة التعليمية باسم روائح الأشخاص والمكان". وأيدت ذلك والدة (ج، ح) بقولها: "المشكلات الحسية تؤثر عليها في تنمية الجانب الاجتماعي". وأشارت الأخصائية (ن، ش) إلى أن المشكلات الحسية تؤثر على التركيز والانتباه لديهم بشكل كبير. ووافقتهم الرأي الأخصائية (أ، م) حيث أشارت إلى أن: "المشكلات الحسية تعيق العملية التعليمية والاستفادة من البيئة المحيطة، يجب تحفيز الحواس حتى يتفاعل الفرد مع البيئة المحيطة بالشكل المناسب، فالمشكلات الحسية تؤثر جداً على تنمية جميع الجوانب". وتأيداً لذلك شاركت والدة (ل، ج) بقولها: "طفلتي لا تنتبه ولا ترکز عندما تقوم بالمهز، فالمشكلات الحسية تؤثر عليها جداً".

ثانياً: هناك من يرى أن المشكلات الحسية التي تكون بسيطة لدى ذوي اضطراب طيف التوحد لا تؤثر على تنمية مهاراتهم؛ لأنها تكون تحت السيطرة، حيث تستطيع المعلمة أو الأم إشغاله عنها. فقد أشارت الأخصائية (ن، ش) بقولها: "المشكلة الحسية السمعية لدى (ج، ص) لا تؤثر على تنمية مهاراتها؛ لأنني أقوم بإبعاد مصدر الإزعاج عنها في الفصل". ووافقتها الرأي والدكتا فقلت: "هذه المشكلات الحسية لا تؤثر على مهاراتها؛ لأنني أستطيع التحكم فيما يزعجها".

استخلاصاً مما سبق نجد أن المشكلات الحسية تصاحب كل فئات ذوي اضطراب طيف التوحد من وجهة نظر الأخصائيات وأولياء الأمور، لكنها تتفاوت بين حساسية عالية أو منخفضة، وقد تظهر لدى ذوي اضطراب طيف التوحد مشكلة حسية واحدة أو أكثر من مشكلة حسية؛ لذلك الثابت وجود المشكلات الحسية لدى جميع فئات ذوي اضطراب طيف التوحد، ولكن بشكل متفاوت حيث توصلت المقابلات مع الأخصائيات وأولياء الأمور، وتحليل الوثائق إلى تحديد المشكلات الحسية الأكثر شيوعاً لدى كل فئة من فئات ذوي اضطراب طيف التوحد، والفارق بينها من حيث شدة أعراض تلك المشكلات الحسية وتأثيرها على تنمية وتطوير مهارات الطفل تبعاً لهذه الفئات:

تتضخ المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد البسيط (بحاجة لدعم)
في المشكلات الحسية السمعية أولاً، تليها المشكلات الحسية الدهليزية، ثم المشكلات الحسية الشمية، فالمشكلات الحسية اللمسية، ثم المشكلات الحسية البصرية وأخيراً المشكلات الحسية الذوقية، تظهر هذه المشكلات الحسية بشكل بسيط؛ إذ لا يظهرون سلوكيات غير مرغوبة، أو مؤذية، وتأثر عليهم في تنمية الجانب الاجتماعي فقط.

وتتضخ المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد المتوسط (بحاجة لدعم كبير)
في المشكلات الحسية الشمية أولاً، تليها المشكلات الحسية اللمسية، ثم المشكلات الحسية السمعية والبصرية، تليها المشكلات الحسية الدهليزية، وأخيراً المشكلات الحسية الذوقية، تظهر هذه المشكلات الحسية لديهم بشكل متوسط؛ حيث ينزعجون من المثيرات الحسية فيظهرون استجابات لإبداء استيائهم، ولكن لا تشكل عائقاً كبيراً جداً، فهي تؤثر عليهم في تنمية الجانب الاجتماعي والأكاديمي وتطورهما.

بينما تتضخ المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد الشديد (بحاجة لدعم كبير جداً)
في المشكلات الحسية الدهليزية، تليها المشكلات الحسية السمعية، ثم المشكلات الحسية الذوقية، تليها المشكلات الحسية اللمسية، ثم المشكلات الحسية البصرية، لكن هذه المشكلات الحسية

تظهر بشكل واسع مقارنة بذوي اضطراب طيف التوحد البسيط والمتوسط كما تؤثر عليهم في تنمية الجانب الاستقلالي، الاجتماعي، الأكاديمي، الحركي، الانتباه والتركيز.

ولابد من تأكيد حاجة ذوي اضطراب طيف التوحد بجميع الفئات إلى برامج معالجة حسية وتكامل حسي مكثفة لمساهمتها في زيادة الانتباه والتركيز، والتواصل وتنمية مهارات الطفل ذي اضطراب طيف التوحد وجوانبه الإدراكية، والاجتماعية، والاستقلالية، والمهارات الحركية الكبرى والدقيقة، فمن خلال الاطلاع على الوثائق أشارت التقارير إلى تطور ملحوظ في سلوكيات الأطفال الذي خضعوا لجلسات تكامل حسي مقارنة بغيرهم من لم يخضعوا مثل هذه الجلسات.

وتتفق مع هذه النتائج دراسة غنيم (2021)، التي أشارت إلى وجود فروق بين فئة اضطراب طيف التوحد التي بحاجة لدعم كبير جداً مقارنة بفئة اضطراب طيف التوحد التي بحاجة إلى دعم في الاستجابات الحسية، كما أشارت الدراسة إلى أن شدة اضطراب طيف التوحد تؤدي إلى ازدياد اضطراب الحسي، وتؤثر على الجانب الاجتماعي والمعنوي فتظهر تلك الاضطرابات الحسية بسلوكيات عدوانية وغضب.

وتتفق معها دراسة كلٌ من الكويتي، الحوامدة و الخميسي (2013) حيث أشارت إلى أن المشكلات الحسية تنتشر لدى أطفال اضطراب طيف التوحد بنسبة ٩٠%， وتظهر هذه الاستجابة الحسية بشكل مختلف عن العادي، إما حساسية مفرطة أو منخفضة للمثيرات الحسية، و فسرت الدراسة المشكلات الحسية السمعية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد بأنهم يضعون أصابعهم على آذانهم لأنهم يعيشون في بيئه مليئة بالمثيرات السمعية و عديد من الأصوات، و هذه المثيرات تسبب المشكلات الحسية السمعية، وأشاروا إلى أن ذوي اضطراب طيف التوحد لديهم حساسية في النواقل العصبية بين الأذن والدماغ. أما المشكلات الحسية البصرية ف تكون استجابتهم للمثيرات البصرية غير عادية، فنجد بعضهم يقرب الأشياء والمواد من عينيه في حين ينزعج بعضهم الآخر من رؤية الأجسام التي تدور، وهنا يكمن الفرق بين الحساسية البصرية المفرطة والحساسية البصرية المنخفضة.

إجابة السؤال الثاني ومناقشتها: ما الإجراءات المتبعة عند ظهور المشكلات الحسية؟ وما مدى تأثيرها في حفظ هذه المشكلات؟

عند تحليل البيانات، تم التوصل لأهم الإجراءات المتبعة عند ظهور المشكلات الحسية سواء في المنزل أو المركز، وأثر هذه التدخلات المتبعة في حفظ المشكلات الحسية، وفيما يأتي عرض ذلك:

الإجراءات المتبعة عند ظهور المشكلات الحسية:

تنوعت الإجراءات المتبعة تبعاً للمشكلة الحسية التي يعاني منها الطفل، فعند ظهور المشكلات الحسية الشمية اتفق كل من الأخصائيات وأولياء الأمور على القيام بإجراءات وتدخلات للحد من هذه المشكلة، أو مساعدة الطفل على التكيف معها، ومنها محاولة تعريض الطفل لهذه الروائح المختلفة والنفاذة بالتدریج حتى يتعرف عليها، وإبعاد مصدر الرائحة التي تسبب الإزعاج؛ حتى لا تشتبه الطفل وتشغله عن المدف الرئيسي من الجلسة التعليمية.

ولمواجهة المشكلات الحسية اللميسية تُستخدم المواد اللميسية كمعزز مثل الصلصال وكرات الضغط؛ لأن الطفل يستمتع بمثل هذه الملمس، وبهذا فيكون مستعداً ومهيئاً للعملية التعليمية، كذلك عمل تدليك ومساج وتمرير ملامس خشنة على يديه يساعد على تهدئته، فتحفيز الجانب الحسي مهم جداً ويساعد على حفظ المشكلات الحسية وتحفيز الأفراد للعملية التعليمية.

أضافت وجهات نظر أخرى أن تجاهل السلوك وإشغال الطفل بأشياء يحبها وكذلك الأعمال المنزلية تساعد في حفظ هذه المشكلات الحسية، وكذا التوجيه الجنسي والتعليمات اللفظية التي تنهى عن شم الأشياء، ووضع يديه على أذنه مثل (خطأ- أزل يدي- لا أشم أذوق أولاً)، تعريض الطفل للأصوات والتواصل البصري من خلال تمارين وتدريبات معينة. وقد أشارت والدة (أ، ح) إلى أن حضورها مع طفلها في المركز بعض الأيام أثناء الجلسات التعليمية ساعدتها كثيراً في التعامل معه في المنزل.

وفي مواجهة المشكلات الحسية السمعية تُخفض المعلمة الأصوات داخل الفصل الدراسي كصوت الأيدي أو عروض البوربوينت ومحاولة السيطرة على الأقران الموجودين في الفصل، أما في الخارج فتحاول المعلمة إطفاء السماعة أو حفظ صوتها حتى لا تنزعج الطالبة، كذلك تحاول استخدام سدادات الأذن، وتعريض الحالة للأصوات من خلال التمارين بالتدریج.

وعند ظهور المشكلات الحسية الدهليزية أشارت والدة (ل، ج): "عندما تبدأ بالهز أقوم بلفها في لحاف وعمل تدليك لكَلَّ الجسم، ويساعد هذا التدخل في تهدئتها". أما الأخصائية (م، ك) فأشارت

إلى أنها تعطي الطفلة تعليماتٍ لفظيةً وتلقينًا جسديًّا عندما تمشي على أطراف أصابعها. وأشارت بعض وجهات النظر إلى أن النطية تساعد الأطفال كثيراً في خفض المشكلات الحسية كالرففة والهز، كذلك كان لعمل تمارين على الكرات الكبيرة أثر إيجابي.

وأخيرًا عند ظهور المشكلات الحسية البصرية أشارت الأخصائية (ن، ش) إلى أن إزالة المشتتات البصرية، والتقليل من الإضاءات العالية داخل الحجرة الصافية، وتدعيم الجلسة الفردية بالكشافات، وعمل أنشطة كتبع الضوء تساعد في خفض المشكلات البصرية إلى حدٍ ما.

أثر التدخلات المتبعة في خفض المشكلات الحسية: اتفقت أغلب وجهات النظر على أن التدخلات المتبعة في خفض المشكلات الحسية لها نسبة نجاح كبيرة وذات أثر إيجابي في خفض المشكلات الحسية، لكنها تحتاج إلى متابعة متواصلة كما أنها تساعد على تهدئة ذوي اضطراب طيف التوحد، وتعزز التركيز والانتباه لديهم بشكل جيد، وبعضهم يرى أنهم يستجيبون لفترة ثم يعودون للسلوك مرة أخرى.

وفي هذا الإطار ذكرت والدة (ج، ح): " بعد جلسات التكامل الحسي تحسّن سلوكيّها بشكل ملحوظ، ولكن لم تختف السلوكيات بشكل كلي، هذه التدخلات لها نسبة نجاح وتأثير واضح كما أنها تساعد على تنمية إدراكيها ومهاراتها، لكنها أحياناً تتقبل هذه التدخلات وأحياناً ترفض وتتنزعج".

ووافقتها الرأي والدة (أ، ح) حيث قالت "ينشغل طفلي عن الشم ويتفاعل ويتواصل، وتحد التدخلات من مشكلة الشم لديه وتحفظها".

كما أوضحت والدة (ل، ج) تأثير التدخلات بقولها: "للتدخلات أثر إيجابي كبير في خفض المشكلات الحسية لديها، وتساعدها على التركيز والانتباه؛ لأن الجسم يأخذ حاجته من الحس فيبدأ بالاستجابة، والتكامل الحسي ضروري جداً، خضعت طفلي جلسات تكامل حسي وتكامل سمعي، كانت عصبية وتصرخ وتبكي عندما تنزعج، أما الآن هي فقط تبكي أو ترفض الاستجابة فقط".

وقد توافق رأي والدة (أ، ح) مع الآراء السابقة، حيث أشارت إلى أن: "التدخلات المتبعة في المنزل والمركز لها أثر إيجابي في سلوك طفلي وترتکز عليه أغلب السلوكيات".

كما أشارت مختصة (ل، ج) إلى أن: "التدخلات لها نسبة كبيرة في نجاح خفض المشكلات الحسية لأن مشكلتها الأساسية حسية فالتركيز على المعالجة الحسية وتنمية هذا الجانب مهم جداً".

ومن زاوية أخرى، أشار بعضهم إلى أن التدخلات الحسية لم تساعد في تطور سلوك الحال؛ وذلك لأنها لم تأخذ جلسات تكامل حسي بشكل مكثف ومستمر، فمن وجهة نظر المختصة (م، ك)؛ "أن نسبة نجاح هذه التدخلات ضعيفة، فهي تحتاج إلى تدخلات أكبر من متخصصين في مجال التكامل الحسي، وعمل جلسات تكامل حسي مكثفة وتدريب أكثر على المعالجة الحسية، فذوو اضطراب طيف التوحد بحاجة إلى برنامج متكامل للتكميل الحسي".

تعقيباً على نتائج الدراسة نرى أن التدخلات التي تقوم بها الأخصائيات في المراكز أو أولياء الأمور في المنزل بعضها علمي، وأجريت عليه دراسات أثبتت فاعليتها، وبعض التدخلات قد تكون ارتخالية وناتجة عن تجربة، وجميعها قد تكون ناجحة وذات أثر إيجابي إذا ما استخدمت بالطريقة الصحيحة.

ولا يمكن الجزم بأن جميع التدخلات والإجراءات يجب أن تُتبع بالطريقة نفسها مع ذوي اضطراب طيف التوحد؛ لأن هذه الإجراءات قد تناسب بعضهم ولا تناسب بعضهم الآخر، فلا بد من البحث والاستشارة حتى نصل إلى الإجراء والتدخل الأنسب للحالة التي نواجهها.

أما معالجة المشكلات الحسية عن طريق التكامل الحسي والعلاج الوظيفي، فهي ناجحة جداً، ومن خلال تجربة الباحثة العملية كمعلمة لأطفال اضطراب طيف التوحد، حيث كلفت بالعمل في التكامل الحسي لمدة عام دراسي، ولاحظت تطويراً في مهارات الأطفال بشكل كبير مقارنة بسلوكياتهم قبل جلسات التكامل الحسي؛ وعليه فإن هذه الجلسات تساعدهم على اضطراب طيف التوحد على الاسترخاء والتركيز والانتباه، كما أنها تعمل على تنمية مهاراتهم من الجوانب كافةً.

وتتفق هذه النتائج مع دراسة مرسى (2019)، التي توصلت إلى فاعلية برنامج قائم على التكامل الحسي في خفض المشكلات الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، وخفض الأعراض الرئيسية لديهم مثل السلوكيات النمطية والتفاعل الاجتماعي.

كما تتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة طالب، وعمرو وملكاوي (2019) بعنوان فاعلية برنامج تدريجي قائم على استراتيجيات التكامل الحسي في خفض مشكلات الاستجابة الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد، حيث توصلت النتائج إلى أن أطفال الدراسة الأربع ظهروا تحسناً واستجابة حسية واضحة في جميع أبعاد المقياس بدرجات مختلفة.

وتتفق كذلك مع نتائج دراسة محمد والعنتري (2020) التي توصلت إلى أن برنامج التكامل الحسي نجح في تنمية مهارات الاضطراب الحسي وتطويرها لدى ذوي اضطراب طيف التوحد، وساعد

الطفل ذا اضطراب طيف التوحد في اكتساب الثقة بقدراته وبناء صورة إيجابية عن نفسه، فلتكمال الحسي دور فعال في زيادة الاضطرابات الحسية المنخفضة لدى ذوي اضطراب طيف التوحد؛ مما يؤدي إلى تنمية التواصل البصري، وتحسين المهارات الحركية وتقليل السلوكيات النمطية.

وتفق مع نتائج دراسة أبو حامد وعليوة (2020) التي أشارت إلى فاعلية برنامج قائم على التكمال الحسي في تحسين السلوكيات النمطية والمتكررة لدى ذوي اضطراب طيف التوحد وتعديلها.

التوصيات:

من خلال النتائج التي توصل إليها البحث، يوصي الباحثان بما يلي:

- مراعاة المشكلات الحسية عند تصميم الخطط التربوية الفردية للأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد لتقسيم الدعم المناسب.
- استخدام أساليب تربوية وتدريسية مبتكرة للمساعدة في خفض المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد.
- عمل اجتماعات دورية بين الكادر التعليمي لمناقشة مظاهر المشكلات الحسية، والتعرف على طرق التدخل المناسبة.
- توعية أسر ذوي اضطراب طيف التوحد بالتدخلات الفعالة المساعدة في خفض المشكلات الحسية عن طريق الندوات وورش العمل.

المقترحات البحثية:

- دراسة تأثير المشكلات الحسية على المهارات الاجتماعية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد.
- دراسة مظاهر المشكلات الحسية لدى ذوي اضطراب طيف التوحد الملتحقين بالمراكز، ومقارنتها بمظاهر المشكلات الحسية لدى الطلبة الملتحقين بمدارس الدمج.
- عمل أبحاث إرشادية لأسر ذوي اضطراب طيف التوحد للتعامل مع المشكلات الحسية لدى أطفالهم.

المراجع

المراجع العربية:

- باشا، سامي سليم، عبدالغفور، نضال فايز و كتلوا، كامل حسن. (2019). الخصائص السلوكية لمصابي اضطراب التوحد في الضفة الغربية كما تم الكشف عنها بواسطة مقاييس باشا للتشخيص السلوكي. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية و علم النفس، 17(4)، 86.
- البكري، سيرين طلال. (2021). تجربة الطلاب و الطالبات ذوي الإعاقة بجامعة الملك خالد نحو التعلم الطارئ عن بعد في ظل جائحة كورونا(كوفيد19) دراسة نوعية ظاهرية. المجلة السعودية للتربية الخاصة، 17(1)، 103-135.
- الحسيني، عبدالناصر الأشعلي. (2020). مؤشرات جودة مناهج البحث في التربية الخاصة الممارسات المستندة على البراهين. الرياض: مركز الملك سلمان لأبحاث الإعاقة.
- حياصات، مزيد عبدالفتاح، القحطاني، عبدالله حجاب و الزعابير، أحمد عبدالله. (2016). مشاركة الشباب ذوي الإعاقة الذكور في مدينة تبوك بالعمل التطوعي: دراسة نوعية. دراسات العلوم التربوية، 43(4)، 1587-1599.
- الروسان، فاروق. (2008). أساليب القياس و التشخيص في التربية الخاصة . عمان: دار الفكر.
- الرويلي، منار محمود و التل، سهير مدهون. (2019). مستوى مشكلات التكامل الحسي لدى ذوي اضطراب طيف التوحد في محافظة العاصمة عمان من وجهة نظر المعلمين و طرق علاجها. الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية و النفسية، 27 (1)، 525-553.
- الزهراوي، محمد عبدالله. (2020). معايير تقييم جودة البحوث النوعية في العلوم الإنسانية. المجلة الدولية للدراسات التربوية و النفسية .
- الشنقيطي، أسيل والزارع، نايف. (2021). المشكلات السلوكية لدى الطالبات ذوات اضطراب طيف التوحد الملتحقات بمدارس التعليم الشامل: دراسة نوعية. مجلة التربية الخاصة والتأهيل، 13 (44)، 73-111.

طالب، قسمت عطيانه، عمرو، مني محمود و ملکاوي، سمية حسين. (2019). فاعلية برنامج تدربي قائم على استراتيجيات التكامل الحسي في خفض مشكلات الاستجابات الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد. *الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية*، 27(6)، 735.

العبدالكريم، راشد حسين. (2020). *البحث النوعي في التربية*. الرياض: مكتبة الرشد.
العدساني، هبة. (2019). *تحليل بيانات البحث النوعي (٥): كتابة النتائج و تفسيرها بطريقة PEEL*. تم الاسترجاد من مدونة البحث العلمي:

تحليل بيانات البحث النوعي (٥): كتابة النتائج و تفسيرها بطريقة - PEEL الأكاديمية التعليمية - البحث العلمي (educad.me)

الغفيري، أحمد علي. (2019). التوجهات البحثية في مجلة جامعة الملك خالد للعلوم التربوية. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل.

غنيم، وائل ماهر. (2021). الاضطرابات الحسية و علاقتها بالسلوكيات النمطية التكرارية و اضطراب القلق لدى عينة من ذوي اضطراب طيف التوحد. *المجلة التربوية لكلية التربية بسوهاج*، 3 (89)، 1527-1457.

الفقيه، أحمد حسن. (2017). تصميم البحث النوعي في المجال التربوي مع التركيز على بحوث تعليم اللغة العربية. *المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية*.

الكويتي، أمين علي، الحوامدة، خولة أحمد و الخميسي، السيد سعد. (2013). العلاقة بين الحركات النمطية و الاضطرابات الحسية لدى الأطفال التوحديين في المملكة العربية السعودية. *مجلة جامعة القاس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية*، 1 (3)، 236-270.

محمد، سامي سليمان أبو حامد، عليوه، سهام عبدالغفار، و عزة، عبدالرحمن حسن. (2020). استخدام التكامل الحسي لتعديل السلوكيات النمطية لدى أطفال اضطراب التوحد. *مجلة كلية التربية- جامعة كفر الشيخ*، 3 (3)، 198-200.

محمد، عادل عبدالله و العنزي، فريح عويد. (2020). استخدام أنشطة التكامل الحسي للحد من أعراض اضطراب المعالجة الحسية للأطفال ذوي اضطراب التوحد. *المجله العربيه للتربية النوعيه*، 4 (13)، 302.

مرسي، هيا فتحي. (2019). فعالية برنامج قائم على أنشطة التكامل الحسي في خفض أعراض ذوي التوحد. *الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية و النفسية*، 27 (1)، 445-463.

منظمة الصحة العالمية. (2021). اضطرابات طيف التوحد. تم الاسترداد من منظمة الصحة العالمية:
<https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/autism-spectrum-disorders>

هيئة الأشخاص ذوي الإعاقة في المملكة العربية السعودية. (2017). نتائج مسح ذوي الإعاقة عام 2017. تم الاسترداد من موقع هيئة الأشخاص ذوي الإعاقة: الاحصائيات | هيئة رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة (apd.gov.sa)

References

- Akarsu, R., Savas, M., Karali, F., & Celik, Y. (2020). Evaluation of Sensory Processing Skills of Children with Autism Spectrum Disorder. *Türkiye Klinikleri Pediatri Dergisi*. Y.
- Al-Abdulkarim, Rashid Hussein, (2020), Qualitative Research in Education (in Arabic). Riyadh: Al-Rushd Library.
- Al-Adsani, Heba, (2019), Analyzing Qualitative Research Data (5): Writing Results and Interpreting them by PEEL Method, Retrieved from Scientific Research Blog: Analyzing qualitative research data (5): writing and interpreting the results using the PEEL method - Educational Academy - Scientific Research.
- Al-Bakri, S. (2021), The Emergency Distance Learning Experience of KKU's Male and Female Students with Disabilities under COVID-19: An A Phenomenological Qualitative Study (in Arabic). *Saudi Journal of Special Education*, (17), 103-135.
- AlBatti, T. H., Alsaghan, L. B., Alsharif, M. F., Alharbi, J. S., BinOmair, A. I., Alghurair, H. A., ... & Bashiri, F. A. (2022). Prevalence of autism spectrum disorder among Saudi children between 2 and 4 years old in Riyadh. *Asian journal of psychiatry*, 71, 10305
- Al-Faqih, Ahmed Hassan, (2017), Designing Qualitative Research in the Educational Field, with a Focus on Arabic Language Education Research (in Arabic) *International Journal of Educational and Psychological Studies*.
- Al-Ghafiri, Ahmed Ali, (2019), Research Trends in the Journal of King Khalid University for Educational Sciences (in Arabic) *Journal of the College of Basic Education for Educational and Human Sciences*, University of Babylon.
- Al-Husayni, Abdel Nasser Al-Ashal, (2020), Quality Indicators of Research Methods in Special Education Evidence-Based Practices (in Arabic). Riyadh: King Salman Center for Disability Research.
- Al-Kuwaiti, Amin Ali, Al-Hawamdeh, Khawla Ahmed and Al-Khamisi, Al-Sayed Saad, (2013), the Relationship between Stereotypical Movements and Sensory Disorders among Autistic Children in the Kingdom of Saudi Arabia (in Arabic). *Al-Quds Open University Journal for Educational and Psychological Research and Studies*, 1 (3), 236- 270.
- Al-Ruili, Manar Mahmoud and Al-Tal, Suhair Mamdouh, (2019), Level of Sensory Integration Problems for People with Autism Spectrum Disorder in Amman Capital Governorate from the Teachers' Perspective and Treatment Methods (in Arabic). *Islamic University for Educational and Psychological Studies*, 27 (1), 525-553.
- Al-Rusan, Farooq, (2008), Measurement and Diagnostic Methods in Special Education, Amman: Dar Al-Fikr.

Al-Shanqiti, Aseel and Al-Zari, Nayef, (2021), Behavioral Problems among Students with Autism Spectrum Disorder Enrolled in Comprehensive Education Schools: a Qualitative study (in Arabic). *Journal of Special Education and Rehabilitation*, 13(44), 73-111.

Al-Zahrani, Mohammed Abdullah, (2020), Quality Assessment Criteria for Qualitative Research in the Humanities (in Arabic). *International Journal of Educational and Psychological Studies*.

American Psychiatric Association, D., & American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and statistical manual of mental disorders: DSM-5 (Vol. 5, No. 5). Washington, DC: American psychiatric association.

Ary, D, Sorensen, C & Razavieh, A (2010). Introduction to research in education (8th ed.); Cengage Learning.

Centers for Disease Control and Prevention (CDC)(2022). Prevalence and Characteristics of Autism Spectrum Disorder Among Children Aged 8 Years — Autism and Developmental Disabilities Monitoring Network, 11 Sites, United States, 2018 . Retrieved from [Data & Statistics on Autism Spectrum Disorder | CDC](#)

Ghoneim, Wael Maher, (2021), Sensory Disorders and their Relationship to Repetitive Stereotypical Behaviors and Anxiety Disorders in a Sample of People with Autism Spectrum Disorder (in Arabic). *The Educational Journal of the College of Education in Sohag*, 3 (89), 1457-1527.

Hayasat, Mazeed Abdel Fattah, Al-Qahtani, Abdullah Hijab and Za'arir, Ahmed Abdullah, (2016), Participation of Young Men with Disabilities in Tabuk City in Voluntary Work: A Qualitative Study (in Arabic). *Educational Sciences Studies*, 43(4), 1587-1599.

Iwanaga, R., Honda, S., Nakane, H., Tanaka, K., Toeda, H & Tanaka, G. (2014, March 21). Efficacy of Sensory Integration Therapy for Japanese Children with High-Functioning Autism Spectrum Disorder. *National Library Of Medicine*.

Morsi, Hiam Fathy, (2019), The effectiveness of a program based on sensory integration activities in reducing symptoms of people with autism (in Arabic) .*Islamic University for Educational and Psychological Studies*, 27 (1), 445-463.

Muhammad, Adel Abdullah and Al-Anazi, Fareeh Owaid, (2020), Using Sensory Integration Activities to Reduce Symptoms of Sensory Processing Disorder for Children with Autism Disorder (in Arabic) .*Arab Journal for Specific Education*, 4 (13), 302.

Muhammad, Sami Suleiman Abu Hamed, Aliwa, Siham Abd al-Ghaffar, and Azza, Abd al-Rahman Hassan (2020), The use of sensory integration to modify stereotypical behaviors among autistic children (in Arabic). *Journal of the Faculty of Education - Kafr El-Sheikh University*, 3 (3), 198-200.

Osorio, J., Rodriguez-Herreros, B., Richetin, S., Junod, V., Romascano, D., Pittet, V., Chabane, N., Gygax, M., & Maillard, A. (2021, July 8). Sex differences in sensory processing in children with autism spectrum disorder. *ORCiD Connecting research and researchers*.

Pasha, Sami Salim, Abdel Ghafoor, Nidal Faye and Katlou, Kamel Hassan, (2019), Behavioral characteristics of autistic patients in the West Bank as revealed by the Pasha Behavioral Diagnosis Scale (in Arabic). *Journal of the Association of Arab Universities for Education and Psychology*, 17(4), 86.

Pena, M., Ng, Y., Ripat, J., & Anagnostou, E. (2021). Brief Report: Parent Perspectives on Sensory-Based Interventions for Children with Autism Spectrum Disorder. *Journal of Autism and Developmental Disorders*.

Randell, E., Mcnamara, R., Delport, S., Busse, S., Hastings, R., Gillespie, D., Williams-Thomas, R., Brookes-Howell, H., Romeo, R., Boadu, J., Ahuja, A., Mckigney, A., Knapp, M., Smith, K., Thornton, J., & Warren, Gemma. (2019, Feb 11). Sensory integration therapy versus usual care for sensory processing difficulties in autism spectrum disorder in children: study protocol for a pragmatic randomised controlled trial. *BMC*, 2.

Taleb, Kesmat Atiana, Amr, Mona Mahmoud and Malkawi, Somaya Hussein, (2019), The Effectiveness of a Training Program based on Sensory Integration Strategies in Reducing Sensory Response Problems in Children with Autism Spectrum Disorder (in Arabic). *Islamic University for Educational and Psychological Studies*, 27 (6), 735.

The Authority of Persons with Disabilities in the Kingdom of Saudi Arabia, (2017), Results of the Persons with Disabilities Survey for the year 2017 (in Arabic) . Retrieved from the Authority of Persons with Disabilities website: Statistics | Authority for the Care of Persons with Disabilities (apd.gov.sa)

World Health Organization, (2021), Autism Spectrum Disorders, Retrieved from WHO : <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/autism-spectrum-disorders>

Zarrad, Faisal Mohammed, (2017), Autism Disorder in Children Diagnosis and Treatment Guide for Parents and Teachers (in Arabic). Jordan: Dar Al-Fikr.

مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها

د. حنان بنت منير المطيري

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح، جامعة المجمعة

ملخص

يأتي البحث الموسوم بـ: "مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها"؛ للتتصدي للسهام المقصوبة ضد الإسلام، ومصدره الأساسي: القرآن الكريم، فعندما أيقن المستشرقون أهمية القرآن الكريم ومكانته عند المسلمين بأنه المصدر الأول للتشريع الإسلامي، قاموا برميه بالمطاعن والشبهات؛ حتى يفتن أذنابهم في بلاد المسلمين، فيرددون تلك المطاعن دون تفهم أو تدبر، وحتى يصدوا الغربيين عن معرفة الإسلام معرفة صحيحة، ومن ثم استحدث المستشرقون طرقاً جديدة للطعن في القرآن الكريم، منها: ما يتعلق بتاريخ القرآن الكريم، وتدوينه، وعلاقته بالكتب السابقة، ومنها: ما هو معنى بالقراءات الحدائمة: كالتناص، والهرمنيوطيقا، ومنها: ما يتعلق بالاتجاه التزامني؛ وهو ما يستهدف العلاقات النصية، وبنية الكتاب، ونظمها، إلى غير ذلك من اتجاهات ودراسات مستحدثة.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، شبهات حول القرآن الكريم، الاتجاه التزامني، الاتجاه التاريخي النقدي، مصادر القرآن الكريم، الهرمنيوطيقا.

The Slander of the New Orientalists in the Holy Qur'an and the Response to Them

Dr. Hanan Muneer Ghbiesh Almutairi
Associate Professor Department of Islamic studies Majmaah University

Abstract:

The research tagged: " The Slander of the New Orientalists in the Holy Qur'an and the Response to Them" comes to counter the allegations pointed against Islam, and its sources: (the Qur'an and the Sunnah). When orientalists realized the importance of the Qur'an and its place among Muslims as the primary source of Islamic legislation, they slander and suspicion it; so that their lackeys in Muslim countries are mesmerized and repeat such slanders without understanding or contemplation, and to repel Westerners from knowing Islam correctly, and then orientalists have developed new ways to challenge the Holy Qur'an, such as: what is related to the history of the Qur'an, its codification, and its relationship to previous books, What is concerned with modernist readings: such as intertextuality, hermeneutics, what is related to the synchronous trend, which targets textual relations, the structure of the book, its laws, and other trends and new studies.

Keywords: Orientalism, Doubts about the Qur'an, Synchronous Trend, Critical Historical Trend, Sources of the Qur'an, Hermeneutics.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى للمتقين، ورحمة للمحسنين، وجعله شفاء للمؤمنين، ونفي عنه الريب، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعلميين، نزل على قلبه الكتاب ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين. وبعد

فإنَّ أعين الكثير من المستشرقين لم تغمض عن الترخيص بالإسلام وتراثه، ولا يزالون يؤسسون المدارس، ويؤهلون الدارسين والباحثين لهذه المهمات، والتي يعودونها باباً مهماً من أبواب النضال للطعن في دين الإسلام الحنيف، ويأتي القرآن الكريم على رأس قائمة اهتمامات المستشرقين، فلا زالوا يسهرون ويكتدون دون كلل للنيل منه، ورميه بالطاعن والشبهات؛ حتى يفتتن أذنابهم في بلاد المسلمين، فيرددون تلك المطاعن دون تفهم أو تدبر، فاستحدث المستشرقون: طرقة جديدة للطعن في القرآن الكريم، منها: ما يتعلق بتاريخ القرآن الكريم وتدوينه، وعلاقته بالكتب السابقة، ومنها: ما هو معنى القراءات الحداثية: كالتناص، والمرمنطيقا، ومنها: ما يتعلق بالاتجاه التزامني، وهو ما يستهدف العلاقات النصية، وبنية الكتاب ونظمها، إلى غير ذلك من اتجاهات ودراسات استحدثها المستشرقون الجدد؛ ليكونوا امتداداً لأسلافهم السابقين؛ من أفنوا أعمارهم وأوقاتهم في الترخيص بكتاب الله تعالى، ولكن هيهات، وأنى لهم النيل من كتاب الله، وقد تعهد الله بحفظ كتابه الحكيم، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، ومن هذا الحفظ أن الله قضى من يتصدى لحملات المستشرقين ومطاعنهم؛ حتى يردوا كيدهم في نحورهم، والله أعلم أن يجعلني من أولئك الذين اصطفاهم لخدمة كتابه المجيد.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في: بيان الدراسات الاستشرافية الحديثة، وأهم المؤلفات في هذا الباب، وأبرز الشبهات والمطاعن التي يثيرها المستشرقون الجدد حول القرآن الكريم، وأهم الكتابات والشبه حول هذا الموضوع؟

تساؤلات الدراسة:

١. ما الاستشراف، وما دوافعه؟
٢. ما أهم الاتجاهات الاستشرافية في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم؟
٣. ما أهم شبهات المستشرقين الجدد حول تأثر القرآن الكريم بالكتاب المقدس؟

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

أهمية الدراسة: يتمركز محور الدراسة على عدة أمور، أهمها:

١. أنها ستحاول الكشف عن أهداف المستشرقين الجدد، وغاياتهم.
٢. أنها ستبيّن أهم مصادر التشريع الإسلامي التي يسعى المستشرقون الجدد إلى الطعن فيها.
٣. أنها تلقي الضوء على أهم الشبهات والمطاعن التي يثيرها المستشرقون الجدد.
٤. أنها تبيّن مناهج المستشرقين الجدد في دراسة القرآن الكريم.
٥. أنها تكشف اللثام عن أهم كتابات المستشرقين الجدد حول القرآن الكريم.

وتهدف الدراسة إلى:

١. التعريف بالاستشراق، وبيان أهم المستشرقين المعنيين بالدراسات القرآنية في العصر الحديث.
٢. إلقاء الضوء على أهم القضايا التي يثيرها المستشرقون الجدد، ويكررونها.
٣. بيان شبهات المستشرقين الجدد حول تأثير القرآن الكريم بالكتاب المقدس.
٤. التعرف على أهم الاتجاهات الاستشرافية في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تعددت الكتابات حول الاستشراق والمستشرقين، ومن أهم الأديبيات السابقة ذات الصلة بموضوع

الدراسة ما يأتي:

١. الاستشراق دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، للدكتور محمد خليفة حسن، وتحدث مؤلفه عن موضوع من أهم الموضوعات التي تهتم بمحاج الاستشراق، وتتأثر المستشرقين بتاريخ العهدين القديم والجديد، أو ما يسمى: تاريخ الكتاب المقدس، وقام بنقد نموذج من مدارس الاستشراق في ضوء علم نقد الكتاب المقدس. يلاحظ أن الدراسة السابقة تحدثت عن المستشرقين بوجه عام، فيما الدراسة الحالية تتناول المستشرقين الجدد فقط، وتطرقت إلى بعض شبهات المستشرقين الجدد حول أحد القرآن الكريم من كتب اليهود والنصارى.

٢. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره(دراسة ونقد)، للدكتور عمر إبراهيم رضوان؛ وقد تناولت هذه الدراسة: الاستشراق ونشأته، ودوافع المستشرقين وأهدافهم، وكتاباتهم وآراءهم حول القرآن وناقشتها، كما تناولت قضايا تتعلق بتفسير القرآن الكريم، وكانت أهم النتائج التي خرج بها: ضخامة الاتساع الاستشرافي والدعم المادي الهائل من قبل الحكومات الغربية، ممثلة بالمؤسسات التبشيرية، والمراكز التعليمية، وعلى رأسها الجامعات الغربية، وفي المقابل عدم التفات المسلمين لهذا الاتساع الاستشرافي وخاصة مؤسساتهم التعليمية والمبرمجات الإسلامية؛ ولهذا لم تترجم من لغاتهم إلى العربية؛ الأمر الذي يعتبر أكبر عائق أمام علماء المسلمين للرد على تلك الشبهات والتصدي لها، يلاحظ أن الدراسة السابقة تحدثت عن المستشرقين بوجه عام، فيما الدراسة الحالية تتناول المستشرقين الجدد، وبعض شبهاتهم حول أحد القرآن الكريم من كتب اليهود والنصارى.

٣. الاستشراق والدراسات القرآنية بين الأمس واليوم، للدكتورة رغداء محمد أديب زيدان، بحث منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، وقدّم هذا البحث قراءة وصفية لتاريخ الاستشراق، ونشأته، وأهدافه، والمناهج التي يستخدمها في تناول القرآن الكريم، ويستشكل مقوله موت الاستشراق، ويبين من خلال بعض النماذج: استمرارية كبيرة للاستشراق في المناهج والأدوات، وكذلك يشير تساؤلات عن مدى كفاءة مناهج الاستشراق في دراسة القرآن الكريم. فيما الدراسة الحالية تتحدث عن المستشرقين الجدد، ودوافعهم، وتذكر أهم المستشرقين المعينين بالدراسات القرآنية في العصر الحديث.
٤. المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن بنى عامر، طبعة دار الأمل، ٤٢٠٠٤ م. وتحدث مؤلفه عن الاستشراق بشكل عام، وتاريخه ودوافعه، وصلته بـ: التنصير، واليهود، والاستعمار، وأهدافه: الدينية، والعلمية، والسياسية، وموقف المستشرقين من القضايا العقدية، وموقفهم من مصدر القرآن الكريم، وموقفهم من تاريخ القرآن الكريم، وموقفهم من آيات الجهاد، ثم تحدث عن موقفهم من آية الجزية، وآيات الحدود، وذكر موقف المستشرقين من آيات المواريث، والشبه حول تلك الآيات وبطalan تلك الشبه، والرد عليها. فيما تحدث في دراستي عن المستشرقين الجدد، وأنناول أهم الشبهات، وأهم المقولات الاستشرافية حول تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم.
٥. الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، للدكتور محمد عبد المتعال الجابري، طبعة مكتبة وهبة القاهرة، ١٩٩٥ م، وفي هذا الكتاب يكشف الدكتور الجابري عن: الاستشراق، وأهدافه العامة، فيبين: طريقة دراسة المستشرقين الإسلام وعلومه وطبيعتها، من: تاريخ، وسنة، وسيرة، مع استعراضه المراحل التي مرروا بها، والمزاعم التي روّجوا لها حول علوم الإسلام، ويشتت زيفها وبطلانها بأسلوب علمي موضوعي، وقد استعرض في دراسته: أهداف الاستشراق من جميع الجوانب التي يعتمد عليها أكثرهم، وكيف تطورت هذه الأساليب، وموقف المفكرين منهم، كما يوضح أساليب الحرب الفكرية الخفية، ودور الاستشراق فيها، وغير ذلك من الأفكار المهمة. فيما دراستي الحالية تركز على أبرز المستشرقين الجدد الذين يتربصون بالدين الإسلامي الدوائر، وأهم ما ينطلقون منه في دراسة المصدر الأول للتشرع وهو القرآن الكريم، ومميزاته.
٦. نقد الخطاب الاستشرافي، الظاهرة الاستشرافية وأثرها في الدراسات الإسلامية، للدكتور سامي سالم الحاج، طبعة دار المدار الإسلامي، بنى غازي، ٢٠٠٢ م، وقد سعى هذا الكتاب إلى تقسيم محاولة قوية لفهم ظاهرة الاستشراق بشكل علمي موضوعي بعيداً عن الآراء وتقديرها، كما يجيب المؤلف فيه عن عدة أسئلة، منها: لماذا هذا الجدل حول ظاهرة الاستشراق؟ ولماذا اختلف الباحثون بين مؤيد، ومعارض؟ وما وجهة النظر العلمية حول هذا الموضوع؟ ولماذا الاهتمام بدراسة الاستشراق، وفهم أهدافه، ونشأته، ومراحله، ومناهجه؟ فالمؤلف تعرض لهذه الظاهرة العلمية، ووضح لنا الأصل الذي خرجت منه، وسبب ظهورها، والسباق التاريخي الذي اكتنفها منذ زمن بعيد مع بداية

الاحتكاك بين الشرق والغرب، مروراً بالعلاقة بين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى، حتى بيان آثار هذه العلاقة في العصر الحديث، مع مناقشة المراحل التي مرت بها هذه الظاهرة العلمية، محللاً خصائص كل مرحلة، وما تميزت به عن غيرها من المراحل، ومبيناً مدى تأثيرها على الدراسات الشرقية بصورة عامة، وكيفية معالجتها بعض القضايا الإسلامية بصورة خاصة، وغير ذلك من المحاور العلمية التي يتناولها هذا الكتاب بشكل موضوعي ثري. بينما الدراسة الحالية تركز على المستشرقين الجدد فقط، وأحاول التعرف على أبرز شبهاهم حول القرآن الكريم واتجاهاتهم في دراسة القرآن الكريم.

منهج الدراسة:

استخدم في هذا البحث المنهج التاريخي، والمنهج المقارن.

خطة الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فتذكر فيها مشكلة الدراسة، وتساؤلاتها، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالاستشراق ودوافع الاستشراق، وتاريخ الدراسات الاستشرافية.

المبحث الثاني: مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: تطبيق الاتجاه المرنميوطيقي في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الاتجاه التزامني في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم، وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته.

المطلب الثاني: مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج الدراسة. وأخيراً: مراجع الدراسة.

المبحث الأول

التعريف بالمستشرقين الجدد ود الواقع الاستشرافي، وتاريخ الدراسات الاستشرافية

قبل التعريف بالمستشرقين الجدد لا بد أولاً من التعريف على معنى مصطلح الاستشراف، وبشكل

موجز، وذلك فيما يلي:

أولاً: تعريف الاستشراف لغة واصطلاحاً:

أ- تعريفه لغة:

كلمة (استشراف) على وزن: استفعال؛ وهي مشتقة من مادة: شرق، ثم أضيف إليها، ومعنى الاستشراف: طلب الشرق، ويسمى العالم بها: مستشرق، ويقصد به: طلب علوم الشرق، وأدابه، ولغاته، وأديانه، يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروعها: إذا طلعت، وأنارت، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(١)، وشرقت الشمس شرقاً: إذا ضعف ضوءها، اسم الموضع: المشرق، والتشريف: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرق وغرب، وشرقاً: ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق^(٢).

ب- الاستشراف orientalism اصطلاحاً:

عرف الاستشراف اصطلاحاً بأنه: "علم الشرق، أو علم العالم الشرقي"^(٣).

كما أطلق أيضاً على: التيار الفكري الذي يستهدف دراسة الشرق الإسلامي من جوانبه كافة: الحضارية، والدينية، والأدبية، والثقافية، واللغات^(٤).

والاستشراف بحسب الدكتور إدوارد سعيد يطلق على: "الحقل الذي يتحدث عن الشرق، ويؤلف عنه، ويدرسه"، وبعبارة أخرى: "الاستشراف هو: اختصاص من ينشط في دراسة ما يتعلق بالشرق، ويجعل منجزاته والنتائج التي يتوصل إليها في متناول الآخرين"^(٥).

ويراد به أيضاً: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"^(٦).

(١) سورة الزمر: الآية (٦٩).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٧٩، ١٧٤/١٠، ١٤١٤ هـ (١٧٩، ١٧٤)، إبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: جمع اللغة العربية بالقاهرة (١٤٨٠)، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ (٢٠٠٨ م) (١٩٩٢/٢).

(٣) زقرق، محمود حمي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٦٠.

(٤) انظر: الأمين، عبدالله محمد: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧ م، ص ١١٥.

(٥) سعيد، إدوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناني، رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ م، ص ١٤٠.

(٦) ساسي، سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشرافي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، (٢٠/١).

ثانياً - تعريف المستشرقين الجدد:

المستشرقون الجدد هم: أولئك الذين يمثلون التيار المحافظ بشدة أكثر من أسلافهم السابقين، باستخدام أساليب العصر الحديثة والجديدة، ويقصد بهم: الفلاسفة الذين لجأوا إلى الإسلام؛ لتوظيفه في مشروعهم النقدي للغرب والمسيحية في مرحلة ما بعد الحادّة^(١).

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥م اهتم المستشرقون الجدد ودوائرهم الاستشرافية بمراجعة "الاستشراق"، والعمل على إصلاح مؤسساته، وبعد تقرير سكاربورو عام ١٩٤٧م، وضع شرعة الاستشراق الحديث في بريطانيا؛ حيث أكد على ضرورة معرفة وفهم البلدان البعيدة بشكل صحيح، حتى لا تبقى العلاقات معها خاضعة للخرافات والجهل^(٢).

لقد دعا معظم المستشرقين الجدد إلى تحرير الاستشراق من الأهداف التنصيرية، والاتجاه به نحو بحث علمي مستقل يستهدف المعرفة وحدها، فافتتحت في أكثر من بلد غربي أقسام لدراسات الشرقية، أو العربية أو الإسلامية في الجامعات^(٣)

وقد لعبت المراكز البحثية الغربية دوراً كبيراً إبان صعود المستشرقين الجدد والذين باتوا يسمونهم الخبراء، ومن أبرز هؤلاء الخبراء الخطبرين في المراكز البحثية في أمريكا: برنارد لويس (١٩١٦ - ٢٠١٨) هو مؤرخ أمريكي بريطاني متخصص في الدراسات وهو ينتمي إلى نخبة من المفكرين والباحثين التاريخيين وقادرة الفكر الإستراتيجي في الولايات المتحدة، أمثل: صامويل هنتنجهتون (١٩٢٧ - ٢٠٠٨)، صاحب نظرية "صراع الحضارات" التي استقاها من مقالة للويس بعنوان "عودة الإسلام"، وفرانسيس فوكوياما (من مواليد ١٩٥٢)، من مجموعة الحفاظين الجدد، وروجت لها مؤسسات الأبحاث السياسية والإستراتيجية، وصارت كتبهم على قائمة المبيعات الأكثر رواجاً، وتغطية على الصعيد الإعلامي^(٤)؛ وهم يقومون بدورهم الاستشرافي في تلك المراكز منذ تسعينيات القرن الماضي حتى الآن^(٥).

(١) انظر: سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إيان الموند، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد:

.٢١٦، ٢١٥، ٢٠٢١م، ص ٢٤.

(٢) انظر: الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، منتشر على الموقع التالي:

[http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_25.html\](http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_25.html)

تم استرجاعه في ١١/٢٧/١٤٤٤هـ الموافق ٦/٢٣/٢٠٢٣م.

(٣) انظر: للمستشار محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراق، أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وببلاد الإسلام، د.ط.، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٧٧هـ ١٣٩٧م ص ٤٠.

(٤) انظر: الموقع الإلكتروني:

<https://www.marefa.org>

تم استرجاعه في ١١/٢٧/١٤٤٤هـ الموافق ٦/٢٣/٢٠٢٣م.

(٥) انظر: إبراهيم عوض، المستشرقون الجدد" دانيال بايلس وبقية أفراد العصابة منتشر على الموقع التالي:

https://mtafsir.net/forum%

تم استرجاعه في ١١/٢٧/١٤٤٤هـ الموافق ٦/٢٣/٢٠٢٣م.

وأنظر هذه المؤسسات هي مؤسسة راند في العالم، وهي منظمة بحثية يقع مقرها الرئيسي في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، تعود نشأتها إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويعمل في المؤسسة ما يقارب ١٨٠٠ باحث وموظف يحمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية، وتكون خطورتها في شدة تأثيرها، وقرها من مراكز اتخاذ القرار، كما أن تقاريرها تمتاز بالعمق السياسي والاستراتيجي^(١).

ثالثاً: دوافع المستشرقين:

إن للاستشراق دوافع منها: تبشيرية، واستعمارية، وعلمية، ويظل الإسلام في الغالب هو الهدف الرئيس لكثير من المستشرقين؛ حيث دأبوا على دراسة اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وتبحروا في الدراسات الأدبية؛ لينالوا من الإسلام كتاباً وسنة، بداعٍ: التقليل من أهميّتهما، وحشد المرضى لينفحوا في تلك الأبواق بما يوافق هواهم، وكذلك الطعن في التاريخ الإسلامي، والنيل من صحابة رسول الله ﷺ.

ويمكن القول: إن الاستشراق جاء كبدائل عن الحروب الصليبية، بعد أن تيقن الغرب الصليبي أن لا سبيل إلى النصر والغلبة على عقيدة المسلمين وفكرهم، عن طريق القوة الحربية؛ لأن تدين المسلمين بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفوس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام؛ ومن هنا قام نفر من الغربيين يدفعهم التعصب إلى الكتابة عن الإسلام؛ فاقردهم التعصب أمانة العلم، وعملوا إلى تشويه الإسلام^(٢).

كما أن من دوافعه: أنهم يشعرون بالخوف من انتشار الإسلام؛ ونجد التعبير عن هذا الشعور في ثانياً كتابات بعض المستشرقين^(٣).

رابعاً: تاريخ الدراسات الاستشرافية في القرآن الكريم:

نظراً لمنزلة القرآن الكريم عند المسلمين، وأنه المصدر الأول للتشريع؛ نجد أن كثيراً من المستشرقين صوبوا سهام الطعن نحوه للنيل منه، والتشكك فيه، وهذا ما أكدته جولد، في مقدمة كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي)؛ حيث ذكر أنه لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نص منزل، أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن الكريم^(٤).

(١) انظر: أحمد سمير، المستشرقون الجدد، منشور على الموقع التالي:

<https://tipyan.com/dangerous-western-reports-about-islam>

تم استرجاعه في ١١/١٠/١٤٤٤ هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/٩.

(٢) محمد أمين حسن بن عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، طبعة دار الأمل، ٤، ٢٠٠٤، ص ٢٢-٢٣.

تم استرجاعه في ١١/٢٧/١٤٤٤ هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦.

(٣) انظر: الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، منشور على الموقع التالي:

http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_٢٥.html

تم استرجاعه في ١١/٢٧/١٤٤٤ هـ الموافق ٢٠٢٣/٦/١٦.

(٤) جولد تسيهر، أجيناس: مذاهب التفسير الإسلامي، دار أقرأ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ص ٢٠.

إبراهام جيحر، (١٨١٠ - ١٨٧٤)، وهو مستشرق ألماني وحبر يهودي، وله مكانة عظيمة في تاريخ الإصلاح اليهودي؛ حيث يعدّ رائد الإصلاحية اليهودية في العصر الحديث، ومحور دراسته حول: فقه اللغات الكلاسيكية العربية، والسيريانية، وحول العهد القديم، وكان يؤمن بالمركزية اليهودية في الأديان الكتابية، وبتأثير الكتاب المقدس على المسيحية والإسلام، ومن أشهر كتبه في هذا السياق: (ماذا أخذ محمد من اليهودية؟^(١)).

كذلك من المستشرقين الألمان الذين ترجمت أعمالهم: المستشرق تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠)، والذي يعدّ شيخ المستشرقين الألمان، وهو من أبرز المستشرقين عداوة للإسلام، وهذا بشهادته أحد المستشرقين، وهو المستشرق السويسري ستيفان فيلد (Stefan Vild) حيث وصف نولدكه بأنه: أحمل علماء عصره، وأشدّهم عداوة للإسلام^(٢).

وقد درس نولدكه عدداً من اللغات السامية: العربية، والعبرية، والسيريانية، وآرامية الكتاب المقدس، ثم درس - وهو طالب في الجامعة - الفارسية، والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على الدكتوراه عن دراسته حول: (تاريخ القرآن)، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، ومنهم: أيضاً فلهاؤزن، (١٨٤٤ - ١٩١٨)، وهو مستشرق ألماني مسيحي، من أبرز الباحثين في تاريخ الكتاب المقدس، وله نظريات خاصة في تشكيل العهد القديم - خصوصاً أسفار موسى -، وكذا في النقد الشكلي للأناجيل، والتي لا تزال ذات أهمية كبيرة في دراسات العهدين القديم والجديد إلى الآن، وقد حدث تقدم ملحوظ في العقود الأخيرة في ترجمة الدراسات القرآنية المكتوبة بالألمانية إلى الإنجليزية؛ مما وفر على المستشرقين من غير الألمان جهد البدء من نقطة الصفر^(٣)، وهو ما كان يحدث وما يزال في كثير من الدوائر الاستشرافية الغربية؛ نظراً لتفسخها، وجهل كثير من المستشرقين بلغات نظرائهم.

وقد حلّت الترجمة إلى الإنجليزية كثيراً من أشكال القطيعة بين الدراسات الاستشرافية الغربية؛ فقد ترجمت إلى الإنجليزية كتابات جولد تسيهر (١٨٥٠ - ١٩٢١)، وهو مستشرق مجرى يهودي، تلقى تعليمه في جامعة بودابست ثم برلين ثم ليبستك، وفي عام ١٨٧٠ م، حصل جولد تسيهر على الدكتوراه الأولى، وكانت عن (تنحوم أورشلي) أحد شرائح التوراة في العصور الوسطى، وعين أستاذاً مساعداً في عام ١٨٧٢، ارتحل إلى كثير من البلدان محاضراً، منها: القاهرة، وسوريا، وفلسطين، وفي عام ١٨٩٤ عين أستاذاً لللغات السامية بجامعة بودابست، وله عدد كبير من المؤلفات، أشهرها: (العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ

(١) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣، ص ١٥٦.

(٢) عيد، ثابت: الإسلام في عيون السويسريين، بأفاري، ألمانيا، ط١، ١٩٩٩، ص ٢٤٠.

(٣) ديفين ج. ستوارت - DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنص أدبي. لأنجليكا نويفرت، منتشر على الموقع الإلكتروني:
<https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt>. تم استرجاعه في ٢٠٢١ / ٣ / ١٥.

التطور العقدي والتشريع في الدين الإسلامي) و(مذاهب التفسير الإسلامي)، والذي صدر سنة ١٩٢٠ م، وُرِّجِمَ إلى لغات عديدة، كما تُرِّجمَ كتاب نولكه الموسوم بـ: (تاريخ القرآن) إلى الإنجليزية سنة ١٣٢٠ م، وهو من أهم أعمال الدراسات الاستشرافية القرآنية، كما أسهمت الموسوعة القرآنية بصورة جزئية في إتاحة وصول الدراسات القرآنية الألمانية على مدى قرن ونصف من الزمان إلى قاعدة جمهور أوسع على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وبعض الدراسات الاستشرافية المهمة لا تزال بلغتها الألمانية دون ترجمة إلى الإنجليزية، مثل: الدراسات القرآنية لإبراهام هوروفيتز (١٩٢٦)، والقصص التوراتية في القرآن لهايبريش شباير (١٩٣١).

وتذكر المستشرفة الألمانية: "إنجلييكا نويفرت": أن من أسباب إخفاق المستشرقين الغربيين خصوصا في ألمانيا: تعرضهم للتشتت الذي تسبب به تحجير العلماء اليهود من ألمانيا النازية في ثلاثينيات القرن العشرين، وأن أغلب الباحثين في علوم القرآن الكريم من الأوروبيين والأمريكيين الشماليين في ثلاثينيات القرن الماضي، فضلا عن مترجمي النص المقدس: قد تخصصوا في مجالات فرعية أخرى من الدراسات الإسلامية والعربية؛ لكنهم عملوا في الدراسات القرآنية كمشروع فرعي، وفي عزلة نسبية، وبشكل أقرب إلى صنعة بدائية تفتقر إلى المعيارية، وتمركزت معظم الدراسات القرآنية للبحث في نفسية النبي، أو التفاسير القرآنية، على يد عدد من صغار الباحثين، فافتقدت الدراسات الغربية أي برنامج دراسي محدد، أو منهج علمي معتبر للدراسات القرآنية^(١).

ولم يكن للباحثين في مجال الدراسات القرآنية أية قاعدة معتمدة للكتابات العلمية، أو لمجموعة مهارات محددة مطلوبة منهم لولوج هذا الحقل المعرفي المهم؛ فتسبب ذلك في: انقطاع تسلسل الدراسات القرآنية، وظهورها في صورة متشرذمة، وخروج أجيال من المستشرقين لا يمتلكون المنهجية التي بنيت عليها أعمال أسلافهم، ولهذا يقول أركون (١٩٢٨ - ١٤ سبتمبر ٢٠١٠ م)^(٢):

(١) ديفين ج. ستيوارت - DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٌّ أديٌ. لأنجليكا نويفرت، منشور على الموقع الإلكتروني:
<https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt>. تم استرجاعه في ١٥ / ٣ / ٢٠٢١ م.

(٢) انظر: الموقع الإلكتروني:

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D>

تم استرجاعه في ١٦ / ٦ / ٢٠٢٣ م. ١٤٤٤ / ١١

"إن أعمال هنري لاوست وهنري كوربان؛ تكفي للإقناع بالحاجة الملحة إلى افتتاح تفكير تيولوجي آخر مختلف قائم على أسس جديدة كلياً"^(١).

وترى نويفرت: أن الوضع قد تغير في العقدين الأخيرين، خصوصاً بعد إنشاء كراسى للدراسات الإسلامية والقرآنية في الجامعات الأوروبية، وتأسيس مجلة الدراسات القرآنية في لندن، وجمعية الدراسات القرآنية في الولايات المتحدة، ومع نشر موسوعة القرآن الكريم؛ ومن ثم تشكلت دوائر للدراسات القرآنية، وحدث نوع من التواصل بين الدوائر البحثية، والمؤسسات، نتج عنه: تيسير مهمة البحث الاستشرافي في مجال الدراسات الإسلامية عامة، والقرآنية خاصة^(٢).

كما يلاحظ أن كثيراً من المستشرقين عندما تعاملوا مع القرآن الكريم: انطلقوا من أضيق أبواب البحث، فلم يدرسوا بغرض المهاية؛ بل لعدة أغراض أكثرها عدائية؛ لأن القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للإسلام، ومن ثم خرجت مطاعنهم للتشكيك في الوحي الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والطعن في المصدر الإلهي للقرآن الكريم، والادعاء بأن رسول الله تلقاه عن اليهود تارة، وعن رهبان النصارى تارة أخرى، تحت مزاعم التأثير والتاثير.

أما عن تاريخ ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم: فإن ترجمة "روبرت" تعد أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتинية؛ فقد ظهرت سنة ١١٤٣ م، بداعي من الكنيسة، ولا ترقى أن يطلق عليها: اسم ترجمة؛ لما فيها من أخطاء، وتصرف في النص القرآني، ثم تبعت الترجمات التي اعتمدت على تلك الترجمة كأصل للنص، ومن ثم جاء البناء على شفا جرف هار، وظلت بحوث المستشرقين تدرس في أوروبا معتمدة على ما في هذه الترجمات من ضلالات؛ بهدف: بث روح البغض والعداوة لكل من أراد أن يبحث عن القرآن الكريم؛ فتزداد إرث عظيم من المؤلفات التي تتعجب بالجهل المدقع بالإسلام، وكلما جاء جيل وأراد أن يميز بحث ما ادعاه أسلافه: وجد المهمة صعبة، ووقع في حيرة من أمره؛ فإذا: أن يجاري من سبقوه، ويكتيل الاتهامات والافتراءات التي يعلم يقيناً أنها مكذوبة، وإنما: أن يتلزم الأمانة؛ فيكشف ظلمة الجهل الذي بناه أسلافه، وهذا للأسف نادر يسير، ومنهم: من انتهج منهجاً جديداً؛ وهو التعامل من باب المواربة بأن يأتي

(١) انظر: أرشيف منتدى الألوكة:

<http://majles.alukah.net>

تم استرجاعه في ٢٧/١١/١٤٤٤ الموافق ٦/٢٣/٢٠٢٣ م.

(٢) ديفين ج. ستيوارت - DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنصٌّ أدبي. لأنجليزكاً نويفرت، منشور على الموقع الإلكتروني:
<https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt> تم استرجاعه في ١٥/٣/٢٠٢١ م.

بشبهات يغلب عليها طابع العصبية المقيدة، فيروج لشبهات ينال بها سمعة وصيتها بين جماهير المستشرقين، ويضمن بها مكاناً في درك أسلافه؛ فظهرت الدراسات الاستشرافية الحديثة التي استهدفت: اللغة العربية؛ فدرسوا القرآن الكريم بوصفه كتاباً لغوياً نصياً، واستخدموها فقه اللغات *philology* لدراسة القرآن الكريم، فعكفوا على البحث في أدق التفاصيل اللغوية؛ محاولين إرجاعها إلى ما يتصورون أنه أصلها في اللغات الشرقية الأخرى، وأطلقوا عليها: النظريات الحديثة؛ كالتناسق، والهرمنيوطيقا، ثم اتجهوا إلى البحث في تاريخ القرآن الكريم^(١).

ومن أهم المستشرقين المهتمين بالدراسات القرآنية: "العالم الفرنسي غوستاف لوبيون، والذي أخرج كتاب: (حضارة العرب) في عام ١٨٨٤ م، فخصص الفصل الثاني من الباب الثاني منه لدراسة القرآن الكريم، وقد أعطى خلاصة مركزة عن: جمع القرآن، وفُرقه من التوراة والإنجيل، وقياسه بكتب الهند الدينية، وتعرضه لخلق الدنيا، وصفة الجنة والنار، ومساحة اليهود والنصارى، وفلسفة القرآن وأثرها في انتشاره في العالم، والتوحيد المطلق في القرآن، ووضوح مذاهب القرآن، وروح العدل والإحسان في القرآن، وسبب انتشاره السريع، وتضامن الأمم الإسلامية بفضل القرآن، وخطأ المؤرخين في بيان أسباب انتشار القرآن عن طريق القوة"^(٢).

المبحث الثاني

مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأول

دعوى تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود والنصارى

أولاً - تركيز المستشرقين على المصدر الأول للتشريع:

لقد حظي القرآن الكريم بالنصيب الأوفر من دراسات المستشرقين؛ فقد أثاروا حوله شبهات كثيرة؛ بعضها يتعلق: بتاريخه، ومصدره، وما تفرع منه من علوم؛ لأنّه هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد غلب على المستشرقين: طابع العداء الدفين، وكان موضوع مصدر القرآن الكريم من أهم الموضوعات التي

(١) انظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراف؛ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ص ١٨.

(٢) الصّغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان ط ١، ص ٩٦.

لاقت اهتمامهم، فأثاروا الشبهات حول تأثير القرآن الكريم بالكتاب المقدس؛ ومن ثم أصبح البحث والكشف عن علاقة القرآن بالكتاب المقدس من أهم الموضوعات الرئيسة في الدرس الاستشرافي الكلاسيكي؛ فخرجت دراسات بعضها موافقة لأهواهم، ووضعوا بعض النظريات المهمة لذلك من قضية: التأثير، والتاثير؛ فاتهموا النص القرآني بأنه: من حل من الكتب السابقة، أو أنه: تطور لنظم الكتب السابقة، ومن أهم تلك الدراسات كتاب: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟)، للمستشرق إبراهام جايجر، وكتاب: (الشخصيات الكتابية في قصص القرآن)، للمستشرق هانريش شباير، ومن الدراسات التي بحثت علاقة القرآن بالأناجيل كتب المستشرق السويدي: تور أندره.

وقد شهدت العقود الأخيرة من الدراسات الاستشرافية: اهتماماً بهذا الموضوع؛ فظهر كتاب غونتر لولينغ الموسوم بـ: (حول القرآن الأصلي)، الذي صدر سنة ١٩٧٤ م، وكتاب جون وانسبرو: (الدراسات القرآنية) الصادر سنة ١٩٧٧ م، وكتاب لكسنبرج: الموسوم بـ: (قراءة آرامية - سيريانية للقرآن؛ محاولة لفك شفرة اللغة القرآنية)، ودارت هذه المؤلفات في مدار الاتجاه التقنيجي، والذي طُبِّقَ على الدراسات القرآنية بتركيز شديد، والذي انتهت نتائجه إلى: نفي ارتباط القرآن بجزيرة العرب، وبحرق المسلمين الأوائل من هوبيتهم العربية الخالصة، واتهمهم برجوعهم إلى هويات سابقة ترجع إلى: اليهودية، والنصرانية، وأن القرآن ظل إلى قربة نهاية القرن الثاني المجري كتاباً مسيحياً، وبعد المستشرق: "سان كلير تيسدال" هو رائد المستشرقين الكلاسيكيين في هذا الباب؛ فقد وضع أصول تلك الفريدة في كتابه: (المصادر الأصلية للإسلام)، ففتح الطريق لمن تبعه من المستشرقين لولوج هذا الباب، وقد اعتمد المستشرقون في إثبات تأثر القرآن الكريم للتوراة والأناجيل: على أن القرآن الكريم ذكر أربع ديانات كانت موجودة في جزيرة العرب، جمعتها الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالْمَجْوَسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ بِيَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(١)، فكان لهذه الجماعات تأثير على معتقد المسلمين الأول، وشعائرهم الدينية خصوصاً: اليهود، والنصارى؛ حيث كانت أعداد اليهود كبيرة في جزيرة العرب، مثل: يهودبني النمير، وبني قريظة، وبني قينقاع، ويهود خيبر، ووادي القرى، وخليج العقبة، وقد استقى منهم النبي محمد العديد من العقائد والشعائر، مثل: محاكاة قصة الحج، والبيت المقدس في مكة وفلسطين، والذبيح، والمهدى، والأضاحى، والكافارات، كما أخذوا من الكتاب المقدس بعض المصطلحات العقدية، مثل: خلود الروح، والجنة، والنار، والملائكة، والشيطان، والخطيئة، والكافارة، ونزلو آدم من الجنة إلى الأرض، والطوفان، وقابيل وهابيل، والقبلة الأولى إلى بيت المقدس، وصوم عاشوراء، فادعى: "تيسدال" أن: مثل تلك الأفكار كانت بمثابة

(١) سورة الحج من الآية (١٧)

الخام التي وضعت في متناول النبي محمد، ومنها اتحل القرآن، والذي كان تردادا لما ورد في أسفار التوراة، وأساطير اليهود^(١).

ثانياً- أبرز شبه المستشرقين حول القرآن الكريم:

لقد تصدى الكثير من المستشرقين ومن ورائهم الكنيسة في عصرنا الحديث للقرآن الكريم؛ فأشاروا بين الأوروبيين أن القرآن لم يأت بغیر أساطير استمد أصولها من: المدرasha، والتلمود، وبعض ما ذهب إليه الفكر المسيحي؛ بل إن التحريف قد أصاب القرآن في أكثر من موضع^(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من المستشرقين الجدد لا يزيد دورهم عن اجتذار تلك الشبهات، وإعادة استنساخها وصياغتها ... والمحصلة النهائية الناتجة واحدة؛ فهم يزعمون أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها^(٣)، إلى غير ذلك من الشبهات التي سأطرق لها هنا:

فمن الشبه التي أثارها المستشرقون حول تأثر القرآن الكريم بالكتب المقدسة عند اليهود

والنصارى، ما يلي:

الشبهة الأولى:

زعم كثير منهم كـ: وليام تيسدال، رينيه باسيه، أندريل ميكيل، هنري لامنس، جولد تسيهر، وغيرهم: أن القرآن يتتشابه مع اليهودية في القصص مثل: قصة ابني آدم، وقصة إبراهيم^(٤)؛ إذ زعموا: أن القرآن اتحل قصة حرق إبراهيم، ونجاته من النار من المدرasha اليهودي؛ لأنها متواقة مع ما ورد في الفصل السابع عشر من المدرasha؛ فزعموا أن القصة القرآنية هي استعارة مباشرة من اليهودية، وإن اتسعت قليلاً عن طريق إضافة تفاصيل أرجعوا مصدرها إلى الخيال الخصب للنبي محمد وشاعريته، ويستنتج تيسدال من المقارنة بين النصين: أن حمداً لا يستنسخ رواية اطلع عليها مكتوبة في كتاب ما؛ ولكنه سمعها شفوياً من اليهود، كما زعم بأن المهيمنة التي مارستها هذه القصة على عقل النبي محمد تتضح من خلال توسيعه للحكاية، ومن المرات الكثيرة التي تتكرر فيها القصة في أجزاء مختلفة من القرآن، كما زعم بأن القصة كانت معروفة جيداً في مخطوطها

(١) انظر: تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، ترجمة: عادل حاسم، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٩ م، ص ١٧٧.

(٢) انظر: البشبيشي، أحمد، المستشرقون والإسلام على ضوء الترجم، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد (١٣٧). غرة جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ ١٩٧٦ م، ص ٢٥. وحميدة، بشير كوكو، القرآن الكريم مصدر للتاريخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية (٤٤٢/٣١).

(٣) انظر: أرشيف منتدى الألوكة منشور على الموقع الإلكتروني:

<http://majles.alukah.net>

(٤) أ. د. مصطفى مسلم: شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، منشور على الموقع الإلكتروني:

<https://www.alukah.net/culture/>

الرئيسي في زمانه^(١).

وهو ما ذهب إليه أيضاً المستشرق نولذكه (١٩٣٦-١٨٣٦)^(٢) الذي يقطع بأن المصدر الأساسي للوحى القرآني هو الكتابات اليهودية، وفي هذا يقول: "المصدر الرئيس للوحى الذي نزل على النبي حرفياً بحسب إيمان المسلمين وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرین هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها، لهذا لا لزوم للتحليل لنكشف إن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي"^(٣).

ومثله المستشرق الإسرائيلي الجديد: (أوري رو宾 Uri Rubin) (١٩٤٤) أستاذ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة تل أبيب في إسرائيل، وتركز اهتماماته حول الإسلام (مع التركيز بشكل خاص على القرآن وتفسيره)^(٤)، الذي حاول في ترجمته لمعاني القرآن الكريم: أن يرد القصص القرآني إلى مصادر يهودية، (٥) ومسيحية، ووثنية، ويصر على أن القرآن اقتبس من سفر التكوانين: قصة الخلق^(٦). كما أ声称 قالوا: إن مصادر بعض الأفكار والتعبيرات الخاصة بيوم الحساب والبعث الواردة في القرآن الكريم اقتبست بشكل واضح من الكتب اليهودية والمسيحية^(٧).

والواقع أن وجود تشابه بين القرآن الكريم والكتب السماوية هو دليل على أن القرآن الكريم كان مكملاً رسالة الشرائع السابقة، وخاتماً لها.

الشبهة الثانية:

من الشبه المثارة أيضاً بشأن زعم التأثير والتاثير: الادعاء بأن القرآن الكريم تأثر في قصصه بما ورد في الكتاب المقدس بعهديه: القديس، والجديد، ومن هذا المنطلق: استفرغ المستشرقون الجدد طاقتهم لإثبات العلاقة بين القرآن الكريم والكتب السابقة، واتخame بإعادة تركيبه لهذا القصص وفقاً لبنيته الخاصة سرداً

(١) انظر: تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٢) ولد في هامبورغ، من أسرة عريقة، تعلم العديد من اللغات، ونال الدكتوراه في باريس على رسالته (أصل وتركيب سور القرآن) ثم أعاد النظر فيها وترجمتها إلى الألمانية، ونشرها بعنوان: (تاريخ النص القرآني)، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص ٧٣٩-٧٣٨.

(٣) نولذكه، تيدور: تاريخ القرن: ص ٧.

(٤) انظر: رابط المصدر (ويكيبيديا):

[http://en.wikipedia.org/wiki/Uri_Rubin.](http://en.wikipedia.org/wiki/Uri_Rubin)

(٥) انظر: أحمد صلاح البهنسى: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي، قراءة تحليلية نقدية لمناج ختارة، صادر عن مركز تفسير للدراسات القرآنية، Tafsir Center for Quranic Studies، ص ٥.

(٦) انظر: الاستشراف والقصص القرآني، منشور على الموقع الإلكتروني:

<https://islamonline.net/>

(٧) انظر: بлер، جون سي: مصادر الإسلام، ص ٦٥.

ومضمونها، ويأتي في مقدمة المستشرقين المعنيين بهذا الموضوع: "جون سي ريفز" John C. Reeves، (أستاذ الدراسات الدينية في جامعة نورث كارولينا)، ومن أهم مؤلفاته: (أختنوك من العصور القديمة إلى العصور الوسطى، مصادر من اليهودية وال المسيحية والإسلام)، الصادر سنة ٢٠١٨ م، وله ورقة بحثية بعنوان: (بعض المظاهر شبه الكتابية في قصة هاروت وما روت)؛ أظهر فيها: تأثر القرآن في سرد القصة بما ورد في الكتاب المقدس، وإثبات تأثير سرد الأسفار على بناء القصة في القرآن الكريم^(١).

فيما استشهد تسداً على أن النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمد وأدخلها في قرآنها بعض القصص منها: قصة أصحاب الكهف، وقصة مريم عليها السلام، وقصة طفولة المسيح، مع إنكاره لكلامه عليه السلام في المهد، وصنعه من الطين طير، وقصة المائدة ونزله في آخر الزمان^(٢).

إن ما أشار إليه كثير من المستشرقين من تأثر القرآن الكريم بكتب اليهود والنصاري المقدسة ليس إلا محض افتاء؛ خاصة وأنه أتى بتفاصيل كثيرة في أكثر من موضع لم ترد في تلك الكتب؛ فإن زعموا أنها من خياله صلى الله عليه وسلم فهل خياله استطاع أن يأتي بعلوم الغيبيات: كاليلوم الآخر؛ بل أقوى من ذلك أنه استطاع أن يتحدث عن أمور غيبية مستقبلية؛ أو غيبة اكتشف العلم الحديث تطابقها مع الواقع؛ فعد ذلك إعجازا علميا للقرآن الكريم. ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿مَرْجَ الْجَعِينَ يَلْقَيَانِ﴾ [٦] يَبْنُهُمَا بَرَّخُ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(٣)، فمع حالة الاختلاط والاطراد هذه التي توجد في البحر؛ فإن حاجزا يحجز بينهما، يمنع كلاً منهما أن يطغى ويتجاوز حدَّه، وهذا ما شاهده الإنسان بعدما تقدَّم في علومه وأجهزته؛ فقد وجد ماءً ثالث يختلف في خصائصه عن خصائص كلاً من البحرين، ويفصل كلاً من البحرين الملاحين المتمايزين في خصائصهما من حيث: الملوحة والحرارة، والكثافة، والأحياء المائية، وقابلية ذوبان الأكسجين، وُجِدَ أن هذا الحاجز المائي متحرك بين البحرين على اختلاف فصول السنة، وهذا المعنى يندرج أيضاً تحت قوله تعالى: {مَرْجَ} الذي يعني أيضاً: الذهاب، والإياب، والاختلاط، والاضطراب^(٤)؛ فسبحان الله العظيم.

فهل ذكر ذلك في كتبهم المقدسة كما يزعمون؟

(١) انظر: سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إبان الموند، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد: (٢٤)، سنة: ٢٠٢١ م، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) انظر: مصطفى مسلم، شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، موضوع منشور على الرابط:
<https://www.alukah.net/culture/%/٥٣٧٠٥/>.

تم الاسترجاع في ٢٧/١١/١٤٤٤ هـ الموافق ٦/١٦ م ٢٠٢٣.

(٣) سورة الرحمن: الآيتين (١٩ - ٢٠).

(٤) مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ص ٣٢٩.

ثالثاً- النظريات التي حاول المستشرقون الجدد تطبيقها على القرآن الكريم، والرد عليها:

إن حقد أكثر المستشرقين على الإسلام الحنيف جعلهم يدعون ما سبق قوله بشأن تأثير القرآن الكريم بالكتاب المقدس، وفي سبيل إظهار ذلك التأثير طبقوا عدة نظريات -نشأت عندهم لانتقاد كتبهم المقدسة كالتوراة- على القرآن الكريم؛ فقد ظهر في مجال الدراسة النقدية للنصوص الدينية ما أصبح يسمى بعلم: نقد الكتاب المقدس. "The Science of Biblical Criticism" بحسب أقسام الكتاب المقدس، هما: القديس، والجديد، فنشأ: علم نقد العهد القديس (Old Testament Criticism)، وعلم نقد العهد الجديد: (New Testament Criticism)، وشتهر بشكل خاص داخل إطار علم نقد العهد القديس ما يسمى بعلم نقد التوراة، وعلم نقد الأسفار الخمسة، كما سيأتي أيضاً بالنقاش العالى^(١).

وقد تخصصت مدرسة النقد العالى "HigherCriticism" في نقد الكتاب المقدس؛ فحاول المستشرقون تطبيق ما ورد فيها على القرآن الكريم، ومن أهم سماتها: أنها لا تعترف بالوحى الإلهي، وتضع الكتاب المقدس تحت ميكروسكوب النقد، فلا يؤمنون بتقديس النص، وتنزييهه عن التلاعيب، فأطلقوا لأنفسهم العنان للتصرف فيه، وجعلوه في منزلة الكتب البشرية، ولعل هذا ما يبرر هجومهم على كتابهم بشدة وحدة، وتقديم العقل على النقل، ويعد أول من استخدم مصطلح النقد الأعلى: "جي جي إنجهورن" (١٧٥٢ - ١٧٨٧ م)، والذي كان يعمل أستاذًا للغات الألمانية، وكان والده قساً، فقصد به مراجعة وتحليل التركيب الداخلي للأسفار، والبحث عن المصادر التي استخدمها الكاتب في كتابة سفره، وكيفية استخدامه هذه المصادر وطريقته فيها، والتقييم عن هوية كاتب السفر، وتاريخ الكتابة، وذلك بالاعتماد على دراسة الأحداث الواردة في السفر، ومقارنتها بما ورد في التاريخ المدنى؛ ولذلك دعى إنجهورن: أبو نقد العهد القديس^(٢).

ومن الأمثلة على محاولة المستشرقين تطبيق تلك النظريات على القرآن الكريم ما يأتي:

المثال الأول:

لقد كان المستشرق: "بوليوس فلهاوزن" (١٨٤٤ - ١٩١٨) أول من قام بتطبيق النقد العالى على القرآن الكريم، وقد جمع فلهاوزن بين التخصص في نقد العهد القديس، والتخصص في الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم؛ وهذا ما ساعده على خوض هذا المضمار. وفلهاوزن هو مؤسس نظرية: (تعدد مصادر التوراة)؛ والتي طبقت على كل أسفار العهد القديس، والعهد الجديد. وقد استتبع فلهاوزن: نظرية (تعدد

(١) أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع:

<http://www.alhiwartoday.net/node/٥٦٤>.

(٢) حبيب، صموئيل وآخرين: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٣، ٢٠٠٣ م، ص ٣٤٤.

المصادر) من النقد القرآني للتوراة، ومن التراث القديم الإسلامي المستند إلى النظريات القرآنية في نقد التوراة، وأهمها: نظريات التحريف، والتبدل، وتعدد المصادر^(١).

المثال الثاني:

أعقب المستشرق فلهاوزن عدًّا من المستشرقين المتخصصين في القرآن الكريم، ودرسوه على أساس منهجية مرتبطة بعلم نقد العهد القديم، أو علم نقد الكتاب المقدس، منهم: المستشرق الألماني: "هـ. إيفالد"، و "تيدور نولدكه".

لقد وقع الكثير من المستشرقون في خطأ كبير وهو: خطأ التعميم؛ وذلك لاعتقادهم أن ما ينطبق على الكتاب المقدس بعهديه: القديم، والجديد ينطبق على القرآن الكريم، وما ينطبق على اليهودية والنصرانية ونحوهما قابل للتطبيق على الإسلام وتراثه.

كما أخطأوا خطأً بيًّا يتمثل في التسوية بين: طبيعة الحقبة التاريخية لكتاب الكتاب المقدس بعهديه، وبين تلقي القرآن الكريم وتدوينه، أو في التسوية بين كتبة الوحي للكتاب المقدس، وكتبة القرآن الكريم؛ فشتان بين القرآن الكريم؛ الذي نزل به الروح الأمين على قلب خاتم المسلمين، والذي تعهد الله تعالى بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحْفَاظُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ﴾^(٣)، وبين ما طرأ على كتب اليهود والنصارى من تبديل وتحريف، قال - تعالى -: ﴿مَنَّ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْمَعَ غَيْرُ مُسْمَعٍ وَرَعَيْنَا لَيْلًا بِالسِّنَّتِهِمْ وَطَعَنَّا فِي الْأَيْنِ﴾^(٤).

المثال الثالث:

عمد الكثير من المستشرقين إلى تطبيق نظرية النقد التاريخي، وانتشرت بين المستشرقين مصطلحات مثل: ((تاريخ القرآن)), و ((تاريخ الحديث النبوي)), ((وتاريخ الفقه الإسلامي)), وأيضاً ((تاريخ الإسلام)). وكلها تشير إلى هذا الانبهار بالمنهج النقدي التاريخي. وكان هدف المستشرقين من استخدامهم لهذا المنهج إثبات عدم أصالة الإسلام كدين، وأنه دين متأثر تاريخياً بالأديان السابقة عليه وبخاصة اليهودية والنصرانية، فهو إذن دين له تاريخ. وأن الحديث النبوي له نشأة وتطور داخل التاريخ الإسلامي، وأن الشريعة الإسلامية مأخوذة عن الشرائع اليهودية والنصرانية والرومانية. وأن الحضارة الإسلامية تعود إلى أصول يونانية، وهندية، وفارسية، ويهودية، ونصرانية... إلى آخر هذه الدعاوى والافتراضات التي اعتقد جولدسيهير والمستشرقون

(١) انظر: أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس)), منشور على الموقع:

<http://www.alhiwartoday.net/node/>

تم الاسترجاع في ٢٧/١١/٢٠٢٣ هـ الموافق ٦/٤٤٤١ هـ

(٢) سورة الحجر: الآية (٩).

(٣) سورة الإسراء: الآية (١٠٥).

(٤) سورة النساء: الآية (٤٦).

التابعون لمدرسته أنه من خلالها يمكن النيل من أصالة الدين الإسلامي وتشويه صورته كدين مستقل، وتشويه أصالة الحضارة الإسلامية ببردها إلى مصادر أجنبية^(١).

المطلب الثاني.

تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي في تفسير القرآن الكريم

أولاً- تعريف الاتجاه الهرمنيوطيقي:

يوجد هناك عديد من الاتجاهات الحداثية التي سلّكها المستشرقون الجدد في دراسات القرآن الكريم وساروا عليها، ويتمثل محور هذه الاتجاهات في تطبيقهم لها على القرآن الكريم؛ أسوة بتجاربهم السابقة في تطبيقها على نصوص الكتاب المقدس؛ ومن ثم أطلقوا التسمية في التطبيق على سائر النصوص الدينية، ثم نقلوها إلى الدراسات الأدبية، ومن هذه الدراسات: التفسير الهرمنيوطيقي، وتطبيقه على القرآن الكريم.

لفظة الهرمنيوطيقا: مشتقة من الفعل اليوناني (Hermeneuin) ويعني: التفسير، واسمها: (Hermeneuia)، ويرمز في اليونانية إلى: هرميس (رسول الآلهة لدى اليونان)؛ الذي وكل إليه نقل الرسائل بين الآلهة والبشر، ويعتقد اليونانيون أنه توجب على هرميس أن يكون ملما بلغة الآلهة، فضلا عن لغة البشر المرسل إليهم^(٢).

يقول ديفيد جاسبر: كلمة (هرمنيوطيقا) هي: التعبير الانجليزي للكلمة اليونانية الكلاسيكية هرميس؛ التي تعني: "المفسر، أو الشارح... وفي الأسطورة اليونانية كان هرميس رسول الآلهة... قادراً بنعله ذي الأجنحة على تحسير الفجوة بين الآلهة والعالم البشري، ويصوغ بكلمات مفهومه ذلك الغموض القابع وراء القدرة البشرية على التعبير"^(٣).

ويعود المنهج التاريخي النقدي: (التعابي / الدياكروني)، من أهم المناهج الغربية الحديثة التي نجحها المستشرقون الجدد للبحث في القرآن الكريم؛ ويعرف بأنه: "العلم الذي يدرس العلاقات التي تربط العناصر التي تتعاقب زمنيا ولا يدركها العقل الجماعي، وكل عنصر يحل محل العنصر الآخر"^(٤).

وقد سعى المستشرقون إلى دراسة القرآن الكريم من خلال منهجهم هذا؛ بغية الوصول إلى مقاربة القرآن الكريم، ول تتبع تاريخ أجزاء النصوص القرآنية، والكشف عن مصادرها التي ركبت منها؛ ومن هنا:

(١) انظر: أ.د. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس)), منشور على الموقع:

<http://www.alhiwartoday.net/node/>

تم الاسترجاع في ١١/٢٧ هـ الموافق ٤٤٤/٦/٢٣ م

(٢) مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مؤسسة هنداوي للنشر، ط١، ٢٠١٨، م، ص ١٥٥. وديفيد كوزنر هو، الحلقة النقدية. الأدب والتاريخ والهرمنيوطيقا الفلسفية، ترجمة وتقليل: حالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، م، ص ١٣.

(٣) ديفيد، جاسبر، مقدمة في الهرمنيوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط ١ - ٢٠٠٧ هـ ١٤٢٨، م، ص ٢١.

(٤) دي سوسير فردینان، علم اللغة العام، تر: يوسف عزيز، دار آفاق عربية، العراق، ط ٢، ١٩٨٥، م، ص ١١٧.

ارتكتزت دراسات الاستشراق حول القرآن الكريم على: البحث في تاريخه، وملابساته تدوينه، والتطورات التي لحقت به، والبحث في ترتيب سوره وأياته زمنياً، ومحاولة الكشف عن الأصول التي استقى منها النص القرآني، والتي أرجعها بعضهم إلى الكتاب المقدس بعهديه: القديس، والجديد؛ فعقدوا المقارنات بينه وبين النصوص السابقة عليه، وبعضهم أرجعها إلى تأثيره بالثقافات المجاورة للبيئة العربية، فنقبوا بحثاً في العلاقات بين النص القرآني، والبيئة التي نزل فيها، ووجوه أثرها، فانطلقت تلك الدراسات الاستشرافية من فرضية: أن النص القرآني يبدو - من وجهة نظرهم - مركباً من أجزاء ليست متسقة، ولا مرتبة بذات الطريقة الخطية المعهودة في الكتابات بصورة عامة، ومن ثم جاؤا إلى: البحث في تاريخ القرآن الكريم؛ بغية الوصول إلى مرادهم في الكيد لكتاب الله الحميد.

ثانياً- مراحل استخدام الهرمنيوطيقا وتطورها:

تطور الهرمنيوطيقا في فترة العصور الوسطى وذلك بعد أن ظهرت إشكاليات في قراءة الكتاب المقدس وفهمه؛ فارتبطت الهرمنيوطيقا التأوليلية باللاهوت المسيحي، وتفسير الكتاب المقدس؛ فتطور المصطلح مع بداية الصراع الفكري المسيحي، وظهور البروتستانتية^(١) على يد: "مارتن لوثر"، و"جون كللن"؛ حيث اتسعت دائرة الهرمنيوطيقا من تفسير النص إلى عملية فهم النص؛ لأن البروتستان حاولوا التخلص من سلطة الكنيسة عبر تفسير الكتاب المقدس دون الرجوع إلى الكنيسة؛ ومن ثم عرفت الهرمنيوطيقا بأنها: نظرية تفسير الكتاب المقدس، ويرى الدكتور عادل مصطفى أن هذا التعريف للهرمنيوطيقا يعد من أقدم التعريفات، ولا يزال أوسعها انتشاراً؛ وأن مبرر ذلك من الوجهة التاريخية: أن الكلمة إنما استعملت في طورها الحديث عندما أاحت الحاجة إلى مبحث جديد؛ يقدم القواعد الالزمة للتفسير الصحيح للكتاب المقدس^(٢).

وقد أخذت الهرمنيوطيقا طوراً جديداً في الدراسات الغربية؛ فأطلق عليها المنهج الفقهي اللغوي: "الفيلولوجي"، فمنذ بداية عصر التنوير حتى العصر الحاضر: أصبحت مناهج البحث في الكتاب المقدس،

(١) البروتستان: ويسمون الإنجيليين: "وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة، وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، وأهم ما يتميز به أتباع هذه النّحلة هو:

- ١- أن صكوك الغفران: دجل، وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.
- ٢- أن لكل واحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وفقاً على الكنيسة.
- ٣- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأنها مظاهر من مظاهر الوثنية.
- ٤- منع الرهبة.

٥- أن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح الملائكة.

٦- ليس لكثائsem رئيس عام يتبعون قوله. وهذه النّحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا، وكثير من بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية". الخلف، سعود ابن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ٢٠٠٤/٥١، ص ٣٧٦.

(٢) مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مرجع سابق، ص ٤٠.

والتي أطلق عليها: "هرمنيوطيقا الكتاب المقدس"، وأصبحت وثيقة الصلة بفقه اللغة، فحل مصطلح: "هرمنيوطيقا الكتاب المقدس" محل "الهرمنيوطيقا" في الإشارة إلى نظرية تفسير النص المقدس، أما "الهرمنيوطيقا" حين تقال مطلقة غير مقيدة؛ فإنها مرادفة للمنهج الفقهي اللغوي؛ فتصور الهرمنيوطيقا بوصفها إنجيلية تحديداً: قد تحول تدريجياً إلى الهرمنيوطيقا بوصفها القواعد العامة للتفسير الفيلولوجي (الفقهي اللغوي)؛ لتعطي الصلاحية لفحص النص واستنطاقه، والتخلية بينه وبين القارئ دون الرجوع إلى كاتبه لفهم المعنى، وهذا ما أدى إلى: تضارب تفاسير الكتاب المقدس، وتعاند الآراء، ونزع قدسيّة النص، وفتح باب الهوى على مصراعيه، ثم قام المستشرقون الجدد بنقل تلك التجربة على النصوص الدينية الإسلامية، وهذا ما انتهجه علماً (١) العصر الحديث؛ حيث إنهم أعطوا لأنفسهم الحق المطلقاً في تأويل النص حسب أهوائهم، دون تلق لأصول العلم؛ فنزعوا قداسته النص القرآني، وأطلقوا لأنفسهم العنوان؛ ليقولوا في كتاب الله بأهوائهم.

ثالثاً- المستشرقون المهتمون بدراسة القرآن الكريم:

من أهم المستشرقين الجدد الذين اهتموا بدراسة تاريخ القرآن الكريم المستشرق الفرنسي: "لويس دي بيمار" (١٩٣٠ - ٢٠٠٦ م) وهو مؤرخ فرنسي، متخصص في اللغة والحضارة العربية، ودراسات تاريخ الإسلام، وأستاذ فخرى بجامعة إكس أون بروفانس - مارسيليا، وباحث ومعلم في معهد الدراسات والأبحاث حول العالم العربي والإسلامي (IREMAM)، وقد قضى لويس بيمار طفولته في: المغرب العربي؛ حيث إنه تعلم اللغة العربية، ودرس آدابها، وفنونها في معهد الدراسات العليا المغربية، وفي جامعة محمد الخامس، ورُحب به في معهد الآباء الدومينikan بالقاهرة في الفترة من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٥، وقد درس في جامعات عربية، مثل: جامعة قسنطينة بالجزائر، والرياط بال المغرب، وقد أولى جزءاً كبيراً من اهتمامه أثناء تدریسه في جامعة إكس أون بروفانس بتاريخ الإسلام، و بدايته، وتاريخ القرآن، والسيرة النبوية، ومن أشهر كتبه في هذا الموضوع كتاب: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ)، وقد توفي بيمار عام ٢٠٠٦. وبعد كتابه: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ) من أهم الكتب الغربية المعاصرة التي تناولت التاريخ للقرآن الكريم؛ فقد كان هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ حيث شهد نقاشات موسعة في العقود الأخيرة، وهذا نتاج لما بات يعرف بين الباحثين الغربيين بالاتجاه التńقحي، بعد أن احتل الصدارة في البحث الاستشرافي المعاصر، وما حققه هذا الاتجاه من طرح إشكالات منهجية كبيرة على المصادر

(١) العلمانية: "مذهب يُخرج الاعتبارات الدينية من العلاقات المدنية والتعليم العام (دولة علمانية)". معجم اللغة العربية المعاصرة (١٥٤٥/٢).

وعلقتها دائرة المعارف البريطانية بأنها: "حركة اجتماعية تهدف إلى: صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالأخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها". المغربي، أبو سفيان مصطفى باحث السلاوي، العلمانيون العرب و موقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٣٣/٥٢٠١٢ م، ص ١١٤.

التاريخية الإسلامية، مثل: السير، وتاريخ الأمم، وعلم الرجال، وتدوين المصحف؛ فقد شكك أعلام هذا الاتجاه الحديث في مصداقية الرواية للمصادر التاريخية الإسلامية عن تاريخ الإسلام، وتاريخ القرآن، ثم طبقوا النقد العالي المستقى من دراسات العهددين: القديم، والحديث؛ ليصفوا به تاريخ الإسلام عموماً، وتاريخ القرآن الكريم والسنة على وجه الخصوص؛ مما أدى إلى استنتاجات فاسدة جعلتهم يروجون لإنزال المصادر الإسلامية في مرتبة دنيا، في سلم المهر المعرفي، وتقليلهم من القيمة التاريخية لتلك المصادر الرئيسة ل بتاريخ القرآن الكريم؛ فقد فاق المستشرقون الجدد في خطورتهم من سبّهم من المستشرقين الكلاسيكيين^(١).

لقد قام المستشرق الفرنسي ألفريد لويس دي بريمار بتضمين كتابه: (تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ)؛ بعض الإفتاءات؛ لذا عده الغربيون: من أهم الأسماء على ساحة الاستشراق المعاصر المتخصص في دراسات تاريخ الإسلام، وتاريخ القرآن؛ فدار في فلك الحقل المعرفي للمستشرقين الجدد، فأنتاج عمله في إطار ما بعد بروز الاتجاه التقنيجي؛ والذي يشكك في المصادر الأساسية لكتابه التاريخ الإسلامي، وبالخصوص ما يتعلق: بكتابه تاريخ القرآن، ويلاحظ أنه في حل كتاباته يستعرض هذه الوضعية والمنهجية الجديدة؛ التي سيطرت على الباحث الغربي، فأخذ يستعرض خيارات الباحثين في بنائهم سردية متماشكة حول التاريخ الإسلامي، وتاريخ القرآن، وحول سيرة النبي، ويشتبك معهم في ظل عملية معقدة مزدوجة، جمعت في خبتها بين: التشكيك في المصادر الإسلامية من جهة، وقلة المصادر غير العربية والأدلة المادية الصلبة: كالنقوش، والعملات، والحفريات من جهة أخرى^(٢).

يقول طارق حجي: بريمار ينطلق في دراسته لتاريخ القرآن من محاولة أولية لتبصير التشكيك في المرويات الإسلامية حول هذا التاريخ، وهذا يتم عن طريق توصيفين أساسين لهذه المرويات:

الأول: أن هذه الروايات الإسلامية جاءت من منطلق أيديولوجي له بعد سياسي يتعلق برؤية مجموعات محددة لموقعها السياسي والديني؛ فافتراض بريمار: أن الأساس في جمع القرآن بمنزلة مسألة سياسية، ويمثل بريمار لهذه المرويات بـ: المرويات الشيعية حول مصحف: (علي)، الذي يحوي سوراً تروي فضائله تخلص منها الخلفاء.

الثاني: ادعاء بريمار: غياب بعض المفاهيم الرئيسة التي يقوم عليها تاريخ الجمع، وغيموم العلاقة بين القرآن والحديث؛ فمفهوم الجمع عند بريمار كان متأرجحاً بين: مجرد الاستظهار عن ظهر قلب، والكتابة والجمع في مجلد واحد، كما أشار بريمار إلى بعض المرويات المتأخرة عن تاريخ الجمع الذي تقره المصادر

(١) بريمار، ألفريد لويس دي: *تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ*، ترجمة: عيسى محاسبي، دار الساقى، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ١٥٠.

(٢) حجي، طارق: *القرآن ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام في الدرس الاستئثراني قراءة في كتاب: تأسيس الإسلام*، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١، ٢٠١٩م، ص ١٨٠.

الإسلامية بشكل يوحى كأن ثمة خلطًا بين القرآن والحديث، استمر لفترة متأخرة من التاريخ الإسلامي تصل إلى خلافة معاوية^(١).

تعقيب: لقد توهم المستشرقون الجدد أنهم بتبنيهم الاتجاه التلقائي لتاريخ القرآن الكريم، وجدوا الشلة التي ينفذون منها للتشكيك في القرآن الكريم، وفي نبوة رسول الله ﷺ، ويكتفي في تحافت هذا المنهج: اعتماده تطبيق النقد العالي للكتاب المقدس على القرآن الكريم، وهذا جهل مطبق؛ لأن القرآن الكريم لم يحدث له مثلما حدث للكتب السابقة، وكتبة الوحي للقرآن الكريم معلومون؛ بخلاف الكتاب المقدس، وترتيب السور والآيات توفيقي لا دخل لأي بشر فيه؛ بخلاف الكتاب المقدس، فكيف يمكن إنزالهما في منزلة واحدة، وهل يستوي كتاب تعهد الله بحفظه وأثبت الزمان ذلك، بكتاب زعم أنها مقدسة والكتاب الواحد منها كتبه أكثر من شخص؛ فاختللت أكثر محتوياتها بما قد يصل في بعضها إلى حد التناقض.

ومن سلبيات المنهج التلقائي: أنه منهج مسفر عن شبهه وافتراضاته؛ فأفصح الكثير من المستشرقين الجدد عما كان يستحى منه سابقوهم، فنادوا بالتشكيك في الروايات المتواترة، والطعن في ثوابت الدين دون ضابط أو رابط، وأعظم منه سوءًا: أنهم جعلوا الحكم على الثابت المتواتر عند المسلمين خاضعاً لما يؤيده من الكتابات الغربية، وهذا لعمري في القياس بديع! فكيف لفاقد الشيء أن يعطيه؟ كيف يمكن التحاكم إلى تاريخ يفتقر إلى السند؟ وعلم الرجال؟ ليحكم على أمّة حفظ الله تراثها بالسند المتواتر، وكيف تستوي أمّة حفظت تاريخها وخخصت للرجال علما سجلت به أحوال الرواية، وسيرهم، ورحلاتهم، بأمم مزقت في وديان التاريخ، وقمعانه شر مزق؟ وكيف لجهول أن يستبعض الحكم على معلوم؟!

رابعًا— بعض الكتابات المشتهرة حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم:

إن الكتابات التي طبقت الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم كتاب بعنوان: (القرآن والكتاب المقدس: النص والتفسير)، للمستشرق حبريل رينولدز، ولعله من أبرز الكتابات حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم، وله أيضاً مقال بعنوان: (المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية)؛ فقد طبّق المؤلف المنهج الهرمنيوطيقي على القرآن الكريم؛ ليشير عدداً من الشبهات حوله؛ وذلك باستنطاق النص من الناحية التاريخية، وهذا دأب المستشرقين الجدد عند تفسيرهم كيفية عرض القرآن الكريم للمسيحية؛ فزعموا: أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بنى تصوّره عن المسيحية في القرآن الكريم مستنداً إلى: آراء المهرطقين^(٢) المسيحيين، فيبدأون بربط بعض عبارات القرآن الكريم عن يسوع المسيح، أو مریم، أو

(١) حجي، طارق: مقال بعنوان: القرآن، ومصادر التاريخ لبدایات الإسلام، في الدرس الاستشرافي، قراءة في كتاب: (تأسيس الإسلام) لبريمار، منتشر على الانترنت، اطلع عليه بتاريخ: ٤/٤/٢٠٢٢.

(٢) المروفة: البدعة في الدين ...، ومعناها: الأخذ والتمسك. وهي من مصطلحات النصارى، وربما قالوا هرتفة: وصاحبها هرطوفي... ويقال في جمعها: هرطقة وارتفة. وبينون من ذلك فعلاً، فيقولون: هرطقي؛ أي: نسبة إلى هرطقة. انظر: دُوزي، رينهارت بيتر آن: تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخطاط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط ١، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م، (١١/١٢).

المسيحيين بحروقة مسيحية محددة، ثم يواصلون البحث من خلال الساحلitas التاريخية، أو المهرطقات، عن تلك المسألة المهرطقة في شبه الجزيرة العربية التي عاش فيها النبي محمد، وتوظف هذه الاستراتيجية النصوص القرآنية، والنصوص التي تدين التعاليم المسيحية، وفي كلتا الحالتين: يزعم المستشرقون أن يكون لتلك المهرطقات المسيحية تأثير، أو إلهام ضلل النبي محمدًا عن المسيحية، وبني المستشرقون تلك الشبهات: على نشأة النبي في الجزيرة العربية؛ وهي مكان بعيد عن الإمبراطورية البيزنطية، وأنها كانت مأوى للمهرطقيين؛ الذين تأثر بهم النبي محمد ﷺ^(١).

فافترضوا: أن المسلمين تأثروا بالمسيحيين النسطوريين؛ وهم: المسيحيون السوريون الشرقيون، ولم يختلطوا بالمسيحيين الملكانيين الخلقيدونيين، مع أثر في تكوين اعتقاد خاطئ عن المسيحية.

وهذا الكلام مردود جملة وتفصيلا؛ وذلك لعدم ثبوت مثال النبي ﷺ شيئاً لتلقي العلم عن هؤلاء النصارى، كما يهدم شبهتهم الخبيثة أن المسلمين اختلطوا بالمهرطقيين من النصارى، دون مخالطتهم لل المسيحية الحقة التي يزعمونها في الإمبراطورية البيزنطية أن المسلمين هاجروا إلى معقل النصرانية في الجبعة، وحاجوهم برسالة الرسول ﷺ بما نزل في سورة مريم، ووصلوا إلى عمق الإمبراطورية البيزنطية، وشاهد ذلك حديث هرقل عظيم الروم مع أبي سفيان.

كما أن من كتابات المستشرقين حول تطبيق الهرمنيوطيقا على القرآن الكريم: المقالة التي صنفها المستشرق "سيدني غريفيث"، (١٩٣٨م)، وهو أستاذ الدراسات المسيحية المبكرة في الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، والذي عمل أستاذاً زائراً في أكثر من جامعة، مثل: الجامعة العبرية، وجامعة حورج تاون، وحل اهتمامه بال المسيحية العربية، والعلاقات المسيحية الإسلامية في العصور الوسطى، من أشهر مؤلفاته في هذا السياق: (الكنيسة في ظل المسجد، ٢٠٠٨م)، و (الكتاب المقدس العربي، نص أهل الكتاب المقدس بلغة الإسلام، ٢٠١٣م)؛ حيث ذكر غريفيث في مقالته الموسومة بن: (النصارى في القرآن: دراسة هرمنيوطيقية): أن استخدام القرآن لمصطلح "النصارى"؛ ليطلق على المسيحيين خلافاً لبعض الترجمات المفترضة للكلمة اليونانية: kristianoi، مثل: المسيحية، وكلمة النصارى هي التي ارتضاها مسيحيو العرب، وأطلقوها على أنفسهم؛ لذا فإن استخدام مصطلح النصارى في القرآن دليل على تأثر النبي محمد ببعض الطوائف اليهومسيحية؛ ويعني به: تقويد الطوائف المسيحية^(٢).

(١) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:

<https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh>.

(٢) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:

خامساً - بعض النماذج التطبيقية على المنهج الهرمنيوطيقي في القرآن الكريم:

من النماذج التطبيقية للمنهج الهرمنيوطيقي على القرآن الكريم: ما قام به: رينولدز؛ فقد كتب تعليقاً على الآية: [٣١] من سورة التوبه وهي قوله تعالى: ﴿أَنْخَذُوا أَحْجَارَهُمْ وَرُهْبَكَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ أَبْنَى مَرْيَمَ﴾؛ حيث يقرر: أنه عند استطاق هذه الآية الآن بمنهاج يجعلنا نشعر على طوائف تاريخية كان لها تأثير في وصف القرآن للمسيحية؛ فإنه يتحتم عندئذ البحث في بعض الطوائف المهرطقة من المسيحيين؛ الذين عبدوا علماءهم وربانיהם كآلهة. والذين يطلق عليهم: (الكهنوتيون). (Sacerdolators

ويرى رينولدز: أن هؤلاء الكهنوتيين فروا إلى الصحراء العربية؛ ليتمكنوا من عبادة رهبانهم بأمان، بعيداً عن وطأة الأرثوذكسية^(١)، وملائحة السلطة البيزنطية الصارمة في حكمها، كما أنه وضع افتراضياً آخر بدلاً عن الأول، وهو أن النهج القرآني في هذه الآية أغرق في إبراز الآراء المعارضة له، وأنه لم يكن في محيط البيئة التي نزل فيها القرآن طائفة مهرطقة من عباد الرهبان، ويستنتج من هذا: أن للقرآن طريقة دقيقة في السخرية من خصومه، ووصمهم بما ليس فيهم، ويخلص إلى أن هذا هو الإدراك الذي ينبغي أن يشكل فهم تلك الآيات التي يفترض غالباً أنها مربطة ارتباطاً وثيقاً بالهرطقة المسيحية^(٢).

ويرد على هذه الشبهة: بأن مثل هذه النماذج: مسألة صلب المسيح ورفعه، وعبادة المسيح ابن مریم العلیہ السلام وأمه، ونداءه في القرآن الكريم بعیسی ابن مریم،

<https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh>

(١) هم من أخذوا بقرار جمع خلقيدونية، ويقال لهم: الملكانية نسبة إلى الملك، وهو الإمبراطور الروماني البيزنطي. والأرثوذكس: هم نصارى الشرق الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية، وأهم ما يتميزون به هو:

- ١ - أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.
- ٢ - تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا؛ فإنه يجوز عندهم.
- ٣ - لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد؛ بل كل كنيسة مستقلة بنفسها، وهذا المذهب منتشر في أوروبا الشرقية وروسيا.

انظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مرجع سابق، ص ٣٧٥
موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوى بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنوية على الإنترنت (٤١٣/١، ٤١٤).

(٢) انظر: جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقي، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:

<https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh>

والتي توهם المستشرقون الجدد بأن هذا يرجع إلى سببين:

الأول: إما إلى مخالطة النبي لطوائف المهرطقين الفارين إلى جبال الجزيرة العربية؛ ومن خلال هذه المخالطة تلقى هذه التعاليم المغلوطة.

الثاني: أن هذه الأغاليل حسبما يزعمون أتى بها النبي محمد من عنده وضمنها القرآن؛ للسخرية من خصومه.

ويلاحظ: أن كلا الاحتمالين متساقط؛ فالنبي ﷺ لم يأت بالوحى من تلقاء نفسه، كما زعم المستشرقون، وأنه لم يتلق الوحي عن النصارى المهاجرين في جبال الجزيرة العربية، ولم يثبت لقاوه بهم؛ فرحلاته، ومدخله، وخرجته عليه الصلاة والسلام كان تحت مسمع ومرأى أهل مكة؛ ولو تحقق هذا لما ترك مشركي مكة رسول الله دون اتّهامه بتلك الفريدة.

كما أن الفرض الآخر وهو: أن رسول الله ﷺ استعمل أسلوب السخرية، فرمى خصومه بما لم يتحقق فيهم من باب تحقيق الحجاج، وإثبات مخالفتهم لعقيدة الإسلام يتلخص أيضًا؛ فهو كذب على الصادق المصدوق ﷺ، وجواهر الفريدة: اتّهامه بالكذب على الله مرة، وعلى أهل الكتاب مرة أخرى، وهذا من تضليلات الكذبة؛ الذين لم يقرأوا سيرته العطرة، ولم يتزودوا بالمنهجية الصحيحة قبل أن يطلقوا لأنفسهم العنوان في سب النبي ﷺ، فيتهمونه بالكذب زورا وبهتانا.

المبحث الثالث:

الاتجاه التزامني في دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم

وفيه تمهيد، ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته.

المطلب الثاني: مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب.

تمهيد:

ظل المنهج التاريخي النقدي مهيمنا على الدراسات الاستشرافية فترة من الزمن؛ للبحث في تاريخ القرآن الكريم، حتى صار عالمة بارزة في الدراسات الغربية، ثم شهد الدرس الاستشرافي حديثاً ظهوراً لمنهج جديد، وهو: الاتجاه التزامني (السانكروني)؛ والذي يختلف عن المنهج التاريخي، الذي ارتكز حول البحث في مصادر القرآن الكريم، ودعمه قضية تأثر النص القرآني بالكتب والثقافات السابقة، ومن ثم التشكيك في مصدر القرآن الكريم؛ لكن الاتجاه التزامني يرتكز حول: النص القرآني – كما هو موجود الآن

- بوصفه نصاً متسقاً، له بنية تحتاج للكشف عنها، والبحث فيها؛ لفهمها، ومن ثم: اختصار المنهج التزامني بالكشف عن هذه البنية، وفهم أبعادها.

ومن أصحاب الدراسات الاستشرافية من جمع بين: المنهج التاريخي، والمنهج التزامني، ومنهم: من فرق بين المنهجين؛ وذلك لتمايز المنهجين، وذكروا عدة نقاط للتمايز بينهما، مثل: قيام المنهج التزامني بتحاوز بعض الأفكار الملزمة للمنهج التاريخي، والسعى في حل الإشكالات المترتبة عنه، أخصها: مسألة التأثير والتأثير التي تبناها المنهج التاريخي؛ والتي شكلت الإطار العام للدرس الاستشرافي عند كثير من الكتابات الاستشرافية الكلاسيكية، ويأتي على رأسها كتاب جيجر: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟)، فانتقلت الدراسة التزامنية (السانكرونية) من البحث عن مصدر النص إلى: التناص؛ والذي يحيل بدلاً من مفاهيم: (الانتحال، والاقتباس)؛ - التي تدعى الدارس دوماً خارج النص - إلى: مساحات إعادة الصياغة، والتشكيل التي قام بها النص القرآني نفسه، كبناء خاص في تعامله مع النصوص السابقة عليه؛ بغية المهيمنة النصية، والعقدية عليها، وهو ما يرتبط بمفهوم بات مهما في الدرس الاستشرافي، وهو: (المرجعية الذاتية للنص)؛ والذي يعني: امتلاك النص بؤرة، أو مركزاً دلائياً يتحكم في الدلالات الجزئية له، ويحدد مستوياتها الدلالية.

المطلب الأول

تعريف الاتجاه التزامني ومميزاته

أولاً - تعريف الاتجاه التزامني:

ويسمى الاتجاه السانكروني، ويقصد به: "أن النص القرآني كما هو موجود الآن: نصٌّ متسقٌ، وله بنية تحتاج للكشف عنها، والبحث فيها؛ لفهمها، ومن ثم: استئثار المنهج التزامني لا التعافي في الكشف عن هذه البنية، وفهم أبعادها"^(١).

وعلم اللغة السانكروني هو: دراسة لغوية آنية لحقبة زمانية معينة ومحددة، لجماعة لغوية واحدة، وهذا يتخد شكل البعد، أكثر من اتخاذ شكل العلم؛ وهذا البعد يعني بدراسة المستوى اللغوي لعصر معين؛ اعتماداً على الاستقراء الشامل للأمثلة، ويستبعد أي تفسيرات تاريخية للتغيرات التي تطرأ عليه^(٢).

كما يعرف مفهوم السانكروني بأنه: منهج واضح المعالم في علم اللغة؛ يحصر الدراسة في اللغة ولأجلها، في حقبة زمانية محددة، وييسر أغوارها؛ مثلاً: صفاتها، وخصائصها في مستويات الأداء اللغوي،

(١) مسئولو قسم الترجمة موقع تفسير للدراسات القرآنية، الاتجاه السانكروني (التزامني) في دراسة القرآن الكريم، مدخل تعريفي، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ٢٠٢٠م، ٦٢).

(٢) دراج، أحمد عبد العزيز: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٨٠، ٧٩.

دون اللجوء إلى التبرير التاريخي؛ بل هي: مقاربة داخلية في أنساق اللغة لا تخرج منها، ويمكن تعريف المنهج السنكريوني أو الآني بأنه: المنهج الوصفي في حد ذاته، بطابعه البنوي في علم اللغة^(١).

ثانياً - مميزات المنهج التزامني:

يتميز المنهج التزامني عن المنهج التاريخي بأن فيه: الترتيب الموضوعي للنص؛ فهو المفتاح الوحيد لجعل أفكار النص جلية للقارئ الغربي، فجاءت الدراسات التزامنية السانكريونية؛ لتجاوز الإشكال الذي قام عليه المنهج التاريخي، والذي زعم أصحابه أن الترتيب التاريخي للقرآن هو المفتاح الوحيد لفهمه عند ربطه بواقع الدعوة التاريخي، ثم قيامهم بالتشكك في الأحداث التاريخية، والأشخاص، وفي هويتهم، فانحدم به الأصل الذي قام عليه المنهج التاريخي؛ لكن المنهج التزامني: بحث في النص القرآني بوصفه بنية نصية^(٢).

المطلب الثاني

مؤلفات المستشرقين في النص القرآني وأبرز المهتمين بالدراسات المعنية بهذا الجانب

يعد كتاب: (القرآن كنص) من أشهر مؤلفات المستشرقين في هذا الموضوع، وقد حرره المستشرق الألماني: "شتي芬ان فيلد"، بمشاركة مجموعة من المستشرقين الجدد، على رأسهم: (أنجيليكا نويفرت، وأندرو ريبين، وجوزيف فان إس، وكلود جيلييو، ونويد كرمان)، وغيرهم، وقد اهتم فيه الباحثون بالمنهج التزامني للدراسة النص القرآني، من خلال: تطبيقات النظريات الأدبية الحديثة: كالتناص، والبنيوية.

ويعد "نيل روبنسون" Neal Robinson (١٩٨٤ م) أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ليذ، من المستشرقين المهتمين بهذا الموضوع، ويعد أحد أعلام الاتجاه التزامني لقراءة القرآن، ومن أشهر كتابه: (المسيح بين الإسلام والمسيحية، Christ in Islam and Christianity)، الصادر سنة ١٩٩٠ م، والإسلام مقدمة قصيرة، الصادر عام ١٩٩٩ م، ويتجلّى تطبيقه للمنهج التزامني في كتابه: (اكتشاف القرآن؛ قراءة معاصرة في نص مقنع)، الصادر عام ١٩٩٦ م؛ حيث درس فيه فكرة القراءة التزامنية للنص نظرياً، ثم طبقها على سور مكية ومدنية؛ منها سورة البقرة الأكثر طولاً، وفصل فيها عناصر تماسك السور: الأسلوبية والمضمونية، ثم أصدر ورقة بحثية تطبيقية لمنهج الاتجاه التزامني تحت عنوان: (بنية وتفسير سورة المؤمنون)، أظهر فيها بعض الاختلافات عن "نويفرت" حول بنية هذه السورة، وتقسيمها.

وقد أبرز روبنسون: اعتراضاته على تقسيم أنجيليكا نويفرت في كتابها: (دراسات في تركيب السور المكية)، الصادر بالألمانية سنة ١٩٨١ م؛ فاعتبرت على تقسيمها للسورة مستنداً لبعض المعايير؛ مثل: التنااسب في الطول، وموضع الآيات الافتتاحية لكل قسم من السورة، ويستخدم "روبنسون" في اشتغاله

(١) مسعى، منير، ثنائية السنكريوني والدياكروني في البحث اللهجي، دراسة جغرافية لغوية، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني . العدد الرابع، سنة: ٢٠٢٠ م، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) مسؤولو قسم الترجمة موقع تفسير للدراسات القرآنية: ٢٠٢٠ م، مرجع سابق، ص ٢٣١

على (سورة المؤمنون): عدداً من المفاهيم المستمدّة من مناهج دراسة النصوص الأدبية، ومناهج دراسات الكتاب المقدس؛ مثل: (اللوحة الأولية والنهاية، والتقويس، والتقابض العكسي)، ويقصد به: أن السورة اختتمت بآية فيها كلّمتان مشتقتان من البسمة وهما: (ارحم، والراحمين)، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(١)؛ ويحاول عبر توظيف هذه المفاهيم: اكتشاف بنية السورة، والتقسّيم الأنسب لها، كما أنه استخدم مفهوم الظاهرة الشفاهية - السمعية؛ حتى يتمكّن من تطوير النظر في مسألة تناسب أقسام السورة؛ وذلك باستدعاء عملية تلاوة النص شفهياً كأحد عناصر بنائه، وهي نظرة مهمة، ولا فتة تستحضر بعدها غائباً عن كثير من محاولات القراءة التزامنية للقرآن^(٢).

ومن الدراسات المعنية بموضوع المنهج التزامني أيضاً كتاب: (الكتاب المقدس والقرآن، نسق أدبي واحد) للمستشرق: "ميشيل كويبرس"؛ وهو رائد تطبيق منهجية: التحليل البلاغي للقرآن في الدراسات الغربية الاستشرافية؛ والتي تمثل في: تحليل النص القرآني تبعاً لقواعد البلاغة السامية، فحاول في مؤلفه: بيان الكيفية التي يتركب منها النص القرآني وفق الدرس البلاغي، وإبراز نتائج تطبيق هذه المنهجية على فهم القرآن الكريم، أو تقديم تفسير جديد^(٣).

وتكمّن خطورة الموضوع في: دراساته للنص القرآني، وبيان صلته بنصوص الكتاب المقدس من خلال: تطبيقات تناصية، تجعل النص القرآني خاضعاً في استخراج الشواهد البلاغية لما سبقه به الكتاب المقدس؛ مما يجعل القرآن الكريم تابعاً لغيره، منتتحلاً لنصوص سابقة في استخدام القواعد البلاغية، كما أنه يفتح الباب لنظرية تأثر القرآن بنصوص الكتاب المقدس، التي يدندن حولها المستشرقون.

وتتجلى هذه الإشكالية عند "ميشيل كويبرس" أيضاً؛ في مقالة بعنوان: (قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص)، وقد نشرت بمعهد الدومينikan بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م، والتي توسع فيها كويبرس؛ وهذه التوسعة التي قام بها تعنى: الانتقال بتقنية التناص من كونها تقنية نصية تنشأ عن تفاعل النصوص داخل إطارات نصية تشهد العديد من الاتفاق في التركيب والموضوع إلى: التطبيق في الدراسات الدينيةخصوصاً القرآن؛ وذلك بالبحث في البناء القرآني لقصة أو موضوع عينه تناوله القرآن، ومقابلته بنظيره في نصوص الكتاب المقدس؛ مما يفتح الباب أمام بعضهم للطعن في جماعة القرآن الكريم، وفي مصدريته، وفي الوحي القرآني، ومن ثم: الطعن في القرآن الكريم جملة^(٤).

(١) سورة المؤمنون: الآية (١١٨).

(٢) انظر: نيل روينسون: بنية وتفسير سورة المؤمنون، ترجمة: أمينة أبو بكر، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢٠٢١/٤/٢، ص ٢٣.

(٣) انظر: ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص، ترجمة: عبير عدلي، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢٠٢١/٤/٩، ص ١٢٣.

(٤) انظر: ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناصية لسورة الإخلاص، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي أuan على إتمام هذا البحث الموسوم بـ: "مطاعن المستشرقين الجدد في القرآن الكريم والرد عليها"، ونسأله أن يجعله علماً ينفع به، فقد حاولت فيه الباحثة أن تجمع ما أمكنها جمعه مما تيسر لها من مراجع، وقد خلصت من كل ذلك إلى التوصل إلى عدد من النتائج والتوصيات، نورد أهمها على النحو الآتي:

أ- أهم النتائج:

- ١- أن للاستشراق دوافع عده منها: التبشيرية، والاستعمارية، والعلمية، ويظل الإسلام هو الهدف الرئيس للمستشرقين.
- ٢- أن جل المستشرقين يفتقدون إلى المنهجية العلمية الصحيحة، والمهارات الالزمة لدراسة الإسلام.
- ٣- أن القرآن الكريم حظي بالنصيب الأوفى من دراسات المستشرقين؛ إذ أثاروا حوله الشبهات؛ للطعن في تاريخه، ومصدره، كما أثاروا الشبهات حول: تأثيره بالكتاب المقدس.
- ٤- أن المستشرقين الجدد جانبو الصواب والمنهجية في تطبيق نظريات دراسات الكتاب المقدس ونقده وتطبيقاتها على القرآن الكريم.
- ٥- أن دراسات المستشرقين الجدد للقرآن الكريم ارتكزت على البحث في: تاريخه، وجمعه، والبحث في: ترتيب سوره، وأياته زمنياً، ومحاولة الكشف عن أصوله التي استقى منها النص القرآني؛ والتي أرجعها بعضهم إلى الكتاب المقدس، بعهديه: القديس، والجديد.
- ٦- أن المنهج التاريخي النقي "التعاقباني / الدياكروني" ، من أهم المناهج الغربية الحديثة التي نجحها المستشرقون الجدد للطعن في القرآن الكريم
- ٧- أن المستشرقين الجدد استحدثوا عدة مناهج للطعن في القرآن الكريم، مثل: المترافقية، والبنيوية، والاتجاه التزامني السانكروني، والتناص؛ بغية الوصول إلى مارتهم للتشكيك في القرآن الكريم.

التوصيات:

من أهم توصيات البحث:

- ١- إنشاء مراكز بحثية ودوريات علمية؛ لرصد الشبهات التي يثيرها المستشرقون والمبشرون الجدد حول الإسلام عموماً، والقرآن الكريم على وجه الخصوص؛ وتنفيتها.
- ٢- إنشاء أقسام في الكليات الشرعية تتخصص في الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية؛ لتبلغ صحيح الدين الإسلامي الحنيف في البلاد الأجنبية.
- ٣- إنشاء قنوات وبرامج علمية لمناقشة شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم؛ لرأد الفتن التي يثيرها المستشرقون.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع العربية:

١. إبراهيم مصطفى، وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ .
٣. أحمد صلاح البهنسى: قصص القرآن في كتاب (مصادر يهودية بالقرآن) لشالوم زاوي، قراءة تحليلية نقدية لمذاج مختلفة، صادر عن مركز تفسير للدراسات القرآنية.
٤. الأمين، عبدالله محمد: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧ م.
٥. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣ .
٦. بريمار، ألفريد لويس دي: تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ، ترجمة: عيسى محاسبي، دار الساقى، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٩ م.
٧. البشبيشي، أحمد، المستشرقون والإسلام على ضوء التراجم، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد (١٣٧). غرة جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ أيار ١٩٧٦ م.
٨. بлер، جون سي: مصادر الإسلام.
٩. تيسدال، سان كلير: المصادر الأصلية للإسلام، ترجمة: عادل جاسم، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠١٩ م.
١٠. جولد تسيهير، أجيناس: مذاهب التفسير الإسلامي، دار اقرأ، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ .
١١. حبيب، صموئيل وآخرين: دائرة المعارف الكتابية المسيحية، دار الثقافة، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٣ م.
١٢. حجي، طارق: القرآن ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام في الدرس الاستشراقي قراءة في كتاب: تأسيس الإسلام، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط١ ، ٢٠١٩ م.
١٣. حميدة، بشير كوكو، القرآن الكريم مصدراً للتاريخ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
١٤. الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤ ، ٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
١٥. دايفيد، جاسبر، مقدمة في المرونيوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ط١ – ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
١٦. دراج، أحمد عبد العزيز: الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، ٢٠٠٢ م.

١٧. دُوزي، رينهارت بيتر آن: تكميلة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج ١ - ٨: محمد سليم النعيمي، ج ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط ١، من ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م.
١٨. دي سوسير فردینان، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، العراق، ط ٢، ١٩٨٥ م.
١٩. ديفيد كوزنر هوى، الحلقة النقدية. الأدب والتاريخ والهرميونطيكا الفلسفية، ترجمة وتقسيم: خالدة حامد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
٢٠. زقزوقي، محمود حدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧ م.
٢١. ساسي، سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشرافي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
٢٢. سعد، جهاد، المستشرقون الجدد: كتاب إيان الموند، مجلة دراسات استشرافية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، عدد: (٢٤)، سنة: ٢٠٢١ م.
٢٣. سعيد، إدوارد: الاستشراك المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د. محمد عناي، رؤية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦ م.
٢٤. الصّغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي بيروت، لبنان ط ١.
٢٥. عمر، أحمد ختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٦. عيد، ثابت: الإسلام في عيون السويسريين، بافاريا، ألمانيا، ط ١، ١٩٩٩.
٢٧. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الملل والأديان، الناشر: موقع الدرر السنوية على الإنترنت.
٢٨. محمد أمين حسن بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، طبعة دار الأمل، ٤، ٢٠٠٤ م.
٢٩. محمد عزت الطهطاوي، التبشير والاستشراك، أحقاد وحملات على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وببلاد الإسلام، د.ط.، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م.
٣٠. مسعي، منير، ثنائية السنكريوني والدياكروني في البحث اللهجي، دراسة جغرافية لغوية، مجلة الميدان للدراسات في العلوم الإنسانية، المجلد الثاني . العدد الرابع، سنة: ٢٠٢٠ م.
٣١. مسئولو قسم الترجمة بموقع تفسير للدراسات القرآنية، الاتجاه السانكريوني (التزامني) في دراسة القرآن الكريم، مدخل تعريفى، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ٢٠٢٠ م.

٣٢. مصطفى، عادل: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، مؤسسة هنداوي للنشر، ط ١، ٢٠١٨ م.
٣٣. المغربي، أبو سفيان مصطفى باحث السلاوي، العلمانيون العرب و موقفهم من الإسلام، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط ١، ٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.

٣٤. مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

٣٥. نجيب العقيقي، المستشرقون.

٣٦. نولدكه، تيدور: تاريخ القرن.

٣٧. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق؛ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين.

ب- البحوث والمقالات الإلكترونية:

١. رابط المصدر (ويكيبيديا) :

http://en.wikipedia.org/wiki/Uri_Rubin .

٢. إبراهيم عوض، المستشرقون الجدد" دانيال بايس وبقية أفراد العصابة منشور على الموقع التالي:

https://mtafsir.net/forum% / ١١/٢٧ هـ ١٤٤٤ م. تم استرجاعه في ١١/٢٣/٦ هـ ١٤٤٤ م.

٣. أحمد سمير، المستشرقون الجدد، منشور على الموقع التالي:

<https://tipyan.com/dangerous-western-reports-about-islam> تم استرجاعه في

١١/٩ هـ ١٤٤٤ م.

٤. أرشيف منتدى الألوكة منشور على الموقع الإلكتروني:

استرجاعه في ١١/٢٧ هـ ١٤٤٤ م. تم استرجاعه في ١١/٢٣/٦ هـ ١٤٤٤ م.

٥. الاستشراق المعاصر وعلم الحديث، عرض كتاب المدخل إلى الاستشراق المعاصر وعلم الحديث،

منشور على الموقع التالي:

http://alraweme.blogspot.com/p/blog-page_٢٥.html تم

استرجاعه في ١١/٢٧ هـ ١٤٤٤ م.

٦. الاستشراق والقصص القرآني، منشور على الموقع الإلكتروني:

<https://islamonline.net> .

٧. الموقع الإلكتروني:

تم استرجاعه في ١١/٢٧ هـ ١٤٤٤ م.

٨. الموقع الإلكتروني:

- تم استرجاعه في ٢٧/١١/٢٠٢٣ هـ الموافق ١٤٤٤ هـ .
٩. جبريل سعيد رينولدز، المسيحية في القرآن، تعدد مظاهر البيان القرآني إزاء عرض المسيحية، ترجمة: مصطفى الفقى، منشورات مركز تفسير للدراسات القانونية على الموقع:
<https://tafsir.net/translation/٥٩/al-msyhyt-fy-al-qr-aan-t-d-dd-mzahr-al-byan-al-qr-aany-iza-a-ard-al-msyhyh> .
١٠. حجي، طارق: مقال بعنوان: القرآن، ومصادر التاريخ لبدايات الإسلام، في الدرس الاستشرافي، قراءة في كتاب: (تأسيس الإسلام) لبريمار، منشور على الانترنت، اطلع عليه بتاريخ: ٤/٤/٢٠٢٣ م.
١١. ديفين ج. ستewart - DEVIN J. STEWART: قراءة القرآن كنص أدبي. لأنجليزكا نويفرت، منشور على الموقع الإلكتروني:
<https://tafsir.net/translation/٣٥/an-ns-s-al-mqd-ds-ash-sh-r-wsna-t-al-mjtm-qra-at-al-qr-aan-kns-sin-adby-l-anjylyka-nwyfrt> /١٥ تم استرجاعه في ١٥/٣/٢٠٢١ م .
١٢. محمد خليفة حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد ((الكتاب المقدس))، منشور على الموقع:
<http://www.alhiwartoday.net/node/> تم الاسترجاع في ٢٧/١١/٢٠٢٣ هـ الموافق ١٤٤٤ هـ .
١٣. مصطفى مسلم: شبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، منشور على الموقع الإلكتروني:
<https://www.alukah.net/culture/> تم استرجاعه في ٢٧/١١/٢٠٢٣ هـ الموافق ١٤٤٤ هـ .
١٤. ميشيل كويبرس: قراءة بلاغية وتناسية لسورة الإخلاص، ترجمة: عبير عدلي، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٩/٤/٢٠٢١ م .
١٥. نيل روبنسون: بنية وتفسير سورة المؤمنون، ترجمة: أمنية أبو بكر، بحث إلكتروني منشور على موقع تفسير للدراسات القرآنية، تم استرجاعه في ٢/٤/٢٠٢١ م ، ص ٢٣ .



JAZAN UNIVERSITY

JOURNAL OF
JAZAN UNIVERSITY

For Human Sciences

2006

١٤٢٦

JAZAN UNIVERSITY

A Refereed Scientific Periodical

ISSN: 1658-6921

Vol. 12 No 1 September 2023(Rabi` al-Awwal)